

بِدَائِهُ الْهُدَائِهُ

وَرَهْنِيهُ النُّفُوسُ بِالْأَدَابِ الشَّرِعِيَّةِ

للامام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

دراسة وتحقيق
الدكتور محمد سعود المعينى

ساعdet جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب

١٩٨٨

بِدَايَةُ الْهَدَايَةِ

وَتَنْهِيَةُ النَّفَوْسِ بِالْأَرْدَابِ الشَّرْعِيَّةِ

للامام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

دراسة وتحقيق

الباحثون والكتابون بجامعة الزيتون

ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب

١٩٨٨

مكتبة الصانى - بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلوة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين ، ومن تبعه إلى يوم

الدين .

وبعد : فليست العبادة على هامش الحياة ؟ بل هي المبدأ الأول الذي أنزل الله كتبه وأرسل رسالته لدعوة الناس إليه ، وتدكيرهم به اذا نسوه ، أو ضلوا عنده ، قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى إليه ، أنه لا إله الا أنا فاعبدون) .

ولما ختم الله كتبه بالقرآن الكريم ، ورسلمه بمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ورسالاته بالإسلام ، أكد هذه الحقيقة بقوله تعالى (وما خلقت الجن والانسان الا ليعبدون) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطهرون) .

ولما كانت عبادة رب العالمين ، غاية خلق الانسان ، وبها تتحقق السعادة في الدنيا والآخرة ، فالاهتمام بها واجب شرعاً مقدس .

وقد وجدت كتاب (بداية الهدایة) للإمام الغزالی ، من الكتب المقيدة في هذا الميدان ، نظراً لما يتمتع به من جزالة الفخذ وسهولة الأسلوب ، وحسن التناول ، وتسويق القارئ مع حسن العقيدة .

وقد رأيت أن أخدم الكتاب بتحقيقه ، للموقوف على عبارة الغزالی ، وبالتقديم له بمقيدة تناسب مع العبادة ، الا وهي تركيبة النفس وأثرها في قبول العبادة ، وانتظام حياة الفرد والمجتمع ، اذ من آثار العبادة على الفرد ، صقل النفس ، وصفاء السريرة ، ومن لم يتم تهذيب نفسه ، وتنظيم سلوكه كما أراد الله ، لم يستفغ من العبادة .

وبهذا الموضوع أرجو أن أكون مهدت لفهم كتاب بداية الهدایة ،
لتم النائدة ، وأرجو الله العلي القدس التوفيق والمدد ، لخدمة دينه
القويم ، فان أصبت فب توفيق الله ، وان أخطأت فمن نفسي ، وما توفيقي
 الا بالله .

د. محمد سعود المعيثي

الباب الأول

الفصل الأول

ترجمة الإمام الغزالى

اسميه وموالده :

هو أبو حامد زين الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى ^(١) الطوسي ^(٢) . ولد بمدينة طوس من أعمال خراسان سنة ٤٥٠هـ ^(٣) ، من والد فقير صالح ، كان يعمل بغزل الصوف ويبيه في دكان بطوس .

صفة والديه :

يحكى أن آباءه كان فتيراً صالحًا ، لا يأكل إلا من كسب يده ، ويطوف على الفقهاء ويجالسهم ، ويستخدمهم ما أمكنه ، وكان يستمع لأقوال

(١) نسبة إلى مهنة أبيه ، وهي غزل الصوف ، لذا تقرأ بتشبيه الزاي ، ويروى أنه ولد في قرية الغزالية من قرى طوس ، وعلى هذا فالسرابي قلنطق غير مشددة ، وعلق ابن خلkan على راية عدم التشبيه ، بأنها خلاف المشهور ، ونسبها إلى ابن السمعاني . والذي شاع هو تخفيف الزاي في لقبه . انظر وفيات الأعيان ٨١/١ ، الواقي بالوفيات ٢٧٧/١ ، المباب ١٧٠/٢ ، كتاب آداب الصحابة ص ٧ .

(٢) نسبة إلى طوس ، ثاني مدينة في خراسان ، بعد نيسابور ، وكانت تتألف من بلدين يقال لأحدهما : الطايران ، وللآخر : نوقان . ولهما أكثر من ألف قرية ، وبطوس يوجد قبر الإمام علي بن موسى الرضا ، وقبن الخليفة هارون الرشيد . وفي سنة ٦٦٧هـ . دمر المخول مدينة طوس ، فلم تنهد ، وقامت بجوانبها بعض المدن كالمشهد . معجم البلدان ٣/٥٩٠ ، وفيات ٨١/١ .

(٣) البداية والنهاية ١٢/١٧٣ ، الأعلام للزركلي ط العلم ٢٢/٧ ، وفيات الأعيان ١/٤٦٣ ، شذرات الذهب ٤/١٠ ، مفتاح السعادة ١٩١/٢ .

علماء المتصوفة في حلقاتهم ، فيتأثر تأثيراً كبيراً ، ويبكي ويتوسل إلى الله تعالى ، أن يرزقه ولداً صالحًا مثلهم . و يجعله فقيهاً واعظاً^(٤) .

فاستجابة الله سبحانه دعاءه ورزقه محمداً ، وأحمد ، فكان محمد إمام أهل زمانه ، وعلماء لأئمة المسلمين . كتب فتاواه ، ووعظ فأفاد .

أما أحمد : فكان ذلك الصوفي الوعاظ ، الذي تجمع الناس حوله ، وازدحموا . إلا أن والدهما لبى نداء ربه . ولم يدرك ما وصل إليه ولسناه .

نشاته :

لما دنت ساعة والده ، أوصى به وبأخيه أحمد ، إلى صديق له من المتصوفة ، وزوجته بما يدَّخره من مال ، لينفقه على تعليمهما ، ولم يكن هذا الصديق المتصوف ، مجرد وصي عليهما ، بل كان معلماً لهما أيضاً . فأول معلم للغزالى ، كان صوفياً .

ولكن المال الذي خلفه والدهما كان قليلاً ، سرعان ما نفد ، إضافة إلى كون الصديق المتصوف من الفقراء . فأشار عليهما بالاتصال بمدرسة تتفق على طلبها ، فانتصرف محمد وأحمد إلى تحصيل العلم بكل جد ونشاط^(٥) .

كان هذا الرجل سبب سعادتهما وعلو درجتهما ، وكان الغزالى يحكى ذلك . كما كان يقول . طلبنا العلم لغير الله ، فأنبى أن يكون الا الله^(٦) .

(٤) طبقات الشافعية للسيبكي ٤/١٠٢ .

(٥) انظر شفاء الغليل ص ١٥ .

(٦) انظر مقدمة أحياء علوم الدين .

تلقيه العلوم :

لقد إنصرف أحمد الى التصوف في ريعان شبابه ، فأنس الرهد والتقشف والخلوة والاعتكاف ، وقد دخل بغداد وعقد حلقة للوعظ في أحد مساجدها ، فتوارد عليه الطلبة من كل مكان ، وازدحموا حوله .

أما محمد فقد واصل دراسة الفقه في طوس ، ثم سافر الى جرجان لتلقي العلوم ، وهو دون العشرين من عمره . ثم رجع الى طوس ، وفي طريقه داهمه بعض المتصوّض ، وسرقو منه بعض كتبه ، فصرّ عليه أن يتركها وينجو بنفسه ، فخاطر بحاجاته ، وتسلّم اليهم أن يردوها اليه .

ومنذ هذه الحادثة ، أصبح الفرزالي يحفظ كل ما يقع تحت يده من علوم ومهارات ، حتى لا يكون بحاجة اليها في حال فقده اياها^(٧) .

ثم ارتحل الى نيسابور حيث سجنه شهرة امام العرميين الجوني^(٨) ، رئيس المدرسة النظامية آنذاك ، فدرس عليه الفقه وأصوله ، والجدل ، والمنطق ، والفلسفة ، فتعمق في دراسة الفلسفة ، ولم يجد فيها ما يشفي الفيليل ، فاتقدّها ، بعد ذلك اتجه للتصوف^(٩) ، حيث وجد فيه مرتعًا للنفس وطمأنينة للقلب ، وطريقًا توصل الانسان الى أسمى الدرجات .

زيارةه للوزير نظام الملك :

لما مات الامام الجوني ، غادر الفرزالي نيسابور عام ٤٧٨ هـ ، فاصدأه العسكرية ، وهو في الثامنة والعشرين من عمره ، فتعرف على نظام الملك

(٧) الفرزالي ، د. مصطفى غالب ص ١٩ .

(٨) هو أبو المعلى ضياء الدين عبد الملك الجوني . طبقات الشافعية ٢٤٩/٢ .

(٩) انظر دراسات في الفكر الفلسفى الاسلامى ص ١٣٣ .

الوزير السلجوقى ٢ مؤسس المدرسة الفلامية ببغداد ٢ فاعجب به وبعلمه
ففيه أستاذًا فيها ٣ فقدم بغداد سنة ٤٨٤ هـ ٤ ودرس بالفلامية ٥ وأعجب
الخلق بحسن كلامه ٦ وكمال فضله ٧ وفضاحة لسانه ٨ فأحببوه
وأجلوه ٩١٠ .

اقامته على التدريس :

أقام الغزالى على التدريس والوعظ ١ فعلاً جاهه ٢ وانتشر أسمه ٣
فصررت به الامثال ٤ وشُدّت اليه الرحال ٥ لما عرف بشرف النفس ٦
والترفع عن الرذائل ٧ .

فانتفع بعلمه الكثير ٨ ومصنفاته ما تزال رافداً عذباً ٩ يرسو من هنا
عنان الفضيلة والكمال ١٠ .

وفي سنة ٤٨٨ هـ خرج من بغداد بناء على نصيحة أطبائه ١١ حيث
أصيب بداء الكتف ١٢ فأشروا عليه بالسفر والتجوال ١٣ فاستجاب لطلبهم
واستتاب أخاه في التدريس ١٤ وخرج إلى الشام ١٥ والقدس ١٦ والخليل ١٧
ومكة ١٨ والمدينة ١٩ ولم يعمل في بغداد سوى أربع سنوات ٢٠ .
ثم عاد إلى بغداد بعد أداء فريضة الحج ٢١ وعقد بها مجلس الوعظ ٢٢
تكلم عن لسان أهل الحقيقة ٢٣ وحدث بكتاب أحياء علوم الدين ٢٤ .

(١٠) انظر كتاب آداب الصحبة ص ١٠ .

(١١) كنظه الأمر يكنته ، وتنكنه ، بلغ مشقته وعمته ، والسكنطة ،
الضخطة . القاموس المحيط ٣٩٨/٢ . وهو هوبيوط في القسوى
الجسمانية والعقلية ، يتبع اضطراباً نفسياً ، يتسم صاحبه بالقلق
والسويفاء ، لتيجة تعرض الشخص لازمات شتى ، فيشعر بالتشاؤم ،
وضعف الذاكرة ، فيهرب من الواقع وتبعات الحياة ، مع فقدان
لشهية ، وقلة النوم ، كما روى ذلك في كتابه المقذ من الفضلال
ص ١٠٥ . انظر تاريخ الفكر العربي ص ٣٩٢ .

(١٢) الغزالى ، د. مصطفى غالب ص ٢٢ .

ثم قصد نيسابور فدرس بنظاميتها ٰ ثم عاد الى بلده طوس ، فأقام
فيها ، وابتلى رباطاً للصوفية ، واتخذ داراً حسنة ، وغرس فيها بستانًا ،
وأقبل على تلاوة القرآن ، وحفظ صحيح الحديث ، والزهد والعبادة .

وفاته :

توفي رحمه الله بطوس سنة ٥٥٥ هـ ودفن فيها^(١٣) . فرحمه الله
الغزالى الفقيه ، الفيلسوف ، الاخلاقي ، الصوفى ، الداعى الى ترجمة
العلم الى واقع يعيشه الفرد ، ويهتمى بنوره الى صلاح العمل .

الغزالى على لسان المعاصرین :

الغزالى من الاعلام الذين يتعدد ذكرهم على لسان جميع الناس ،
وقد سمعت الكثير من الآراء سلباً وابجاها ، ويمكن تقسيمها الى طائفتين :
الاولى : ترى في شخص الغزالى القدوة الصالحة ، لأنه فقيه متصرف ،
جمع بين الجانب النظري والعملي في نظرته الأخلاقية . فلم يوافق
النظريان في اعتمادهم على الفكر المجرد ، ولم يوفق العباد على اعتمادهم
الرياضة الروحية ، من غير تأصيل علمي نظري . بل بالعلم والعمل يتحقق
الصلاح ، وتؤتي الحياة ثمارها .

الثانية . أما الطائفة الثانية وهم المتقدون للغزالى ، ويرون فيه الآتي :

١ - ورد في كتبه نسبة من الحديث الموضوع ، أو الصيغ الذي
لا يصلح لبناء النظرية . وهذا صحيح ، شأنه شأن غيره ، ولا يوجد
اليه اللوم ، فهو ليس محدثاً يروي الحديث ، بل هو باحث يأخذ عن

(١٣) البداية والنهاية ١٢/١٧٤ ، اللباب في تهذيب الانساب ٢/١٧٠ ،
الوافي بالوفيات ١/٢٧٧ ، طبقات لشافعية ٤/١٠٣ ، الاعلام الموزركلى

علماء الحديث ، وينقل عن كتبه التي ظن أنها موثقة ، ثم يجتهد في الاستباط . وعلينا لا يسأل عن ذلك . وإنما الراوي والناقد . فإذا اضطر لتأضف الرواية ، أخرجت هي وما ترتب عليها ، سواء كانت عند الفزالي أو عند غيره .

٢ - أنه استشهد بالاسرائيليات واستعان بالقصص غير الموثقة علمياً وهذا صحيح أيضاً . ولكن الاستشهاد بالاسرائيليات كان مثار أعجاب الكتاب والمؤلفين حينذاك ، وإذا كان مفسرو القرآن قد استشهدوا بها ، فما يزال الأخلاقي ^٢ الذي يرى فيها رطوبة للنفس ومعيناً على مخاطبتها ، ونحن حين نرى ضرورة استبعاد الاسرائيليات والقصص غير الموثقة علمياً ، من كل مفاصل الثقافة والعلوم ، فتحن في القرن الخامس عشر ، والغزالى في القرن الخامس .

٣ - أما ما قيل من وجود اضطراب علمي ، ولغوی ، وتمويل على التصوف واهمال العلم ، فهو من قبيل الافتراضات ، أو النقد الذي لا ينجز منه كتاب .

فما قيل من وجود اضطراب بين ما قرره كأصولي وفقيه ، وما قرره كمتصرف أخلاقي ، يرجع إلى نسبة بعض الآراء الصوفية إليه . أما كتب الغزالى الموثقة النسبة إليه ، فلا تعارض فيها إطلاقاً . وأما الاضطراب اللغوي ، فهو يعود إلى خطأ في النسخ ^٣ حيث وجدت سقوط كلمات وجمل وسطور ، بل واضافات ، وعند تحقيق التصووص على عدة نسخ ^٤ والوقوف على عبارة الغزالى ، وجدت عبارته متسلقة وصحيحة لا خلل فيها ، بل فيها من القوة والأدب ^٥ ما يشد القارئ إليها .

وأما ما قيل عن تعويله على التصوف للوصول إلى الحقيقة ، مع أهمال

الجانب العلمي ، فهذه فرية لا أساس لها ، اذ عاب الغزالى على عباد الصوفية الذين أهملوا العلم ، وكتبه خير شاهد ، وكل ما قاله : أن العلم بلا عمل لا ينفع ، اذ لا يتم بناء الحياة الا بالعلم والعمل مما .

وبهذا : يكون الغزالى كفiro من عظماء المسلمين ، يؤخذ منه ويرد عليه ، وهو قدوة حسنة يُقتدى بها ، قدم الشيء الكثير ، وقطع في نظراته الأخلاقية شوطاً لا يستهان به ، ونقده بالجملة ، جهل وإفراط وضلال .

الفصل الثاني

آثاره ومصنفاته :

بدأ الغزالى التأليف في فروع الفقه وأصوله ، ومسائل الخلاف والجدل منذ صيامه ، ثم شملت أكثر فروع المعرفة ، التي كانت معروفة آنذاك .

ويتميز أسلوب الغزالى بالجزالة والوضوح والرقابة ، مع اثارة الوجдан ، كما اشتهر بحسن التقسيم والتبويب ، مما جعل الأجزاء متناسقة متراقبة ، تشكل وحدة شاملة ، وقد يطغى أسلوبه الجدلى أحياناً ، حينما يرد على بعض الأفكار .

وكتب الغزالى منها مطبوعة متداولة ، ومنها مخطوطه لم تنشر بعد .
المكتبة المطبوعة :

١ - احياء علوم الدين ، مطبوع عدة طبعات ، وقد اختصر ، وخُرّجت احاديثه ، دار الشعب ١٩٦٩ .

٢ - الآداب في الدين ، مطبوع ضمن مجموع الجوائز الغوالى .

٣ - اربع رسائل للغزالى ، مطبعة الاعلام ١٨٩١ والرسائل هي :

أ - العجم العوام عن علم الكلام .

ب - المنقد من الضلال .

ج - المضنوون به على غير أهله .

د - المضنوون الصغير ، وهو الموسوم بالأجوبة الغزالية في المسائل الأخرى .

٤ - كتاب الأربعين في أصول الدين ، طبع عدة مرات ، دار الآفاق .

١٩٧٩

- ٥ - الاقتصاد في الاعتقاد ، طبع عدة مرات آخرها طبعة محمد علي
صبيح ١٩٧١ .
- ٦ - الجام العوام عن علم الكلام ، المطبعة اليمنية ١٨٩١ .
- ٧ - الاملاه على شكل الاحياء ، قابس ١٨٨٤ .
- ٨ - الاوافق ، منسوب للغزالى ، طبعة البابي الحلبي .
- ٩ - أيها الولد ، طبع عدة مرات ، بغداد ١٩٦٩ .
- ١٠ - بحر المحبة في أسرار المودة ، منسوب للغزالى ، طبع سنة ١٩٠١ .
- ١١ - بداية الهدایة ، طبع مرات عديدة ، شرحه الشيخ محمد نعوي
الجاوی في كتابه شرح مراقي العبودیة ، وأشهر طبعات الكتاب بولاق
١٨٧٠ ، ومطبعة المعارف ١٩٦٩ ، وأخرها طبعة حلب ١٩٧٠ .
- ١٢ - التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، طبع عدة مرات ، الأداب ١٨٩٩ .
- ١٣ - التفرقة بين الاسلام والزنادقة ، ضمن مجموع هند .
- ١٤ - تزويه القرآن عن المطاعن ، مصر ١٩١١ .
- ١٥ - تهافت الفلاسفه ، طبع عدة مرات ، الخيرية ١٩٠١ ، ودار المعارف
١٩٥٥ .
- ١٦ - الجوادر الغوالی من رسائل الامام حجۃ الاسلام الغزالی ، مطبعة
السعادة ١٩٣٤ ، وفيها الرسائل الآتية :
 أ - كيمياء السعادة .
 ب - الرسالة اللدنية .
 ج - الادب في الدين .
 د - رسالة ايها الولد .

- ه - فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة .
 و - القواعد المشرة .
 ز - مشكاة الانوار .
 ح - رسالة الطير .
 ط - الرسالة الوعظية .
 ي - القسطاس المستقيم .
- ١٧ - جواهر القرآن ، طبع عدة مرات - دار الآفاق ١٩٧٨ .
 ١٨ - الحكمة في مخلوقات الله . دار احياء العلوم ١٩٧٨ .
 ١٩ - الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة ، طبع عدة مرات محمد علي صبيح ١٩٧١ .
 ٢٠ - الرد الجميل ، البحوث الاسلامية ١٩٧٣ .
 ٢١ - رسالة الطير ، ضمن مجموعة رسائل لقدماء الفلاسفة العرب ١٩١١ .
 ٢٢ - رسالة في تعليم الاولاد ، منسوبة للغزالى ، تونس ١٨٩٦ .
 ٢٣ - الرسائل الفرائد ، مكتبة الجندي . وتصم .
 أ - قواعد العقائد في التوحيد .
 ب - الحكمة في مخلوقات الله .
 ج - روضة الطالبين وعمدة السالكين .
 د - معراج السالكين .
 ه - خلاصة التصانيف في التصوف .
- ٢٤ - روضة الطالبين وعمدة السالكين ، منسوب للغزالى ، النهضة ١٩٦٦ .
 ٢٥ - سر العالمين وكشف ما في الدارين ، بومباي ١٨٩٦ .

- ٢٦۔ شفاء الغليل في بيان النبه والمخيل ومسالك التعليل ، تحقيق ده محمد الكبيسي ، الاوقاف ١٩٧٠ ٠
- ٢٧۔ العقود واللالم في رسائل الامام حجة الاسلام الفرزالي ، المطبعة محمودية ، وقضم :
- أ - الأدب في الدين ٠
 - ب - عجائب المحفوظات ٠
 - ج - كيمياء السعادة ٠
 - د - الرسائل المدنية ٠
 - هـ - بداية الهدایة ٠
 - و - الرسائل الوعظیة ٠
 - ز - الدرة الفاخرة
 - ح - القضاء والقدر ٠
- ٢٨۔ عقيدة أهل السنة ، الاسكندرية ٠
- ٢٩۔ فاتحة العلوم ، مصر ١٩١١ ٠
- ٣٠۔ فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية ، الدار القومية ١٩٦٤ ٠
- ٣١۔ فيصل التفرقة بين الإسلام والزنادقة ، البابي الحلبي ١٩٦١ ٠
- ٣٢۔ التسلطان المستقيم ، مطبعة الترقى ١٩٠٠ ٠
- ٣٣۔ قواعد العنايد ، ضمن مجموع ٠
- ٣٤۔ الكشف والتبيان في غرور الخلق أجمعين ، البابي ١٩٦٠ ٠
- ٣٥۔ كيمياء السعادة ، ضمن مجموع ٠
- ٣٦۔ المحة والثمح والأنس والرضا ، البابي ١٩٦١ ٠

- ٣٧- محك النظر في النطق ٢ المطبعة الادبية ٠
- ٣٨- مدخل السلوك الى منازل الملوك ٢ العلم ١٩٦٥ ٠
- ٣٩- المرشد الأمين الى مواعظ المؤمنين ٢ البابي ١٩٤٩ ٠
- ٤٠- المستحضرى من علم الاصول ٢ بولاق ١٩٠٦ ٠
- ٤١- مشكاة الأنوار ٢ طبع عدة مرات ٢ بيروت ١٩٧٣ ٠
- ٤٢- المحسنون به على غير أهله ٢ ضمن مجموع ٤
- ٤٣- معراج القدس في مدارج معرفة النفس ٢ دار الأفق ١٩٧٨ ٠
- ٤٤- المعارف العقلية ٢ دار الفكر ١٩٦٣ ٠
- ٤٥- معراج السلوك ٢ القاهرة ١٩٢٤ ٠
- ٤٦- معيار العلم في فن النطق ٢ دار الاندلس ١٩٦٤ ٠
- ٤٧- مقاصد الفلاسفة ٢ مطبعة السعادة ١٩١٢ ٠
- ٤٨- المقصد الاسنى شرح اسماء الله الحسنى ٢ مطبعة السعادة ١٩٠٦ ٠
- ٤٩- مكاشفة القلوب المقرب الى حضرة علام الغيوب ٢ مختصر من المكاشفة
الكبرى للغزالى ٢ مطبوع عدة مرات ٢ مكتبة الشعب ١٩٧٤ ٠
- ٥٠- التخلو من تعلقات الاصول ٢ دار الفكر ١٩٧٠ ٠
- ٥١- المتقد من الضلال ٢ طبع عدة مرات ٢ مؤسسة ناصر ١٩٨٠ ٠
- ٥٢- منهاج العبادين ٢ التقدم ١٩٢٨ ٠
- ٥٣- مواعظ المؤمنين في احياء علوم الدين ٢ المكتبة التجارية ١٩٦٠ ٠
- ٥٤- ميزان العمل ٢ مطبوع عدة مرات . دار الكتاب العربي ١٩٧٩ ٠
- ٥٥- الوجيز في الفروع ٢ مطبعة المؤيد ١٨٩٩ ٠
- ٥٦- الوسيط المحيط باقطرار البسيط ٢ طبع منه جزءاً تحقيق الشیخ
علي محی الدین القرداشی ٢ دار النصر ١٩٨٣^(١) ٠

(١) انظر ذخائر التراث العربي الاسلامي ٧١٥/٢ وما بعدها ، مؤلفات
الفنزلي ص ١٣٨ وما بعدها .

الكتب المخطوطة

لقد ذكر الدكتور مصطفى غالب^(٢) ، جملة من كتب الفزالي المخطوطة مع أماكن وجودها ، نذكر بعضًا منها :

- ١ - جامع الحقائق بتجربة العلاقة ، منه نسخة خطية في مكتبة (أويسال) .
- ٢ - زهد الفاتح ، منه نسخة خطية في المتحف البريطاني .
- ٣ - حقائق العلوم لأهل الفهوم ، منه نسخة خطية في مكتبة باريس .
- ٤ - نور النعمة في بيان ظهر الجمعة ، منه نسخة خطية في ليدن .
- ٥ - البسيط في الفروع ، منه نسخة في مكتبة (الاسكوريال) وأخرى في (دار الكتب المصرية) .
- ٦ - غاية مسائل الدور ، منه نسخة في المتحف البريطاني .
- ٧ - فضائل القرآن ، منه نسخة خطية في (دار الكتب المصرية) .

وما ذكرنا هو جزء مما كتب الفزالي ، حيث ذكر أن له (٢٢٨) كتاباً عدا المشكوك في نسبتها إليه ، ولعل قسمًا منها قد ضاع ، ولا زال القسم الآخر في مكاتب خاصة ، لم تعلن فهرستها بعد .

نسخ كتاب بداية الهدایة وتهذیب النقوس بالأداب الشرعية .
لقد اعتمدت في تحقيق بداية الهدایة ، على أربع نسخ ، اثنان مطبوعة ، وأثنان مخطوطة ، وهي كالتالي :

- ١ - النسخة المطبوعة في مصر بطبعية مصطفى البابي ، وهي مطبوعة على هامش كتاب شرح مرافق العبودية للشيخ محمد فوزي

^(٢) انظر الفزالي ص ٣٧ وما بعدها .

الجاوی ، وهو شرح لكتاب بداية الهدایة نفسه ، وقد يسر هذا الشرح علىَّ الكثير من مشاكل ضبط النص .

وقد حظيت هذه الطبعة بعناية خاصة في التدقيق والطباعة ، فهي أدق النسخ وأصحها . لذا اعتبرتها هي الاصل ، وحرصت على أن لا أغير لفظها بالفاظ النسخ الأخرى عند تقارب المعنى ، واختلاف اللفظ ، أو اختلاف حروف المعاني .

أما اذا وجدت الصواب ما ورد في النسخ الأخرى ، وحصلت لي القناعة بأن هذه العبارة هي عبارة الغزالی ، بالرجوع الى كتبه الأخرى ، وأن ما ورد في الاصل كان من قبيل التصحیف أو الخطأ في النسخ ، أو خطأ الطباعة ، فعند ذلك أستبدل باللفظ ما اقتضت بصحته .

٢ - النسخة المطبوعة في بغداد بطبعية المعارف سنة ١٩٦٩ ، وهي مقتولة عن النسخة المطبوعة في مصر ، لذا فهي تشكل مع سابقتها فصيلة واحدة ، وقد اعتبرتهما نسخة واحدة ورمزت لهما بالحرف (أ) . وقد اعتمدت نسخة بغداد ، لأنها مطبوعة لوحدها مما يسهل عملية الترقيم ، والرجوع الى صفحات الكتاب أثناء الدراسة .

٣ - النسخة المخطوطة الموجودة بمكتبة الاوقاف العراقية المرقمة ١٢٢٣٥ ، وهي نسخة جميلة الخط رائعة الترتيب ، يعود نسخها الى سنة ١٩٤٥هـ . وقد وجدت فيها زيادات ، بين الناسخ فيها الخلاف بين المذاهب ، في بعض مسائل الكتاب ، لا سيما بين الشافعية والحنفية ، وقد جعلتها بالهامش على شكل زيادة ، لظنني أنها ليست للمؤلف ، وإنما هي زيادة من الناسخ . وقد رممت لها بالحرف (ب) .

٤ - نسخة مكتبة الاوقاف العراقية المرقمة ٩٧٧٩ ، حديثة الخط ، خطها جيد مقروء ، عليها بعض التعليقات في حواشيه ولا تحمل تاريخ

النسخ ، وأغلب الفتن أنها نسخت في القرن الحادى عشر .
 وفيها زيادة في ص ٧ قال الناسخ . قبل الحوض فيما يراد من بداية
 الهدایة ، المخوض في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمة الشهادة التي هي
 احادى قواعد العقائد فنقول ٠٠٠٠ وبعد ١٨ صفحة يعود الى كتاب بداية
 الهدایة ، فيقول : فاعلم أن بدايتها ظاهر التقوى ٠٠٠٠ ويبدو أنه حسر
 كتاب (عقيدة أهل السنة) داخل كتاب بداية الهدایة ، وقد أهملت هذه
 الزيادة ، لأنها ليست من الكتاب ، وإنما هي كتاب مستقل ، تصرف
 الناسخ بوضعها .

الفصل الثالث

تحليسي في التحقيق :

حين بدأت بتحقيق كتاب بداية الهدایة للإمام الغزالی ، وهو كتاب مطبوع ، كنت شاكاً في القيمة العلمية لهذا التحقيق ، وبعد الاتهاء من تحقيقه ، خرجت جازماً بضرورة تحقيق الكتب المهمة ، والتي تقراً باطمئنان ، ويرجع عنها بلا تحفظ ، وما من كتاب إلا و تعرض للتصحیف والنسیان والخلط عند النسخ ، حتى أثناء الطباعة يحصل الخطأ ، وسقوط بعض مادة الكتاب .

وعلى الرغم مما حظي به كتاب بداية الهدایة من عناية ، وجدت الكثير من الأخطاء والتصحیفات ، التي تسبب للمؤلف أحياناً ، بينما هي من سهو الناشر أو خطأ الطباعة ، وأذكر على سبيل المثال بعض ما قمت بتصحیحه بالرجوع إلى كتب الغزالی ذاتها ، مثل كتاب إحياء علوم الدين وكتاب آداب الصحابة ، وبمقارنته النسخ ببعضها :

١ - ص ٢٠ س ٩ من كتاب بداية الهدایة طبعة ب福德اد ، قوله :
(ولا تستقبل القبلة ولا الشمس ولا القمر ولا تستدبرها) والصحيح الذي أبته في الكتاب (ولا تستقبل الشمس ولا القمر ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها) ، وذلك لأن استدبار الشمس والقمر ، لم يرد به نهي ، كما أن العبارة توحى بضعف لفوي .

٢ - ص ٢١ س الاخير قوله (فلا ترك السواك فانه مطهرة للفم) والصحيح (فلا ترك السواك الا حيث نهاك عنه ، وهو في الصنوم بعد الزوال) .

٣ - ص ٣٠ س قبل الاخير قوله (فأمساك أن تقدني من النار) والصحيح (فأمسك أن تقدني من النار وتدخلني الجنة) .

٤ - ص ٣٤ س ١٠ قوله (فاقطع ما أنت فيه) وال الصحيح (فاقطع
ما أنت فيه الا الصلاة) °

٥ - ص ٣٨ س ١٠ قوله (وحصل الحسرة والندامة وطول
الاغترار) وال الصحيح (بطول الاغترار) °

٦ - ص ٤١ س ٩ قوله (وسيلة الىأخذ اموال السلاطين) وال الصحيح
(وسيلة الىأخذ الاموال من السلاطين) °

٧ - ص ٥٨ س قبل الاخير قوله و بذلك أمرت وأنا أول المسلمين
وال الصحيح (وبذلك أمرت وأنا من المسلمين) °

٨ - ص ٦٦ س ١٢ قوله (واسع اليه على الهيئة والسكنية)
وال الصحيح (على الهيئة والسكنية) أي الترافق في المتشي °

٩ - ص ٦٩ س ٦ قوله (مجالس الخلق) وال الصحيح (مجالس
الخلق) جمع حلقة °

١٠ - ص ٨٧ س ٣ قوله (أو غيره) وال الصحيح (مَبَرَّةً) °

١١ - ص ١١٧ س ٣ قوله (على صنيعه في وجهه) وال الصحيح (على
صنيعه في حقه) °

وعملني في تحقيق كتاب بداية الهدایة كالأتي :

١ - قابلت النسخ الأربع مع بعضها ، واخترت المفظ الذي ظنت
أنه نص المؤلف وأتبته في صلب الكتاب ° وأغفلت الخلافات التي
لا يترتب عليها خلاف في المعنى ، أما الخلاف الذي يترتب عليه خلاف
في المعنى فقد أتبته في الهاشم ، وقد حرصت على عدم اتفاق النص
بالهاشم °

- ٢ - تفسير المفردات التي تحتاج الى تفسير لغوي ، أو اصطلاحى ،
مع التعليق على بعض فقرات الكتاب ، اذا اقتضت الضرورة ٠
- ٣ - ترجمة الاعلام الواردة في الكتاب ، وذكر أرقام الآيات ٠
- ٤ - قسمت الموضوع الى عناوين وسطية وجانبية محصورة بين
قوسین من دون أرقام ، لئلا تختلط بكلام المؤلف ، واذا توقف فهم المعنى
على كلمة ، أضافتها بين قوسین ٠
- ٥ - خرجت الاحاديث الواردة في الكتاب ، والمسندة الى النبي صلى
الله عليه وسلم ، وتحقق ما قيل فيها من صحة وضعف أو وضع ، واذا
كان الاستشهاد بجزء من الحديث وكان من الضروري ذكره ، أكملته
في الحاشية . مع ذكر اختلاف اللفظ بين الكتاب والمسند ٠
- ومن تبعي لايحدث الوارد في الكتاب ، وجدت بعض الاحاديث
الضعيفة التي لا يعول عليها ، فذكرت أقوال المحدثين فيها ٠
- ٦ - قمت بدراسة مناسبة ، حيث كتاب بداية الهدایة في العبادة ،
والذكر والدعاء ، وأدب الصحبة ، فرأيت أن أضع له مقدمة تألف من
بابين ، خصصت الباب الاول ، لترجمة الغزالی وأهميته العلمية ، وآثاره ،
ونسخ كتاب بداية الهدایة ٠
- وخصصت الباب الثاني لتركیة النفس وأثرها في حیاة الفرد
والمجتمع . والباب يتكون من خمسة فصول ، الايمان ، والتوبة ،
والعبادة ، والذكر والدعاء ، وحسن الخلق ٠
- اذ أن تركیة النفس الانسانية من الشوائب ، لها أثراً في قبول
العبادة ، أو العمل على عمومه ، بالدرجة الاولى ، وفي انتظام سلوك وحياة
الفرد والمجتمع بالدرجة الثانية ٠

وَهُنَا لَا يَدِي مِنِ الْإِشَارَةِ إِلَى أَمْرٍ لَهُ عَلَاقَةٌ بِالْتَّصُورِ الْعَامِ لِلْعِبَادَةِ ٠
اَذْ ذُكِرَ أَنَّ الْعِبَادَةَ تَهْدِي إِلَى صَقْلِ النُّفُوسِ وَتَهْذِيْبِهَا ٠ فَهِيَ رِياضَةٌ
رُوْحِيَّةٌ بَدْنِيَّةٌ ٠ وَضَعْهَا اللَّهُ لِتَصْفِيَّ نُفُوسَ الْبَشَرِ مِنْ شَوَّابِ الْحِيَاةِ ٠
وَالنَّزَاعَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ ٠

وَلَا نُسْتَطِيْعُ انْكَارَ مَا لِلْعِبَادَةِ مِنْ أَثْرٍ فِي هَذَا الْمَجَالِ ٠ وَلَكِنْ ذَلِكَ
يَجْعَلُهَا وَسِيلَةً لِبَعْضِ شَرْوَطِهَا ٠ وَهَذَا انْحرافٌ فِي التَّصُورِ ٠ اَذْ الْوَاقِعُ
الْعِبَادِيُّ يَشْهُدُ بِجَهْلِ تَزْكِيَّةِ النُّفُسِ ٠ وَسِيلَةٌ تَهْدِي إِلَى وَقْوَعِ عِبَادَةٍ
مُرْضِيَّةٍ ٠ مَقْبُولَةٍ ٠ مُنْتَفَعٌ بِهَا ٠

فَلَيْسَ هَدْفُ الْعِبَادَةِ ٠ تَطْهِيرُ النُّفُوسِ وَصَقْلُهَا وَالْأَرْتَفَاعُ بِهَا إِلَى
مَسْتَوْيِ الْمَثَلِ وَالْقِيمِ الرَّفِيقَةِ ٠ بَلْ هَدْفُهَا اِمْتِشَالُ أَمْرِ اللَّهِ ٠ وَرِضاَوْهُ ٠

اَمَا كُونَهَا تَحْقِيقُ الْفَوَائِدِ الَّتِي لَا تَعْدُ ٠ فِي حِيَاةِ الْفَرْدِ وَالْمَجَمِعِ ٠
فَهَذَا اَمْرٌ طَبِيعِيٌّ ٠ اَذْ بَعْدَ الْهَدْفِ الرَّئِيْسِيِّ ٠ تَحْقِيقُ اَهْدَافًا اُخْرَىٰ ثَانِيَّةٌ ٠
وَمَا اَمْرَنَا اللَّهُ اَلَا بِمَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالْفَلَاحُ ٠ وَمَا نَهَا نَهَا اَلَا عَمَّا فِيهِ ضَرُرٌ
وَفَسَادٌ ٠

فَتَزْكِيَّةُ النُّفُسِ ضَمَانٌ لِقَبْوُلِ الْعَمَلِ ٠ وَهِيَ مَنْاسِبَةٌ لَا نَسْبَقُ الْعِبَادَةَ
فِي الْبَحْثِ ٠

الباب الثاني

تزكية النفس وأثرها في حياة الفرد والمجتمع

ان تزكية النفس وتهذيبها كما أراد الله ، لا تكون الا من شخص آمن ايماناً حقيقياً ، ثم توجه الى الله بالتوبيه النصوح ، ثم أيد هذا بالعبادة كواقع عملي ، لما آمن به وعزم عليه ، ثم تفاعل مع الایمان ، والتوبه ، والعبادة ، بالذكر والدعا ، ثم انعكس ذلك على سلوكه اليومي على شكل خلق نابع من معتقده .

الفصل الأول

الایمان

الایمان في شخص ورق المسلطية :

الایمان أساس الدين ، وهو الوازع الداخلي الحي المتجدد ، الذي يلازم الفرد في تفكيره وتأمله ، ويوقف الضمير لرراقبة أفعال الإنسان ، ما خفي منها وما ظهر ، وهو الذي يحثه على مكارم الاخلاق ، ويعده عن الرذيلة .

فهو الأساس الذي ترتكز عليه جميع التصرفات ، فان كان الایمان صحيحاً ، كان السلوك منتظماً . وان ساخته شائبة ، اضطرب السلوك ، واحتلت الفضيلة بالرذيلة ، وساعت حالة المجتمع .

ويُعدُّ الایمان ضمانة أكيدة لاحترام القانون ، اذ ثبت بالشاهدية أن القانون مجرد ، ليس له من السلطان ما يجعل الفرد ملتزماً ذاتياً ، وانما يكتسب سلطانه من ممارسة السلطة التنفيذية ، وهذه بدورها عاجزة عن أداء مهامها في كل الاحوال ، لا سيما عند غفلة الرقيب .

أما المجتمع الذي امترج فيه الإيمان بالقانون ، فإنه يختلف تماماً عن المجتمع المادي ، حيث وجدنا المجتمع المؤمن . تسوده الظواهر السلبية التي تشجع على الازتمان الذاتي ، والاحترام المتبادل بين الفرد والجماعة . أما المجتمعات المادية ، فهي باستمرار تفتخر بابتكرارات أمنية لا تخطر على بال ، ومردتها انعدام الثقة بين الفرد والمجتمع .

الإيمان شعور فطري :

عند تأمل الإنسان بنفسه والكون وما حوله ، يُشرق بنفسه شعور بوجود قوة كبرى تهيمن على هذا الكون وتدبره ، وتتصرف فيه بالحياة والموت ، والبناء والفناء ، والتغيير والتطور ، والحركة والسكنون وغير ذلك .

إن الإنسان يشعر بهذه الحقيقة ويحسها ، سواء قام لديه الدليل ، على صدق هذا الشعور ، أم لم يقم . ودليل الفطرة ، ودليل البداهة ، شاهد يسبق الشواهد النظرية ، وقد يكون أدق منها وأصدق^(١) .

ومما لا شك فيه أن الإنسان ليشعر بالسعادة ، إذا تم التوافق بين الحقيقة العلمية ، وبين ما يُحسنه بالفطرة .

قال تعالى (فَقَمْ وَجَهَكَ لِلَّدِينِ حِنْفِيَاً فَطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)^(٢) .

فالقرآن يقرر أن الدين فطرة في الإنسان ، فطر الله الناس عليها ، وأن أساسه الاعتقاد بخالق الكون ، وأنه واحد لا شريك له ، وعند التأمل يجد الإنسان نفسه مخلوقاً لاله قادر حكيم منعم .

(١) انظر الخصائص العامة للإسلام ص ١٤ .

(٢) السروم ٣٠ .

فلا يمان فطرة في النفس الإنسانية المجردة ، وهذه النفس تدرك وجود ربها لذا ترجع اليه في الشدائـد ، و تستمد منه العون وتطلب النجدة .

تعريف الآيمان :

الآيمان لغة : التصديق ^(٣) .

وفي الاصطلاح . هو الاعتقاد بالقلب ، والاقرار باللسان ^(٤) .

فلا يمان تصدق القلب والعقل عن افتتان واطمئنان بوجود الخالق سبحانه وتعالى . وبرسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو تصدق باطني ، وشعور داخلي من صميم العقل ، لبنيته على التفكير ، ومن صميم القلب لما يستتبعه من رضاء النفس والاطمئنان ^(٥) .

قال الغزالى (الآيمان هو قول باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالarkan) ^(٦) .

arkan الآيمان :

أركان الآيمان ستة ، كما وردت بالحديث الشريف (الآيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتومن بالقدر خيره وشره) ^(٧) .

(٣) مختار الصحاح ص ٢٦ .

(٤) التعريفات التجرجاني ص ٣٤ .

(٥) انظر المعامـم الخلـقـية للقوـانـين الشرـعـية ص ٢٧ .

(٦) مجموعـة الجواـهر الغـوـالـيـ رـسـالـة أـبـيـ الـوـالـدـ ص ٦١ .

(٧) رواه مسلم وأصحاب السنن عدا ابن ماجة ، الجامع الصغير ج ١ رقم ٣٠٩٢ .

كَيْتَسْأَنْ بِاللَّهِ :

الإيمان بالله هو الركن المهم من أركان الإيمان ، وهو أساس
الاركان الأخرى ، التي تعتمد عليه ، ولو لا ذلك لما بقي لها أهمية .
ومعناه الاعتراف والتصديق ، بأن الله واحد لا شريك له ، وهو
السيد المولى المطاع ، والممالك المحاكم ، لا الله غيره ولا وسيط بينه وبين
 العباد ، والمتصرف المدبر لوحده ، وليس لأحد سواه سلطان ، وخلق
الإنسان لمعرفته وعبادته ، وتعبده كما بين في كتابه ، وعلى لسان نبيه
الكرم محمد صلى الله عليه وسلم .

فَبِالْيَمِينِ شُفَعْ وَبِالْيَمِينِ فَتَهْ :

١ - الشعور الفطري في الإنسان ، بوجود قوة كبيرة مهيمنة على
الكون ، علية ، حكمة ، من الدلائل الصادقة على وجود الخالق .

وفي حياة الإنسان أمثلة كثيرة يتوافق فيها الشعور الفطري ، مع
ما هو كائن فعلا ، أو ما يجب أن يكون ، بشكل لا يقبل الزيادة
والنقصان . فالطفل حديث الولادة ، ينساق بالفطرة للرضاعة ، من غير
أن يعلمه أحد ، أو يدرك ذلك بدليل عقلي أو حسي .
وكثيراً ما يندفع الإنسان نحو حاجاته ، اندفاعاً فطرياً ، وقد لا يعرف
حقيقة الأمر إلا بعد حين .

وكتير من الحقائق العلمية ، كانت في يوم ما من قبيل الخيال
العلمي ، الذي أحسن به الإنسان بفطرته ليس إلا .
والشعور باللذة والآلم ، والحب والبغض ، والكرامة والرغبة ،
وما إلى ذلك ، لا دليل على وجودها في داخل الإنسان ، سوى كونه يشعر
بها ، ولكنها موجودة بالتأكيد .

ومما لا شك فيه أن هذه الفطرة وهذه الاحسasات هي العجيبة فـيـا ، لم توجـد عـبـثـا ، بل هي فـطـرـ صـادـقـة موافـقة لـلـوـاقـعـ الكـوـنـي ، وـمـوـافـقة لـلـحـاجـاتـنا ، فلا يمكن الاستغنـاء عنـ الفـطـرـةـ وـالـاسـتـعـاضـةـ بـفـيـرـها ، ما لم تـكـنـ شـاذـةـ أوـ مـرـيـضـةـ .

وـمـنـ هـذـهـ الـاحـسـاسـاتـ الـفـطـرـيـةـ الصـادـقـةـ فـيـاـ ، الـاحـسـاسـ بـوـجـسـودـ الـخـالـقـ ، وـالـتـلـهـيفـ دـائـمـاـ لـعـونـتـهـ وـاـمـدـادـتـهـ ، وـالـشـعـورـ بـحـاجـةـ الـكـوـنـ الـكـبـيرـ فيـ نـظـامـهـ وـارـقـائـهـ ، وـمـاـ فـيـهـ مـنـ اـبـدـاعـ وـحـيـاةـ وـمـوـتـ ، إـلـىـ قـدـرـتـهـ وـعـلـمـهـ وـحـكـمـتـهـ سـبـحـانـهـ .

وـشـتـرـكـ بـهـذـهـ الـاحـسـاسـ جـمـيعـ الـخـلـائقـ الـمـدـرـكـةـ ، عـلـىـ اـخـتـلـافـ نـزـعـاتـهـاـ وـمـسـتـوـيـاتـهـاـ وـبـيـانـهـاـ ، وـيـشـتـرـكـ فـيـهـ الصـغـيرـ وـالـكـبـيرـ ، وـالـعـالـمـ وـالـجـاهـلـ ، وـالـبـدـائـيـ وـالـمـتـحـفـرـ ، يـشـعـرـ بـهـ الـإـنـسـانـ فـيـ الـبـادـيـةـ ، كـمـاـ يـشـعـرـ بـهـ فـيـ الـمـخـبـرـ ، فـالـكـلـ يـشـعـرـ بـأـنـ اللـهـ حـقـ .

قال تعالى (قـالـ رـسـلـهـ أـنـيـ اللـهـ شـكـ) فـاطـرـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ)^(٨) .

وقـالـ (صـبـغـةـ اللـهـ وـمـنـ أـحـسـنـ مـنـ اللـهـ صـبـغـةـ وـنـحـنـ لـهـ عـابـدـونـ)^(٩) .
وقـالـ (فـاقـيمـ وـجـهـكـ لـلـدـينـ حـيـفـاـ فـطـرـةـ اللـهـ الـتـيـ فـطـرـ النـاسـ عـلـيـهـاـ لـاـ تـبـدـيلـ لـخـلـقـ اللـهـ ذـلـكـ الـدـيـنـ) الـقـيـمـ وـلـكـ أـكـثـرـ النـاسـ لـاـ يـعـلـمـونـ)^(١٠) .

هـكـذـاـ تـشـعـرـ النـفـسـ الصـافـيـةـ بـخـالـقـهـاـ وـتـحـسـ بـهـ بـكـلـ صـدـقـ ، وـلـكـ بـعـضـ الـنـفـوسـ تـرـأـكـتـ عـلـيـهـاـ الـادـرـانـ ، فـتـمـلـلـتـ فـيـهـاـ هـذـهـ الـبـيـفـافـيـةـ ،

(٨) إبراهيم / ١٠ .

(٩) البقرة / ١٣٨ .

(١٠) الروم / ٣٠ .

وخفت هذا الشعور ، لامور كثيرة ، منها ما تركه التهوات في النفس ،
وما قد تؤثره بعض الغرائز غير الموجهة ، وربما رافقته شكوكه مادية ، مما
يدعو لاقامة الدليل العلمي النظري .

٢ - البحث العلمي المجرد عن الهوى ، والتعصب ، يوصل الانسان
قطعاً الى الايمان ، وربما كانت هذه الحقيقة وراء تقدس الاسلام للعلم ،
واجلاله للعلماء .

فالاسلام لا يخشى على عقائده ومبادئه من أي بحث سليم ، لانه
على يقين بأن هذا البحث ، سيوصل أصحابه الى نفس النتائج التي
قررها ، ولأنه حقيقة ، والحقيقة لا تخشى البحث^(١١) .

أما ما قيل من وجود تعارض بين العلم والاسلام ، في بعض
الجزئيات العملية في الحياة ، فهو لا يهدو أحد ثلاثة أمور :

الاول : عدم اكمال البحث العلمي ، بحيث يصل درجة الحقيقة
العلمية المسلم بها ، وعند ذلك يبدو مخالفاً لبعض ما هو مقرر ، وعندما
تصل المعلومات الى مستوى الحقيقة العلمية الثابتة ، ستتجدد نفسها بين يدي
الحقيقة المقررة في الاسلام .

الثاني : واما لان المقول عن الاسلام ، ليس صحيحاً وفق المنهج
العلمي المتبعة في نقل النصوص . وقد وجدنا التعارض بين الحقائق
العلمية ، وبين روایات ضعيفة لا تصلح ، أو موضوعة ، وهذه لا تمثل
مبادئ الاسلام .

وأرى الواجب يفرض على الباحثين في العلوم الاسلامية ، الاهتمام
بالرواية وشروط قبولها ، لاستخلاص الحقائق العلمية ، من دون التورط
بمزاعق بسبب الففلة وقلة الاعتناء والتتبع ، وبالتالي الاصابة للدين .

(١١) انظر العقيدة الاسلامية وأسسها ٩٣/١ ما بعدها .

الثالث : واما لانه وقع خطأ في تفسير النص المقطوع به ، من قبل بعض المجهدين ، وفق المعطيات العلمية السائدة في عصرهم .
وعلمون أن الدين ليس مسؤولا عن التسائج المترتبة على مقدمات خاطئة ، توصل إليها أهل الرأي والاجتئاد .
أما الحقائق المقطوع بها من قبل أهل العلم ، والحقائق المقطوع بها في الدين ، فلا بد أن يلتقيا في الحقيقة الواحدة ، لأن الحق لا يتعدد في الاعتقاد ، والكائنات الثابتة .

وبعد هذا التوجيه ، نجد الحقائق العلمية دائمًا مسبوقة بالحقائق التي جاء بها الاسلام^(١٢) .

وهذا باعث قوي للوصول الى الايمان عن طريق البحث العلمي ، حيث وجد المختصون ، وفي كل مجالات الحياة ، أنهم يدورون في فلك القرآن ، فيكون ايمانهم أقوى وأصدق .

قال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء)^(١٣) . وذلك لأنهم أعلم بجلال ربهم .

٣ - الكون أثر شاهد على وجود الله :

لقد بث الله تعالى دلائل وجوده في كل شيء في الكون ، فكلما تأمل العقلاه في هذا الكون الكبير ، وما هو عليه من حكمة وابداع ، لاح لهم برهان جديد على وجود الله ، فلا يمكن لشل هذه الدقة أن تأتي من نفسها ، دونها هرريف من صانع حكيم .

وهذا الكون وما فيه آثار ، تدل على وجود المؤثر ، ولكل أثر

(١٢) انظر روح الدين الاسلامي ص ٨٦ .

(١٣) فاطر ٢٨ .

مؤثر عقلاً ، وقد تبين بالمشاهدة ، استحالة وجود أي شيء من لا شيء ،
أو من نفسه (١٤) .

الإيمان بالملائكة :

الأيمان بالملائكة ركن من أركان الأيمان ، وهو من قبيل الإيمان بالغيب ،
فالملائكة أرواح مكرمون ، ليسوا من طبيعة البشر ، ولكنهم مثله في كونهم
عباد لله . قال تعالى (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره
يسلون) (١٥) . ذهب محبولون على الطاعة وتفيد أوامر الله ، قال تعالى
(لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (١٦) .

ومن الملائكة حفظة يرافقون الناس ويسجلون عليهم أعمالهم ليوم
الحساب ، قال تعالى (وان عليكم لحافظين كراماً كتابين يعلمان
ما تفعلون) (١٧) .

ومنهم من يتوفون الناس ، ويستفسرون للمؤمنين ، ويواسون
المستقيمين منهم ، ويشفعون لهم عند ربهم ، ويتولوهم في الدنيا والآخرة ،
قال تعالى (ويستغفرون للذين آمنوا) (١٨) . وقال (ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا
بـالجنة التي كتمت توعيدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) (١٩) .

ومنهم أئمة الوحي ورسلة الى الانبياء العظام ، كما جاء في الذكر

(١٤) لقد قصدت في هذه الموضوعات الاجمال والسهولة ، ومن اراد
الاطلاع بالتفصيل ، فلينراجع كتب العقائد الإسلامية ، أو ما يسمى
بعلم الكلام .

(١٥) الانبياء ٢٦-٢٧ .

(١٦) التحرير ٦ .

(١٧) الانقطاع ١٠-١٢ .

(١٨) غافر ٧ .

(١٩) فصلت ٢٩-٣٠ .

الحكيم (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً)^(٢٠)
وجاء به أيضاً (بآيدي سفرة كرام بربة)^(٢١) .

ومن هؤلاء الملك جبريل ، وأسمه أيضاً الروح الأمين ، أو روح القدس ، وهو الذي كان واسطة الوحي الألهي ، ونزل بالقرآن الكريم ، على النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم^(٢٢) .

الأيمان بالكتب :

وجوب الإيمان بالكتب السماوية :

الإيمان بالكتب السماوية ركن من اركان الإيمان ، وهي تحتوي على ما بلغه الله للإنسان من الأوامر والنواهي إلى أممهم ، لذا وجب الإيمان بهذه الكتب لأنها من عند الله ، وهي تمثل مرحلة من مراحل الإنسانية ، قال تعالى (آمن الرسول بما أُنزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ)^(٢٣) . وقد ذكر القرآن من هذه الكتب التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف إبراهيم .

فالعلاقة التي تربط الإسلام بالديانات السماوية في صورتها الحقيقة هي علاقة تصديق . قال تعالى (وَأَنْزَلَنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مَصْدِقاً لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَهِمَّا عَلِيْهِ فَاحْكُمْ بِمَا أُنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ لَكُمْ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)^(٢٤) .

وانما اختلف شرائع الرسل في بعض الأحكام الصالحة ، والتفضيلات الجزئية بما يقتضيها صلاح النقوص ، لأن الشريعة الصالحة ، وطرف تزكية

(٢٠) فاطر ١ .

(٢١) غيس ١٦١٥ .

(٢٢) انظر العقيدة الإسلامية وأسسها ١٤/٢ ، الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية ص ٣٢ .

(٢٣) البقرة ٢٨٥ .

(٢٤) المسندة ٤٨ .

النفس تختلف باختلاف الاحوال والبيئات ولأستعدادات الذهنية والنفسية
والاجتماعية .

أما أصول الدين ، فالاديان متفقة عليها في التوحيد ، والاخلاص لله ،
وأمهات الاخلاق .

انقرآن والكتب السماوية الأخرى :

الكتب السماوية التي سبقت القرآن ، لم تدون حين نزولها ، وقد طال عليها الأمد ، وتغيرت لغاتها ، وترجمت أكثر من مرة ، وامتدت إليها الأيدي بالتحريف على من المصور ، لذا فالنفس لا تطمئن إلى جميع نصوصها . قال تعالى (تَالَّهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ أَمَّا مِنْ قَبْلِكَ فَزَرَّنَاهُ شَيْطَانٌ) (٢٥) لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٢٥) .

اما القرآن : فقد تعهد الله بالرعاية والحفظ ، قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٢٦) . وهذه حكمة الله ، فهو آخر كتاب سماوي ينزل للبشرية ، فلا بد أن يثبت كما أنزل له الله ، وإذا وقع التحريف في الكتب السماوية السابقة له ، فقد سبق لعدم الله أن هذا يصحح بالقرآن ، وبما أن القرآن لا كتاب بعده ، فالحكمة تقضي أن يبقى صحيحاً ، لا تمتد إليه يد عبث .

ولقد دون القرآن فور نزوله ، وكان جبريل عليه السلام يراجعه مع النبي صلى الله عليه وسلم في كل عام ، وفي العام الأخير راجعه مرتين .
وقد هيا الله له من الكتبة والمحفظة والمفسرين والدارسين ، ما يجعلنا نجزم بيئاته كما أنزل له الله .

(٢٥) النحل ٦٤-٦٣ .

(٢٦) الحجر ٩ .

أضف الى ذلك أن الله التي نزل بها القرآن ، ما زالت حية ، وهي لغة الحياة والابداع . لم تغير مفرداتها وأساليبها .

فالقرآن ما زال بنصه وروحه ، اذا فالنفس مطمئنة اليه ، لعدم الشك في قطعية ثبوت نصوصه ^(٢٧) .

وعليه فالقرآن الكريم الموجود بين دفتري المصحف الآن ، هو القرآن المنزل على محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، دونما زيادة أو نقصان أو تحريف ، وسيقى الى يوم القيمة كما هو ، وهذه معجزة انفراد بها هذا الكتاب ، وهي عائدة للحفظ الألهي .

الأيمان بالرسل :

الأيمان ببعثة الرسل من أركان الأيمان ، فيجب على كل مؤمن ومؤمنة الاعتقاد بارسال الرسل من بين البشر لتبيينهم أمر ربهم ، مع وجوب الاعتقاد بكل صفات الكمال ، وأنهم يبلغون عن الله ، والتقييد بما جاءوا به من أمر ونهي .

وقد بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، قال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق) ^(٢٨) .

فالرسل يبشرون الناس بالخير والسعادة في الدنيا والآخرة ، باتباع شرع الله ، وينذرونهم بالخسران في الدنيا والآخرة ، اذا اتبعوا شهواتهم ، وأعرضوا عن أوامر الله ^(٢٩) .

(٢٧) انظر في ذلك أصول الدين الإسلامي ٢٢٣ ، مبارات الإسلام ص ٨ ، روح الدين الإسلامي ص ١٤٦ ، الوجيز في أصول الفقه ص ١٤٩ .

(٢٨) البقرة ٢١٣ .

(٢٩) انظر في ذلك رسالة التوحيد ، محمد عبد الله ص ٩٧ ، أصول الدين الإسلامي ص ٢٠٨ .

وجوب الأيمان بالرسول :

دعا القرآن إلى الأيمان بالرسول جميـعاً . قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أـنزل إلينا وما أـنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والسباط وما أـتـي عيسى وموسى وما أـتـي النـبـيون من ربـهم لا نـفـرـق بين أحدـ منهم ونـحـن لـه مـسـلـمـون) (٣٠) .

فالإسلام يرى الرسـل جـميـعاً مـرـسلـين من عـنـد ربـ العالمـين ، وكلـهم حقـ ، وهم كـسلـسلـة متـصلـة ، لا يـجـوز انـكـار بعضـ حـلـقاتـها ، وكلـ حلـقة تـكـملـ التي قـبـلـها ، حتى خـتـم اللهـ الرـسـالـاتـ بالـإـسـلـامـ .

عـصـمةـ الرـسـلـ :

الـرسـلـ الـذـيـنـ اـرـسـلـهـ اللهـ لـتـبـلـيـغـ دـعـوـتـهـ لـلـبـشـرـ ، هـمـ قـدـوةـ حـسـنةـ ، اـضـطـفـاهـمـ اللهـ وـخـفـهـمـ بـالـعـنـيـةـ الـاـلـهـيـةـ ، فـهـمـ جـميـعاً عـلـىـ خـلـقـ عـظـيـمـ يـتـحـلـوـنـ بـأـجـمـلـ الصـفـاتـ ، قـالـ تـعـالـىـ فـيـ إـبـرـاهـيـمـ (اـنـهـ كـانـ صـدـيقـاً) (٣١) ، وـفـيـ مـوسـىـ (اـنـهـ كـانـ مـخـلـصـاً) (٣٢) ، وـفـيـ اـسـمـاعـيلـ (اـنـهـ كـانـ صـادـقـاً) (٣٣) ، وـفـيـ نـوـحـ وـهـودـ وـصـالـحـ وـلـوـطـ كـلـ مـنـهـمـ (رـسـوـلـ أـمـيـنـ) (٣٤) ، وـفـيـ عـيـسـىـ أـنـهـ (وـجـيـهـاـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ) (٣٥) ، وـفـيـ يـسـعـىـ أـنـهـ (كـانـ تـقـيـاً) (٣٦) ، وـفـيـ مـحـمـدـ (صـ) (وـاـنـكـ لـعـلـىـ خـلـقـ عـظـيـمـ) (٣٧) .

وـهـذـهـ الصـفـاتـ تـشـيرـ إـلـىـ أـنـ اللهـ تـعـالـىـ عـصـمـهـمـ عـنـ كـلـ مـاـ يـشـئـ وـيـقدـحـ

• (٣٠) البـشـرـةـ ١٣٨ .

• (٣١) مـرـیـمـ ٤١ .

• (٣٢) مـرـیـمـ ٥١ .

• (٣٣) مـرـیـمـ ٥٤ .

• (٣٤) الشـعـرـاءـ ١٤٣ .

• (٣٥) آلـ حـسـرانـ ٤٥ .

• (٣٦) مـرـیـمـ ١٣ .

• (٣٧) القـلـامـ ٤ .

في المروءة ، وعليه لا يجوز نسبة الذنب لنبي من الأنبياء ، لانه منافٍ
للحصمة^(٣٨) .

وقد اقتضت حكمة الله أن يختتم الرسول بمحمد بن عبد الله (ص) قال
نعلى (وما أرسلناك الا كافراً للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس
لا يعلمون)^(٣٩) .

وقال آله قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً ، الذي له ملك
السموات والارض لا الله الا هو^(٤٠) .

وقال (ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله
وخاتم النبيين)^(٤١) .

فمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والرسل وبرسالته ختمت
الرسالات ، فهي ناسخة لما قبلها ، واتباعها واجب على الجميع .

الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان ، وهو من قبيل الإيمان
بالغيب أيضاً .

والادلة على ثبوت اليوم الآخر نقلية وعقلية :

والنقلية : هي اجماع الديانات السماوية على وجود حياة بعد الموت ،
يُحاطب فيها الإنسان على عمله في الحياة الدنيا ، والنصوص في جميع
الديانات التي تؤكد على الإيمان باليوم الآخر كثيرة جداً ، وهي تصفه
باعتباره حقيقة واقعة لا محالة .

(٣٨) انظر تيسير العقائد الإسلامية ص ١٢٥ .

(٣٩) مسبباً ٢٨ .

(٤٠) الأعراف ١٥٨ .

(٤١) الأحزاب ٤٠ .

أما الأدلة العقلية : فهي تلخص في اجماع البشرية قديماً وحديثاً على أن وراء هذه الحياة ، حياة أخرى تتحقق فيها العدالة التي فقدت في الدنيا ، وينال فيها الإنسان جزاءَ عمله ، إن خيراً فخير ، وإن شرَا فشر .

وهذا الشعور الغريزي يشبه الالهام الى حدهما ، وهو يكفي لأن يكون دليلاً على وجود اليوم الآخر ، لأن الاحساس بالشيء ، يعد بدأة ثبوت ذلك الشيء بالدليل القطعي .

ثم إن الله حينما خلق الإنسان ، وجعله مستعداً لما لا يتناهى من الكمال ، ووحبه هذا العقل الذي لا يقف عند حد في العلم ، وسخر له ما في السموات والأرض ، ولا يعقل أن ينشئه هذه الشأنة الرفيعة ، لتكون نهاية كفاية الجمام والحيوان ، بل الحكمة تقتضي أن تكون هناك حياة بعد هذه الحياة ، يستمر فيها أعماله ، ويوافي فيها الكمال الذي حرم منه (٤٢) .

حقيقة البعث :

افتضلت حكمة الله أن يجعل وراء هذه الدار داراً أخرى ، يرى فيها المرء جزاء عمله ، إن خيراً فخير ، وإن شرَا فشر . وقد ركز القرآن على مسألة الایمان باليوم الآخر ، ولفت نظر الإنسان اليها ، ليقصد ما يأته أو يتركه من عمل ، وجه الله وثوابه فيها .

ان معظم سور القرآن تذكر القيمة والبmut والحساب ، بصورة وكيفيات تدفع الانسان نحو العمل الصالح ، ليضمن مستقبله ، ويصل الى مستوى الغاية التي خلق من أجلها عبادة الله وعمارة الأرض .

(٤٢) انظر في ذلك العقيدة الإسلامية ٣٢٥/١، روح الدين الإسلامي ص ١٢٥ .

ولو تأملنا هذه العقيدة وما لها من قيمة في اصلاح المجتمع ، لأخذنا العجب ، فالإيمان لوحده كفيل باستقامة الفرد والمجتمع ، وهو الذي يجعل للحياة معنى أسمى وأرفع . وبذلك ينعم المجتمع بأسره بنعمة الاطمئنان والاستقرار ، ويتخلص من الشر بكل أنشكاله وألوانه .

فالبعث بهوله الذي يسيطر على النفس ويهزها من الفزع ، ويدفعها الى التوبة والاستقامة ، حقيقة أرادها الله لاتساق الحياة بكل جوانبها ، وترابطها مع الكون ترابطًا شمولياً ، يشمل كل الخليقة الخاصة لارادة الله ، والمسيرة بأمره ، وما الإنسان الا الجزء من هذا الكون .

الحساب في الآخرة :

الخير والشر في صراع دائم ، وربما انتصر الشر على الخير ، وتغلبت الرذيلة على الفضيلة ، دون ان يرى الانسان في عمره المحدود التبيجة العادلة . لذا يعز عليه أن لا ينال الشر جزاءه ، ولا يُنصف المظلوم ، واذا لم يتم العدل في الدنيا ، فلا بد من أن يتم في الآخرة .

ولا تخفي قيمة هذا التصور على حياة الفرد ، فهو لا يتراجع عن الفضيلة ، مهما كانت الظروف ، حيث يدفعه الامل ، فان لم يتحقق ما يصبو اليه في الدنيا ، فلا شك في حدوث ذلك في الآخرة .

ولولا هذا الامل النابع من تصور المؤمن ، لتقاعس أهل الحق وأصحاب الفضيلة ، وساد الشر ، وذلك لأن الذي يقود الانسان نحو الشر ، مشاهد محسوس تحبه النفس ، والذى يدعوه للفضيلة موعد به ، وقد يتصوره بعيداً ، ولا شك أن النفس تميل للمشاهد المحسوس القريب .

لقد جاء القرآن يقرر الحساب . بل يصور مواقفه بشكل يجعل النفس تفر من شهواتها ، وتسارع الى طاعة الله . قال تعالى (اذا زُرْتَ

الارض زلزالها ، وأخرجت الارض أثقالها ، وقال الانسان ما لها ، يومئذ تحدث أخبارها ؛ بأن ربك أوحى لها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرآً يره)^(٤٣) .

وقال تعالى (الله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فينفر من يشاء ويعدب من يشاء والله على كل شيء قدير)^(٤٤) .

وقال (أفحسبتم انما خلقناكم عبئاً وأنكم اليانا لا ترجعون)^(٤٥) .
فلم يُخلق الانسان ليترك سدى ، بل سيحاسب على جميع أقواله وأفعاله .

والقرآن حين يذكرقيمة بعثتها وحسابها ، كحقيقة ينتظرها الانسان ، يقدم وصفاً حيوياً شاملاً يجسّد الاحداث ، ويرسم الواقع ، بشكل يسد على النفس جميع منافذ الشك والتساؤل .

فقد صور نعيم الآخرة الروحي والمادي ، حيث صور الجنة وما فيها تصويراً لم يسبق له مثيل ، وعند جمع الآيات التي تتحدث عن الجنة ، والنظر فيها مجتمعة ، يجد الانسان نفسه أمام لوحة الخلود في دوحة رب العظيم ، صورها للعباد ليتأملوا الدقة والروعة والعظمة ، وليحسوا بالحق بكل وجودهم ، بكل ما عقلوا وشعروا وتخيلوا ، وبالتالي يجد الانسان نفسه مشدوداً نحو الخير والصلاح .

كما صوَّر الى جانب النعيم الروحي والمادي ، صورة مفزعة للعقاب الروحي والمادي ، حيث صوَّر جهنم تصويراً ، حين تقف النفس أمامه ،

(٤٣) سورة الزلزلة .

(٤٤) البقرة ٢٨٤ .

(٤٥) المؤمنون ١١٥ .

تفر من جلدها وتفسر من واقعها ، وتهتز بكل كيانها ، باذلة الشالي والرخيص لتحاشي ذلك الهول ، حيث سُدَّت عليها كل منافذ النجاة ، فلا ينفع الويل والشبور ، ولا يقبل منها عمل ولا توبة ، ولا عنى على الانامل ولو أدمها .

هذه الصورة الشاحنة المحسدة ، والتي جمعت كل الهول والرعب والخوف والندم والحسرة ، مقرونة بما يخلص منها ، اذ هو المنفذ الوحيد للنجاة ، ولا منفذ غيره ، الا وهو الایمان والعمل .

ان الایمان باليوم الآخر بكل صوره وحيثياته ، خير معلم ومؤدب للفرد ، وله اثره الفعال في صلاح المجتمع وتطوره وتقديره واستقراره .

الایمان بالقضاء والقدر :

الایمان بالقضاء والقدر خير وشره ، ايمان بارادة الله تعالى العليا ، وباحتاطة علمه الازلي بكل الحوادث ، وبوقوعها وفاما لعلمه وارادتها ، وسننه التي قدرها وقضها .

وهذا الایمان متقرع عن الایمان بالله ، فالله سبحانه وتعالى الخالق الباري ، القادر المقتدر ، كون بارادته هذا الكون ، وخلق كل شيء فقدره تقديرأ ، وقضى بأن تخضع كافة الكائنات بما فيها ، لسنن محكمة أرادها في نظام ازلي لا يتبدل ولا يتتحول^(٤٦) .

فالقضاء يرتكز على قدرة الله تعالى ، وستته الدائمة ، وعلمه الازلي المحيط .

(٤٦) لقد وقع الخلاف في اعتبار القضاء والقدر من اصول الدين ، ومن اركان الایمان ، ولا مجال للتعرض لمثل هذا الخلاف واكتفيت بما ذهب اليه الاشعرية بهما ، ومن اراد الوقوف على حقيقة الخلاف فلينرجع كتب العقاده الاسلامية .

وَهَذَا الْعِلْمُ يَشْتَمِلُ جَمِيعًا أَعْمَالِ الْعِبَادَةِ هُوَ سَوَاءٌ مَا كَانَ مِنْهَا دَاخِلًا فِي
نَطَاقِ اخْتِيَارِهِمْ كَالْمُعَاصِي وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ، أَمْ مَا كَانَ مِنْهَا خَارِجًا عَنْ
هَذَا الْأَخْتِيَارِ، كَالْأَعْمَارِ وَالْأَجَالِ وَالْأَرْزَاقِ^(٤٧) .

ضَمَانِيَّةُ النَّفْسِ :

إِنَّهَا إِرَادَةُ اللَّهِ هُوَ حِيثُ خَلَقَ السَّنَنَ وَعَلِمَ بِنَتْائِجِهَا مِنْذِ الْأَزْلِ، وَمَا
يَتَرَبَّ عَلَيْهَا مِنْ حَوَادِثٍ وَنَوَازِلٍ وَمَصَابِّ تُصِيبُ الْبَشَرَ وَالْعَالَمَينَ، فَهِيَ
مَقْدَرَةٌ لِرَبِّهِ هُوَ مَكْتُوبَةٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ .

قَالَ تَعَالَى (قُلْ لَئِنْ يَصِيبُنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مُولَانَا وَعَلَى اللَّهِ
فِلْيَوْكُلُ الْمُؤْمِنُونَ)^(٤٨) . وَقَالَ تَعَالَى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَنْ قَبْلَ أَنْ تُبَرَّأَهَا أَنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرُ)^(٤٩)
إِنِّي أَسْتَسِلَّمُ عَنْ قِنَاعَةِ وَاحْتِيَارِ لَأْمَرِ اللَّهِ وَحْكَمِهِ، وَفِقْهِ سَنَنِ
قَدَرَهَا وَقَضَاهَا، مِنْ فَرْوَانِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَصَفَاتِهِ عَزْ وَجْلُهُ، حِيثُ سَتَّنَهُ
لَا تَبْدِلُ وَلَا تَتَحَوَّلُ . قَالَ تَعَالَى (فَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا، وَلَنْ تَجِدَ
لِسَنَةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا)^(٥٠) .

فَالْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ هُوَ يَشْرُحُ كَلْمَةَ الْاسْلَامِ نَفْسَهَا، وَمَا انْطَوَتْ
عَلَيْهِ مِنْ سَلَامٍ نَفْسَانِيَّ، وَخُضُوعٌ وَاسْتِسْلَامٌ هُوَ وَيُورَثُ فِي الْقَلْبِ السَّكِينَةَ
وَيُوحَى بِالرَّضَاءِ وَالاطْمِئْنَانِ، وَمِنْ نَتَائِجِهِ التَّحْلِي بِالصَّبْرِ .

وَهُوَ عَلاجٌ فَعَالٌ لِقَلْقِ الْإِنْسَانِ وَكَآبَتِهِ، مِمَّا يَقِيهِ الْكَثِيرُ مِنْ
الْإِنْهِيَاراتِ الْعَصِيَّةِ . وَهُوَ الْكَفِيلُ بِتَهْدِيَتِهِ وَالتَّخْفِيفِ مِنْ هَوَاجِسِهِ الَّتِي

(٤٧) انظر الدعائم الخلقية للقوatين الشرعية ص ٥٦ ، تبسيط العقائد
الإسلامية ص ١١٠ .

(٤٨) التوبه ٥١

(٤٩) الحديده ٢٢ .

(٥٠) فاطر ٤٣ .

تدفعه للمنافسة الحادة ، التي تهدد سلامة المجتمع بأسره ٠

شرط الأيمان بالقضاء والقدر :

لقد اشترط الاسلام للمتوكل على الله في قضايه وقدره ، شرط العمل ، لثلا يختلط على البعض بالتواكل والتکاسل ٠

اذ من المعلوم تمنع الانسان بحرية الارادة ، والاختيار في العمل ضمن نطاق سنن الله في الكون ٠

فالانسان يتمتع بنعمة العقل ، والعقل والاختيار ، يولدان فيه القصد والنية ٠

وانطلاقاً من القصد والنية في مجال الارادة ، يقع التصرف ، فالعقل يحدُّر من الواقع في المهالك ، ويبعث على السعي والجهد والعمل . فإذا حقق هذا دونما تواكل أو كسل ، توكل على الله عند ذاك . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذُوا حِذْرَكُم)^(٥١) .

وقال (وَأَن لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى)^(٥٢) .

وقال (فَإِذَا عَزَّزْتَ فَتَوَكَّلْتَ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)^(٥٣) .

وقال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَحَدِ الْأَعْرَابِ عَنْدَمَا أَهْمَلَ رِبَاطَ نَاقَةٍ فَهَرَبَتْ : (أَعْقَلُهَا ثُمَّ تَوَكَّلْ)^(٥٤) .

وعليه لا بد من الحذر والحيطة واعتماد العزم والجهد في السعي والعمل ، ثم التوكل على الله . وهو بهذا حكمة مسامية تخفف من جزع

٥١) النساء ٧١ .

٥٢) النجم ٣٩ .

٥٣) آل عمران ١٥٩ .

٥٤) رواه الترمذى ، الجامع الصغير ج ١ رقم ١١٩١ .

النفس اذا نزلت بها التواب ، حيث تعطيها قوة في الثبات على الحق ، وتنطرد عنها اليأس والقنوط ، ولا يخفى ما لهذا من قيمة في حياة الفرد واستقرار المجتمع .

فهو المروض لنفس الانسان ، اذ يعطيها عذراً فيما لا طاقة لها به ، وفيما كان ولم يكن منها تقصير ، ويكتج جماح النفس ، فلا يدعها في سباق مع الزمن لتحقيق ما لا يمكن تحقيقه .

أثر اليمان في حياة الفرد والمجتمع :

لا شك أن اليمان الصحيح ، الصادر عن علم واقتضاء ، يزكي نفس الانسان وهو أساس الدين ، فمن حسن ايمانه ، حسنت كل أعماله . وثمرته تعود على ذات الفرد ، اذ ينتقل به الى روضة الاسلام ، الدين الحق ، وبذلك يضمن مستقبله أمام رب العالمين ، وهذه فائدة عظيمة ، اذ يترتب عليه قبول العمل ، والاتفاق به في الآخرة بالدرجة الاولى .

اما أثره في حياة الفرد ، فهو وصفة نضيبة تقى الانسان نسر الصراعات الداخلية العادلة ، والتي تمزق النفس وما حولها . فهو الذي يرسم الامل في مراكز تفكير الانسان ، ويبعث على المهدوء والمسكينة والاطمئنان .

وهو وصفة سلوكية تعصم الفرد من الانزلاق في معركة الحياة ، والوقوع في مزالق تصعب النجاة منها . فهو الذي يأخذ بيده نحو الخير والصلاح ، ويبعده عن الشر والانحراف . فلا يتصرف الا ضمن حدود الشرع التي ارتضاها الله لعباده ، ومن كان هكذا اميناً واطمأن ، وأمنه الناس ورضوا عنه .

وتلك نعمة حُرم منها افراد المجتمعات المادية الصرفة ، اذ تنازعهم

شتى الآفات ، وتجاذبهم المغريات الكاذبة ، وتحرّكهم الهوا جس الشريرة ، حتى فقد الإنسان فيها انسانيته وفيه ، فهو ذئب في ثياب الابوة ، وأفعى في زي الصديق ، وتعلّب في زي الناصحين .

أما أثره في حياة المجتمع ، فمن الواضح أن المجتمع يتكون من مجموعة أفراد ، فان صلح الأفراد ، صلح المجتمع ، وان فسدوا فسد . فالفرد حجر الزاوية في البناء الاجتماعي ، ومن ثم كانت صلابته ، أساس صلابة البناء بأكمله .

وتحت ظل الإيمان ينعم المجتمع بظواهر اجتماعية سليمة ، تقوده نحو الأفضل دائمًا ، وتأخذ بيده نحو الرقي والتقدم بكل أشكاله ، مما يحقق العز والمنعة .

والإيمان حصن منيع أمام التيارات المختلفة ، والظروف الشاذة ، مما يوفر جو الاطمئنان على سلامة المجتمع وبقائه ، وعدم ذوبانه في بوقعة الحياة ، وما فيها من حضارات وأفكار . وما سربقاء المجتمع الإسلامي ، رغم الاعاصير العاتية ، والموحات الترسية ، والاستهداف المدروس ، المخطط له تحطيطاً شمولياً الا الإيمان به فهو اللوب الخفي الدافع للمعلم والمقاومة ، والأخذ بالأسباب والتحسب لكل طارىء .



الفصل الثاني

التوبة

التوبة لغة : الرجوع عن الذنب وتاب الله عليه ، وفقه لها ، واستتابه ، سأله أن يتوب^(١) .

وفي الاصطلاح : هي الرجوع الى الله بحل عقدة الاصرار عن القلب ، ثم القيام بكل حقوق رب^(٢) .

وقيل : التوبة الاعتراف والندم والاقلاع^(٣) .

قال تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب التطهرين)^(٤) . وقال (وتبوا الى الله جميعاً)^(٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)^(٦) .

وقال صلى الله عليه وسلم (اللَّهُ أَشَدُ فَرْحًا بِتُوبَةِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوَيَّةٍ)^(٧) ، معه راحلته ، عليها طعامه وشرابه . فنام فاستيقظ وقد ذهبت . فطلبها حتى أدركه العطش . نعم قال : أرجع الى مكاني الذي كنت فيه . فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت . فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه . فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحته وزاده)^(٨) .

(١) مختار الصحاح ص ٨٠ .

(٢) التعريفات للجرياني ص ٦٢ .

(٣) البقرة ٢٢٢ .

(٤) النور ٣١ .

(٥) رواه ابن ماجة رقم ٤٢٥٠ .

(٦) الأرضي الدوئية : القفر والفلة الخالية .

(٧) المهلكة : موضع خوف الهاك .

(٨) متفق عليه ، التجريد الصريح ٢٥٨/٢ ، مسلم ٢١٠٣/٤ .

حقيقة التوبة :

التبه مبدأ طريق السالكين ، ومقتاح سعادة المریدین^(۱) ، وهي وثرة من ثمرات الايمان بالله الواحد القهار . فالايمان نور يسطع على القلب ، فيتضح أن الذنوب سوم مهلكة تبعد عن الله تعالى ، بل هي سبب خصبه وسخطه ، وهذا بدوره يشعل في النفس نار الخوف والندم ، ويبيث برغبة حقيقة في تلافي هذه الذنوب والحذر منها .

فالتبه معنى يتكون من ثلاثة أمور : علم ، وحال ، وعمل .

أما العلم : فهو معرفة العبد عظم الضر الذي يحدنه الذنب ، فهو يتحول بينه وبين مرضاه الله ، ويبعده عن رحمته ، ويقربه من سخطه وعذابه .

واما الحال : فهو الندم والتألم عند فعل المعصية ، فهو كمن رأى بيته يحترق ، فلا شك من أنه يتالم ، وتشتد في نفسه الرغبة في القيام بعمل ، ولا يكون ذلك الا من قلب مشرق بنور الايمان ، ومن عقل على يقين بأن الله لا بد مجازيه على عمله . وهذه الحالة هي التي توجد عند الانسان الارادة وقصد التوبة .

واما العمل : فهو ترجمة معنى الارادة الى واقع له تعلق بالحال والماضي والاستقبال .

اما تعلقه بالحال : فيترك الذنب الذي كان يرتكبه قوراً ، وهذا هو المعنى المفهوم من التوبة ، اذ هو الانقطاع الفوري عن فعل المعصية .

اما تعلقه بالمستقبل ، فالغزم على ترك الذنب على الدوام ، لا أن يترك لساعة فقط .

(۱) كتاب الأربعين في أصول الدين ص ۱۴۳ .

وأما تعلقه بالماضي : فبتلafi ما فات بالجبر والقضاء ، ان كان قابلا للجبر ، أو الاستغفار و فعل الخبرات^(١٠) .

وبنحو التوبة :

التوبة واجبة في الشرع ، فقد أمر الله بها ، بل اعتبرها ثمرة من نعمات اليمان ، فهي تصدر من نور الله بصيرته ، وشرح صدره للإسلام . فان احسن بأدنى اشارة ، أنه خالق ربها ، بادر بالتوبة والاستغفار .

فالتبوية سعادة الانسان في الدنيا والآخرة ، وضمام الامان ، فهي خط الرجعة الى الله ، وأمل يلوح في أفق الجميع لا يشك في وجوبها أحد ، ولا يستثنى عنها أحد .

وكلما علم الانسان أن السعادة كل السعادة في لقاء الله ، وأن الدنيا دار فانية ، وهي مخططة يقتضي بها للتزود بما يحتاج اليه في سفره ، كان سريعاً المبادرة بالتوبة .

وكلما علم أنه لا مبعد له عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني ، والانكباب على حب ما سيفارقه حتماً ، هتف بداخله هاتق الخير وبادر بالتوبة . فكما هي أمل المؤمنين بليل الدرجات العالية ، هي أمل الذين تورطوا بارتكاب بعض الآثام ، او غفلوا عن أنفسهم ، وفرطوا بما يجب عليهم ، بالعودة الى الله والسير في طريق الصلاح .

والله سبحانه أعلم حيث يضع حكمته ، فلو أغلق الباب ، وقطع جميع الحيل ، لشعرت النفوس باليأس والقنوط ، وأكفرت الحياة في عيون الكثير ، وتصورت الشر مكتوب عليها ولا مفر منه ، وما عليها إلا التمادي به ، حيث لا طريق غيره . وفي ذلك ما فيه من تدمير القيم

(١٠) انظر إحياء علوم الدين ٤/٤

والمثل ، وبالتالي تدمير للمجتمع ٠

التوبة للمجتمع :

والتنورة واجبة على الجميع ، قال تعالى (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا)^(١١) ذلك لأن الإنسان مكون من مادة وروح ، وكل من هذين الغضرين يدفع الإنسان إلى تحقيق رغابته ، فالجانب المادي يدفعه إلى تحقيق رغابته في الطعام والشراب ، والجنس وحب الشهرة والجاه ، وعلو المكانة وغير ذلك ٠

والجانب الروحي يدفعه إلى الترقى في سلم الفضيلة ، والابتعاد عن الرذيلة ٠

وقد وهب الله الإنسان العقل ، ليوازن بين المادة والروح ، فالصراع موجود في نفس الإنسان من قديم الزمان ، وسيستمر إلى يوم القيمة . والعقل في عمل مستمر ، وتحكيم بين عنصري المادة والروح ، ولكن صواب التحكيم ليس مضموناً دائماً ، فربما تأثر العقل بنوع من أنواع المؤثرات ، فلا يظهر حكمه في بعض الأحيان ، لذا كان الكل محتاجاً إلى التوبة ، ولا يستثنى عنها أحد ٠

فالتنورة ثقافة روحية ، كل انسان مطالب بها ، وهي خير معلم ومرهظ للنفس ، بل لا سبيل إلى تنقية النفس من أدرانها وشوائبها من دون التوبة ٠

التوبة في كل الأحوال :

أما وجوبها على الجميع وفي كل الأحوال والمناسبات ، فإن الإنسان لا يخلو في جميع حالاته عن ذنب في جوارحه ، أو في قلبه ، ولا يخلو

١١) النور ٣١ ٠

عن خلق من الاخلاق الديمية ، والتي يجب تزكية النفس منها ، وهذه جميعاً تبعد الانسان عن ربه ، والاشتغال بامانتها توبه ، لانه رجوع الى الله ٠

وعلى فرض أنه استطاع أن يجعلني نفسه من الشوائب ، فإنه لا يخلو عن غفلة عن ذكر الله ، أو نسيان ٠

قال صلى الله عليه وسلم (والله اي لاستغفر الله ، وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)^(١٢) ، وكل ذلك توبة ٠

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ، وهونبي معصوم ، يستغفر ويتبّع ، فمن ذا الذي يستغفّي عن التوبة ؟

لذا فالتجارة ممحاة لللوحة الذنب ، فإذا استعملت باستمرار وبأصولها ، كانت اللوحة نظيفة ، أما إذا أهملت ، أو لم تستخدم استخداماً مناسباً لتختلف بعض شرائطها ، تراكمت على اللوحة كل البخائث والذنوب التي تبعد العبد عن ربه ، حيث لا صغيرة مع اصرار ، ولا كبيرة مع رجوع واستغفار ، والصغار تراكم أحياناً حتى تسود القلب ٠

ويختلف موضوع التوبة باختلاف أحوال العباد ، قال الفرزالي (توبة العوام عن الذنوب الظاهرة ، وتوبة الصالحين عن الاخلاق الديمية الباطنة ، وتوبة المتقين عن موقع الريبة ، وتوبة المحين عن الغفلة المنسية للذكر ، وتوبة العارفين عن الوقوف على مقام يتصور أن يكون وراءه مقام ، والمقامات في القرب من الله لا نهاية لها ٠ فتوبة العارف لا نهاية لها أيضاً)^(١٣) ٠

(١٢) رواه البخاري ، التجريد الصريح ١٥٧ / ٢ ، ومسلم ٢٠٧٥ / ٤ بلفظ « مائة مرة » ٠

(١٣) كتاب الأربعين في أصول الدين ص ١٤٦ ٠

شروط التوبة :

التوبة أما أن تكون من معصية بين الإنسان وربه ، ولا يتعلق بها حق الغير ، وأما أن يتعلق بها حق الغير .

فإن كانت المعصية بين العبد وربه فلها ثلاثة شروط :

١ - القلاع عن المعصية فوراً ، بلا تردد أو تسويف .

٢ - الندم على فعل المعصية ، وهذا كما قلنا نابع عن العلم بما تجراه المعصية للإنسان ، وعن النور الذي يسطع في قلب الإنسان ، فيجعله يتحرّق لمخالفة المخالق .

٣ - العزم على ترك المعصية وعدم العود إليها ، أما الترك المؤقت ولافائدة منه ، لأن التوبة بداية طريق المؤمن لتقويم سلوكه ، وتنوير مسيرته في الحياة ، فإن لم تكن على سبيل التأييد ، فقدت التوبة أهميتها التربوية في بناء الفرد والمجتمع .

وان كانت المعصية ، يتعلق بها حق إنسان آخر فلها شرط رابع انسانة لما ذكر ، وهو أن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مala أو نحوه ردّه إليه ، وإن كان حد قذف ونحوه ، مكّنه منه ، أو طلب عفوه ، عن غيبة ، وما شاكل (١٤) .

على أن توبه العبد ، يجب أن تكون مقترنة بالإخلاص لله ، وصدق التوجّه إليه ، لأن التوبة بحد ذاتها عبادة ، وخلق يصدر عن الإيمان .

قبيل التوبة :

إذا كانت التوبة خالصة لله مستجدة شرائطها فهي مقبولة باذن الله ، وهنا يستطيع الإنسان أن يقدر في نفسه ، مدى صدقه وخلوه في

(١٤) انظر العبادة أحكام وأسرار ص ٣٩ وما يليها .

التوبة النصوح ، وهو أعرف بنفسه ، ويستطيع معرفة مقدار قبول توبته ، لأن القلب يستطيع أن يستجلي استعداد القبول ، وليس في الاستطاعة وضع مقياس مادي لقبول التوبة أكثر من تحقق شر وطها واستجلاء القلب . وكل ما نستطيع قوله هو أن يتوجه الإنسان إلى الله بقلب خالص ، وعقل متفتح ، نادماً عازماً على أن لا يعود لعصيته ، مع الاستفخار للذنب .

أما من شك في قبول توبته ، فهو غير متيقن من تمام شر وطها ، أو سلامته نيته وأخلاصه .

أحوال التائبين :

على ضوء ما ذكر من شروط التوبة ، يمكن تقسيم التائبين إلى أربع طبقات حسب المشاهدة .

الطبقة الأولى : أن يتوب العبد عن ذنبه ويستقيم على التوبة إلى آخر العمر ، فيتدارك ما فرط فيه ، ثم لا يحدث نفسه في أمر العودة إلى الفعل المحظور شرعاً ، وهذه هي التوبة النصوح ، التي يوصف صاحبها بالاستقامة ، وليس معنى ذلك أن النفس صفت وتروضت فلا تفكك في الذنب ، وإنما المطلوب صراع النفس ومحاولة ردها إلى الصواب ، كلما همت بفعل محظوظ .

الطبقة الثانية : أن يتوب العبد عن ارتكاب الكبائر والفواحش ، إلا أنه لا ينفك عن ذنب تقرضه ، دون قصد منه ، وإذا وقع في الخطأ أسف وندم ، وجدد العزم على تجنب المعصية وأسبابها ، وهذه النفس جديرة بأن تكون هي التوامة . إذ ثلوم صاحبها ، كلما قارف اثماً .

وأغلب أحوال التائبين من هذه الطبقة ، لأنها تجسد صراع الإنسان مع نفسه ، ودخوله في برنامج الاصلاح النفسي ، وهي مرتبة عالية ، لأننا

لا يمكن أن تتصور إنساناً بلا ذنب ، ولكن هناك فرقاً بين من ارتكاب الذنب و بين من شعر به ولا م نفسه ، وعزم على تحاشيه في المستقبل ، قال تعالى (الذين يجتبيون كثائر الأمم والفواحش الا اللهم ان ربك واسع المغفرة) (١٥) .

وكل ما قارف الإنسان من الذنب غير الكبيرة ، من غير قصد مسبق منه ، يدخل في اللهم المغفو عنه .

وقال تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكرروا الله فاستغفروا لذنبهم) (١٦) .

وقال (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدربون بالحسنة السيئة) (١٧) .

وما هذا الثناء ، الا لأنهم لاموا انفسهم وندموا على فعل المعصية ، وتابوا عنها .

وهنا لابد من الاشارة الى أهمية لوم النفس ، فهي بداية طريق الصلاح ، وصفة للطيبين ، ومن لامته نفسه لا يتذوق الفعل الحرام ، اذ هو في صراع دائم ، ولا بد في النهاية أن يتخلص من الشر ، وهنا تكون الاستقامة وليدة صراع ومكابدة ، فتكون راسخة ، وصاحبها قوي قانع ، فهو يتصرف بداعف ذاتي .

ولا تخفي القيمة التربوية والأخلاقية لهذا التوجيه ، حيث يكون الاصلاح ذاتياً بعيداً عن الرقيب والقانون ، بل أراد الله أن يكون الرقيب في صدر الإنسان ، والقانون بعقله ، وهو الذي يتوجه بنفسه .

(١٥) البجم ٣٢ .

(١٦) آل عمران ١٣٥ .

(١٧) القصص ٥٤ .

الطبقة الثالثة : أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ، ثم تغلبه الشهوات في بعض الذنوب ، فيقع فيها لعجزه عن قهر شهواته ونوازعه مع الالتزام بأصل الطاعات ، والمعنى لو انه استطاع التخلص مما هو فيه ، ويعترى به الندم على كل معصية يفعلها ، ولكنه يسُوق في توبته مرة بعد أخرى ، وهذه هي النفس المسؤولة ، وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم (وأخرون اعترفوا بذنبهم خلطا عملا صالحاً وأخر سيئاً)^(١٨) . فهو من حيث مواطنته على الطاعات وكراهته لما يتعاطاه من معاصر ، مرجو صلاحه ، وعسى أن يتوب الله عليه ◦

أما من حيث التسويف فأمره خطير ، فربما لم يستطع التوبة ، وهذا يقع في مشيئة الله ، فان تداركه بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة ، التحق بالسابقين ، وان غلبته شقوته ، وقهرته شهوته ، فيخشى أن يتحقق عليه القول ، لانه اذا تراكمت الذنوب وتأخرت التوبة ، فقد تراكمت الندبات على القلب حتى يسود فيختفي فيه هاتف الخير ، ويقوى هاتف الشر ، وادا استفحلا الشر بداخله ، فقد خسر نفسه^(١٩) .

قال صلى الله عليه وسلم (ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وان احدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)^(٢٠) . فالخوف من الخاتمة قبل التوبة ، فليسارع في توبته ، لئلا يقع المحتوم ، عندها لا تنفع الحسراء ◦

(١٨) التوبة ١٠٣ ◦

(١٩) انظر إحياء علوم الدين ٤٥ / ٤ .

(٢٠) متفق عليه ، البخاري ١٥١٤ ، مسلم رقم ٣٦٤٣ ، الترمذى رقم ٢١٣٧ ◦

وأمر مثل هذا الإنسان سهل ، وهو يعود إلى حذقة المربي ، فان استطاع التغلغل إلى اعماق هذا الإنسان ، استطاع ان ينشره مما هو فيه ، فكلما وجد الندم على المعصية عند الانسان ، قوي التفاؤل بالصلاح ، فهو كالسيارة التي ضعفت بطاريتها ، باقل دفعه تعود كل أجزائها للعمل بنفس الكفاءة ، وفرق كبير بينها وبين سيارة وقع التخلل في ذات محرّكها ٠

الطبقة الرابعة : ان يتوب ويجرى مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنوب ، من غير ان يحدّث نفسه بالتوبة ، ومن غير اسف أو ندم ؛ بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهواته مع اصرار وعدم اكتراط وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء ، الفارة من الخير والصلاح ٠

ومثل هذا متروك لمشيئة الله ، ان شاء ختم له بالحسنى ، ومات على التوحيد فيتضرر له الملاصق ، وان شاء ختم له بالسوء ، فيشقى الشقاوة الكبيري ٠

ومثل هؤلاء في الغالب يتغذون بالمغفرة من فضل الله ، مع الاصرار على الذنب ، والابتعاد عن سبيل المغفرة ٠

فهو يسلك شتي السبل ، ويركب الصعب ، ويتجشم المخاطر لتحقيق اعراض الدنيا الزائلة ، ولكنه يستقل التوبة والصلاح بل يراها أقل من الجيل ، ولكنه يطمع بالغفران والجنة ، بكلمة يقولها بفمه ليس الا !

نعم ﴿الغني عن العباد﴾ وهو الفحود الرحيم ، ولكنه يعطي لن قصد وسعي ، لا من قعد وتنمى عليه الاماني ٠

قال تعالى (ولو ترى اذ الجرمن ناكسو رؤوسهم عند ربهم ، ربنا ابصرنا وسمينا فارجعنا نعمل صالحاً)^(٢١) ، ولكن ذلك لا ينفع شيئاً ، فتردد الحسرة ، ويعض الظالم على يديه ندماً ، وذلك لا ينفع أيضاً ٠

حيث أصبح أمم العدل الالهي « والقاضي بثواب المحسن » وعقوبة المسيء «
والسبب الذي أودى بهؤلاء » هو الاصرار على الذنب ، وهذه عقدة
ترافق الكثير من الناس ، وبمرور الزمن تعمق في نفوسهم ، وترسخ في
المنخ ، فيعتادها الإنسان ويتعاطاها ، ومن الوجه الآخر يضعف هاتف الخير
 شيئاً فشيئاً بداخله ، فلا يستطيع السيطرة على النفس ، فتطلق نحو
الرذيلة بكل ما أتيت من قوة ، عند ذلك يصعب العلاج ، لذا يجب أن
يكون الإنسان حر يصان على نفسه ، ولا يسمح لها بأي حال من الأحوال أن
تقرب من مرحلة الخطأ .

وبناءً على الانحراف تقصير بسيط « أو تكاسل » أو عدم اكتشاف ،
ثم ينشط فيشتد ، حتى يكون وبالا لا يمكن صدّه ، الا تشمير الساعدي
والعزم الصادق .

أسباب الاصرار على الذنب وعلاجه :

ما من مسلم الا ويعرف تماماً أن المعصية تبعد عن الله تعالى ، وهي
سبب لعقوبته في الآخرة ، ويعرف تماماً انه مخطيء « ولكن مع ذلك
يُقارف الذنب في الغالب لأسباب الآتية :

١ - ان العقاب الموعود غيب ، ليس بحاضر ، والنفس مجبرة على
التأثر بالحاضر ، وتستهين أحياناً بالموعود ، أو يضعف التأثير قياساً على
تأثيرها بالحاضر .

وعلاجه بالتفكير والعلم ، حيث كل ما هو آت قريب ، وأنه واقف
بين يدي الله لا محالة ، فكما ينشط لنيل حظوظه الدنيوية ، يجب أن
ينشط لضمان مستقبله في الآخرة .

فالعلم بختيمه وقرب الموعود به ، يدفع الإنسان للتوبة ، لأن الحياة
الدنيا مهما طالت فهي لا شيء ، أمام الحياة الآخرة الباقية وما الدنيا إلا

مزروعه يزرع فيها ما ينفعه في الآخرة .

٢ - ان الشهوات الباعثة على الذنب لذاتها ناجزة ، وهي تضطط على ارادة الانسان في الحال ، وعدم القدرة على الابتعاد عنها يسبب اعتيادها ، وتعمق مجريها ، والنفس تميل دائمًا لكل مأله ولديها ، فيندفع الانسان للذنب ، تحت تأثير شهواته وأغراضه الدنيوية . قال تعالى (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة)^(٢٢) . وقال (بل تؤثرون الحياة الدنيا)^(٢٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم (حفّت الجنة بالمكاره ، وحفّت النار بالشهوات)^(٢٤) .

وقال (لما خلق الله الجنة والنار) أرسل جبريل الى الجنة ، فقال : انظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها ، قال : فجاءها ونظر اليها والى ما أعد الله لاهلها فيها ، قال : فرجع اليه ، قال : فوعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها ، فأمر بها فحفّت بالمكاره ، فقال : ارجع اليها فانظر الى ما أعددت لاهلها فيها ، قال : فرجع اليها فإذا هي قد حفّت بالمكاره ، فرجع اليه فقال : وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد ، قال : اذهب الى النار فانظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها فإذا هي يركب بعضها بعضاً ، فرجع اليه فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فأمر بها فحفّت بالشهوات فقال . ارجع اليها ، فرجع اليها فقال : وعزتك لقد خشيت ان لا ينجو منها أحد الا دخلها)^(٢٥) .

٢٠) القامة (٢٢)

١٦) الأعلى (٢٣)

٢٨٢٢) متفق عليه ، البخاري رقم ٢٤٣٢ ، مسلم رقم ، الترمذى رقم ٢٥٥٩

٢٥٦٠) الترمذى رقم

فكون الشهوة مرهفة في الحال ٰ والعقاب متأخراً ٰ ربما يسبب الاسترسال والتهاون في اقرار الذنب ٠

وعلاجه : التفكير والعلم بأن اللذة اليسيرة التي يعقبها ألم دائم ٰ لا خير فيها ٰ كالمريض اذا عرف أذن الأطعمة لديه ٰ تضره وتسوقه للموت، فلا شك انه يمتنع عن تناولها ٠

والله وهو أصدق القائلين ، حينما أخبر بأن هذه الشهوات تقود الى النار ٰ والنار أشد من الموت ، عندها يقلع عن الذنب ٰ ولو بالضغط على نفسه ، لأنه يتحمل الاقلام عن الذنب ٰ ولا يتحمل العذاب بالنار ٠ فالعلم والتفكير الدائم يعطي الانسان القدرة ٰ على الامتناع عن الذنب مهما كان ٠

٣ - التسويف بالتوبية يوماً بعد يوم ، ومسع ايامه وعزمته على التوبة ٰ وتكفير السيئات بالحسنات ، لانه مؤمن ٰ الا أن طول الامل غالباً على الطياع ، فلا يزال يسwoف حتى يفجأه الأجل ، فلا يستطيع أن يفعل شيئاً ، حيث لا تقبل الأعذار ٠

وعلاجه : التفكير بجهالة الأجل ٰ وضرورة ضمان مستقبله في الآخرة ، فلا يدرى متى يموت حتى يثوب ، اذا يجب عليه أن يبادر بالتوبية ، والتوجه الى الله سبحانه وتعالى ٠

قال الغزالى (أكثر صباح أهل النار من التسويف ، لأنهم سوّفوا حتى فاجأهم مرض ساقهم الى الموت ٰ وانما يسwoف لانه يعجز عن قمع الشهوات في الحال ، فان كان ينتظر يوماً يسهل فيه قمع الشهوات ، فهذا يوم لم يخلق أصلاً ، بل مثال امرىء يريد أن يقلع شجرة عجز عنها لضعفه ، وقوه رسوخ الشجرة ، فيؤخر الى السنة التالية) ، وهو يعلم ان الشجرة تزداد كل يوم رسوحاً ٰ وقوته تزداد كل يوم قصوراً

ونقصاناً، وذلك غاية الجهل (٢٦) .

والواجب ان يحرص الانسان على مراقبة نفسه وتصرفاته ، لأنها مسخة عليه ، قال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره) فعند ملاحظة الانزلاق تؤخذ النفس بالجذب والعزّم ، لعادتها الى طريق التّنفّر والصلاح .

٤ - الأتكال والأعتماد على عفو الله ومنه وكرمه ، ثم الاستمرار في طريق الشر وارتكاب المعاصي ، وكلما هتف هاتف الخير بداخله ، ودعاه الى ترك الذنب ، قال : هذه المعاصي سيعفرها الله ، اذ لا يهمه عصياني ، عند ذلك يضعف هاتف الخير بداخله ، فلا يسمع له صوت مع تكرار العصيان وطول الأمد ، اذ من شرط الاستفادة من هاتف الخير ، الاجابة السريعة ، وكلما كان الانسان سريع الاحابة لهاطفه ، والالتزام بما يميله ، اشتدّ وقوي وأدى المهمة ، بحيث يكتشف الخلل في السلوك حالاً ، ويعطي اشارته للعمل بمقتضاه .

وعلاجه . العلم بشرط عفو الله ، فهو مقترن بالسعى وبذل الجهد ، أما القاعد عن السعي ، الراكض وراء الرذيلة والأعراض الفانية ، فالعدل الالهي يقتضي احصاء اعماله ، وجزاءه بهذه الاعمال ، ولا بد للظالم العاصي ان يتل نصيبه من العذاب ، ولا بد للسامي المظلوم ان يُنصف ويعود له حقه .

قال تعالى (ذرهم يأكلوا ويتعمدوا ويسُلّهم الأمل فسوف يعلمون) (٢٧)
وقال صلى الله عليه وسلم (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والحمق من اتبع نفسه هواها ، وتنسى على الله تعالى) (٢٨) .

(٢٦) كتاب الأربعين في اصول الدين ص ١٤٨ .

(٢٧) الحجسor ٣ .

(٢٨) رواه ابن ماجة رقم ٤٢٦٠ .

فالمطلوب من الانسان ان يقوم بما أمر به على وجه التمام ، فاذا
قام بذلك نعم اعترضته بعض الآثار ، فعند ذلك يأمل بعفو الله وغفرانه ، لأن
الماضي لم تأت عن قصد واصرار .

اما اذا قصر واهمل ، تم اصر وقصد وعصى ؛ فإنه موصوف بالقصير
الذي لا بد أن يحاسب عليه .

٥ - كون المصل العادي - والعياذ بالله - شاكاً في أمر الآخرة ،
على اعتبار أنه شاهد الدنيا وخبرها فاطمأن لها ، أما الآخرة فهي ايمان
بالغيب ، فربما لا يجد التصديق القلبي الكامل بها ، لذا آثر الدنيا وما فيها
وترك أمر الآخرة .

وهذا قد فقد اصلا من أصول الدين ، فلا يصدق عليه الأيمان .
وهو يحتاج الى تحصيل أصل الایمان ، قبل حاجته للتوبة ، لأن
التوبة ثمرة من ثمرات الایمان .

وعلاجه : بتصحيح الایمان بأركانه المار ذكرها .

والعلم بضرورة اخذ الاسلام كاملا ، لأنه لما ارتضى بعض حكامه
بواقتنع بها ، وجب عليه التسليم بالباقي ، اذ من صفات الاسلام ، أنه يتالف
من مباديء مشاهدة محسوسة ، وأخرى غيبية ، ولا يمكن فصل المشاهد
المحسوس ، عن الغيبي غير المحسوس ، بل هما جملة واحدة ، فمن آمن
بحجاب ، وجب عليه الایمان بالحجاب الثاني ، ومن كفر بأخذها ، حكم
بكفره بالكل .

في هذا المبدأ يؤخذ جملة واحدة ، أو يترك جملة واحدة ، وليس
هناك تخير للفرد ، يأخذ ما يناسبه ، ويترك ما يعارضه ، أو الایمان بما
شهدت لصحتها النظريات العلمية ، وترك ما لا يقى ضمن دائرة الحسن .

قال تعالى (أَفَتُؤْمِنُونَ بِعَضِ الْكِتَابِ وَتَكْفِرُونَ بِعَضِ)^(٢٩) وَقَالَ (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفِرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَرِيدُونَ أَنْ يَفْرَقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نَؤْمِنُ بِعَضٍ وَنَكْفُرُ بِعَضٍ وَيَرِيدُونَ أَنْ يَتَخَذُوا بَيْنَ ذَلِكُمْ سِيَلاً)^(٣٠) .

كذلك يجب أن يفهم الفرد معنى العدل الالهي ، فليس من العدل أن يقف السارق والمسروق ، والظالم والمظلوم ، والقاتل والمقتول ، والفاشق والمصلح ، والمجاهد والمنافق ، أمام الله على حد سواء ، وكأن شيئاً لم يكن ، بل لا بد أن يجازي كل انسان بما فعل ، فينصف صاحب الحق ، ويعاقب المسيء ، ويوقن الجميع بالعدل والانصاف .

وكذلك عليه أن يعلم ، بأن الله ما خلق الانسان بهذه الهيئة ، وهيا له من الاسباب ما لم يُهيء لغيره ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وكلفه بامثال أمره ، واجتناب نهيه ، ليعيش حياته كيفما شاء ، ومن ثم يتسرى سدى بلا سؤال وجواب .

الشُّرُورُ التَّوْبَةُ فِي تَوْبِيَّةِ النَّفْسِ وَتَزْكِيَّتِهَا :

لتوبية أثر فعال في تزكية النفس وتهذيبها وتهيئتها ، للتوجه الى الله بالعبادة ، والعمل الصالح ، وهي ثمرة تعود على الفرد بكل الخير والصلاح ، ثم تعود على المجتمع بالهدوء والانتظام والاستعداد للعمل الذي يرفع من شأنه في الحياة .

فالتوبية هي المحفز الدائم للانسان نحو الكمال والوضوح ، فهي لا تتف عن حد وليست لها وقت .

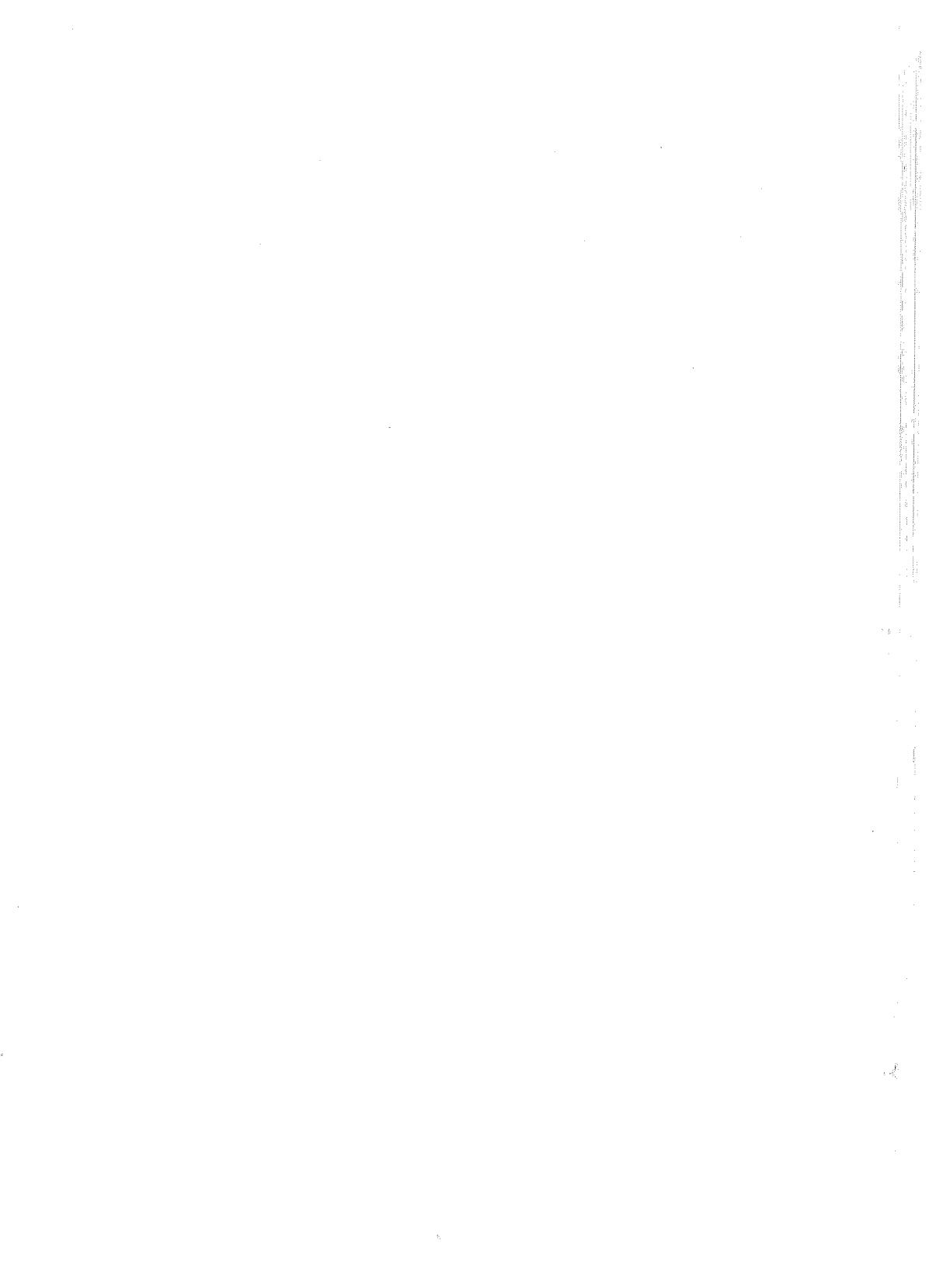
وتعتبر التوبية صمام الامان ، وخط الرجعة الى الله ، وهي الامل المشرق دائماً في جميع النفوس ، وفي نفس العاجز العاصي بصورة

٢٩) البقرة ٦ .

٣٠) النساء ١٥٠ .

خاصة ، فهي التي تفتح أمامه باب التطلعات نحو الخير ، وتبعده عن الشر ، اذ لو تيقن العصاة الاشرار ، أن لا أمل لهم بالنجاة ، لافسدوا ودمروا من حولهم ، ولكن حكمة الله اقتضت تحجيم الشر ، وتخلص الآخرين منه بالتوبة .

ففي ساعة من ساعات الانسان ، نعطي التوبة مفعولا يحدث انقلابا هائلا في حياته ، تمحز عنه كل أنظمة الارض . فهي جهاز اصلاح في كيانه ، ورقيب بداخله ، وقانون بعقله ، وكلها تعمل بانتظام ، اذا وجدت الظروف الملائمة ، والاجواء الصالحة لعملها .



الفصل الثالث

العبادة

غاية خلق الانسان :

لقد خلق الله الانسان وفضله على كثير من خلقه ، و Mizrahe بالعقل ،
و سخر له ما في السموات والارض ، وأعد له ما لم يعده لغيره ، وأرسل
له الرسل ، وأنزل الكتب ، وكلفه بامتثال أمره واجتناب نهيه ، وأمده
بقدرات هائلة ، وجعل بداخله بواعث الخير والشر ، وكل هذا يبعث على
التساؤل ، هل سيؤول هذا الخلق والابداع الى لا شيء ، كالحيوانات
الاخري ؟ أم له مهمة وغاية ، هي أسمى وأرفع ؟

بل له غاية حددتها الله الخالق المبدع ، وهي معرفة الله وعبادته ،
و خلاقة الارض بالعدل والعمارة .

قال تعالى (واد قال ربكم للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ،
قالوا . أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك) ، قال : اني أعلم ما لا تعلمون)^(١) .

فالانسان خلق خليفة ، وأول أمر هذه الخلافة ، معرفة الله حق
معرفته ، وعبادته بالشكل الذي حدد .

قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من
رزق وما أريد أن يطعنون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)^(٢) .

والذي يتأمل الحياة جيداً ، يرى المخلوقات بأسرها مسخرة وتتميل
لغيرها ، فملائكة للارض ، والارض للنبات ، والنبات للحيوان ، والحيوان
للانسان ، وهنا لا بد من الاصناف لنداء الفطرة ، من الانسان ؟

(١) البقرة ٣٠ .
(٢) الذاريات ٥٦ .

الانسان لله ، والله الغني عن العالمين ، فما الحكمة ، وما المطلوب منه ، انه القيام بحقه بالمعرفة والعبادة^(٣) . اذا العبادة لله وحده ، لا أحد سواه ، وهذا ما اتفقت عليه كل الرسالات السماوية ، وجُبِّلت عليه الفطنة السلمية .

وقال تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم ؟ إن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)^(٤) .

وقال تعالى (واد أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذُورٍ يهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألسْتُ بربِّكم ، قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا ائماً أشرك آباءنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم أفتلهلنا بما فعل المبطلون)^(٥) .

فلا عجب أن يكون المقصود الأعظم من بعثة النبيين وارسال المرسلين وانزال الكتب المقدسة ، هو تذكير الناس بهذا العهد القديم ، وازالة ما تراكم على معدن الفطرة من غبار الغفلة أو الوثنية أو التقليد ، ولا عجب أن يكون النداء الاول لكل رسول (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره)^(٦) .

وقال تعالى (واعيد ربَّك حتى يأتيك اليقين)^(٧) . فالتكليف بالعبادة لازم للانسان حتى يتحقق بر به .

والعبادة على الجميع لا فرق بيننبي وغیره ، قال تعالى (لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستكف

(٣) انظر الخصائص العامة للإسلام ص ٩ .

(٤) يس ٦٠ .

(٥) الأعراف ١٧٢ .

(٦) الأعراف ٥٦ .

(٧) الحجر ٩٩ .

عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جمِيعاً^(٨)

فالاديان كلها دعوة الى عبادة الله وحده ، والانبياء جميعاً أول العابدين لله ، ومهمة الانسان الاولى في الوجود هي عبادة الله كما أمر ، ولا تسقط العبادة بأي حال من الاحوال ما دام الانسان حياً .

مفهوم العبادة :

العبادة في اللغة : الطاعة^(٩) ، وأصل العبودية : الخضوع والذل .

وفي الاصطلاح : فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيمًا لربه .

والعبودية : الوفاء بالمهود ، وحفظ الحدود ، والرضاء بال موجود ،

والصبر على المفقود^(١٠) .

فهي خضوع وانقياد لله سبحانه وتعالى بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، مع دوام الفكر والتذكرة والذكر . فالعبادة في الشرع خضوع وحب .

فمن خضع لانسان مع بغضه له ، لا يسمى عابداً ، ومن أحب شيئاً ولم يخضع له ، لا يسمى عابداً .
ومن أحب من غير تذلل ، لا يسمى عابداً .

ولذلك يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام الا الله ، وكل ما كان لغير الله فهو باطل . قال تعالى (قل ان كان آباءكم وأبناءكم وآخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفوها وتجارة تختسرون

(٨) النساء ١٧٢ .

(٩) مختار الصحاح ٤٠٨ .

(١٠) التعريفات للجرجاني ص ١٢٧ .

كسادها ومساكن ترثونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فتربصوا حتى تأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين)^(١١) .

وقال تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)^(١٢) .

وقال (يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله)^(١٣) .

وبذا لا بد للعبادة من أمرین :

الاول : الالتزام بما شرعه الله ودعا اليه رسوله ، أمراً ونهياً ، وهذا هو الذي يمثل عنصر الطاعة والخضوع . فليس عبداً ولا عابداً لله من رفض الاستسلام لأمره ، واستكبار عن اتباع نهجه ، والانقياد لشرعه ، وإن أقر بأن الله خالقه ورازقه ، فقد كان مشركاً كغيره من العرب يقررون بذلك ، ولم يجعلهم القرآن بذلك مؤمنين ، ولا عباداً لله طائعين ، فخضوع الأقوار بالربوبية لا يكفي ، وخضوع الاستعانتة في الكربات ، والاستعانتة في الشدائدين لا يكفي ، ولا بد من خضوع التبعيد والانقياد والاتباع ، الذي هو حق الالوهية ، وبهذا يتحقق معنى (اياك نعبد واياك نستعين) .

وأساس الخضوع لله تعالى ، هو الشعور الواعي بوحدانية الله تعالى ، وقهره لكل من في الوجود ، فالكل عبده وخلقه ، وفي قبضة قدرته وسلطانه ، وفي هذا يقول القرآن الكريم (والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً . وظلالهم بالغدو والأصال . قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاقت خدمتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً . قل هل يستوي الأعمى والبصير ألم هل تستوي الظلماء والنور ألم جعلوا الله شركاء خلقوه كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء هو الواحد القهار)^(١٤) .

(١١) التوبية ٢٤ .

(١٢) المائدة ٥٤ .

(١٣) البقرة ١٦٥ .

(١٤) الرعد ١٦-١٥ .

فأساس الخضوع لله الواحد القهار ، هو الشعور الذاتي بال الحاجة الى من يملك الفر و النفع والموت والحياة ، ومن له الخلق والامر ، ومن بيده ملکوت كل شيء ، ومن اذا أراد شيئاً ، قال له (كن) فيكون .
والشعور بالضعف أمام من يملك القوة كل القوة ، والشعور بالجهل أمام من أحاط بكل شيء علماً .

والشعور بالعجز ، أمام من يملك القدرة كل القدرة .
والشعور بالفقير اللازم ، أمام من يملك الغنى كل الغنى .
وكلما ازداد الانسان معرفة بنفسه و معرفة بربه ازدادت هذه المشاعر وضوحاً ، وقوى اعتماده على الله ، واتجاهه اليه ، وتوكله عليه ، واستغاثته به ، وتذللله له ، ومديد الضراعة اليه .

الثاني : صدور الالتزام عن قلب يحب الله تعالى فليس في الوجود من هو أجرد من الله تعالى بالحب ، فهو صاحب الفضل والاحسان ، الذي خلق الانسان ولم يكن شيئاً مذكوراً ، وخلق له ما في الارض جميعاً ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرها وباطنها ، وخلقه في أحسن تقويم ، وصورة فاحسن صوره ، كرمه وفضله على كثير من خلقه ، ورزقه من الطيبات ، وعلمه البيان ، واستخلفه في الارض ، ونفح فيه من روحه ، وأسجد له الملائكة ، فمن أولى من الله أن يُحبّ ؟

فأساس محبة الله هو الشعور بفضلـه ونعمـه واحسانـه ورحمـته ، والاحسان بجمالـه وكمالـه ، وعظيمـ صفاتـه .

تكون المحبة بقدر المعرفة ، لذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، أشد الناس حباً لله ، لانه أعرف الناس بالله ، وكانت قرة عينـه الصلاة ، لأنـها الصلة المباشرـة بين قلـبه وبين الله .

فمن كان محبـاً للـه لـزم أن يتبعـ الرسـول صلى الله عليه وسلم ،

فيصدقه فيما أخبر ، ويطليعه فيما أمر ، ويتأسى به فيما فعل 。 ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله ، فيحبه الله 。 وقد جعل الله لأهل محبتة علامتين : اتباع الرسول ، والجهاد في سبيله ، وذلك لأن المجاهد حقيقة الاجتياح في حضور ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح 。

هذه حقيقة العبادة في الإسلام ، إنها معنى مركب من عنصرين : غاية الشخص لله تعالى ، مع غاية المحبة له سبحانه 。

دور الشريعة :

بعد معرفة مهمة الإنسان وغايته . ومفهوم العبادة ، يبقى أن نعرف صور العبادة ومظاهرها و مجالاتها 。

فإذا أمرنا الله أن نعبده ونطيعه تلك الطاعة المصحوبة بالحضور والحب ، فما هي هذه العبادة ، وما مجالها ؟

المتبوع للقرآن يجد شمولاً في معنى العبادة ، فهي تشمل الدين والحياة من ناحية ، كما تشمل كل كيان الإنسان ظاهره وباطنه من ناحية أخرى 。

فليس معنى العبادة مقصوراً على الشهادة ، والصلوة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، بل هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال ، والاعمال الباطنة والظاهرة كالصلوة ، والزكاة ، وصدق الحديث ، والأمانة وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهد ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد ، والاحسان ، والعدل ، والذكر والدعاء ، والتلاوة ، وطلب العلم 。

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والخلاص إليه ، والصبر ، والحكمة ، والشكر ، والرضا ، والتوكل ، والرجاء ، والخوف (١٥) 。

(١٥) انظر العبادة في الإسلام ص ٥٠ ، العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية ص ٣٢

فالعبادة بهذا المفهوم ذات أفق واسع ، يستغرق الانسان وما حوله ،
حالدين بأسره داخل تحت مفهوم العبادة ، لأنها الخضوع والذل والالتزام .
قال تعالى (وما كان مؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله فقد خل ضلالاً
يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعصي الله ورسوله فقد مبينا) (١٣) .

وقال تعالى (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم
بینهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون) (١٤) .

لذلك فان مفهوم العبادة يشمل الالتزام بكل ما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم التزاماً صادقاً ، مصحوباً بالرضا والتسليم ، لانه من رب
العالمين .

فإذا سبقت النية ، ووجد عند الانسان استعداد نفسي للتوجه الى الله
في كل أقواله وأفعاله ، كانت حياته عبادة بأسره .

لذا ركز الاسلام على الاستقامة النضالية أولاً ، لأنها تمثل الصلاحية
للعمل ، واذا توفرت هذه الصلاحية ، فكل عمل في الحياة يتحول من
تلقاء نفسه الى طاعة الله ، وكلما شعر الانسان أنه يدور في فلك طاعة
الله ، كان لحياته طعم وقيمة ، حيث يشعر بالسمو والارتفاع ، فليست حياته
حياة البهائم بل لها غاية أسمى وأجل .

قال محمد أسد (يختلف ادراك العبادة في الاسلام عما هو في كل
دين آخر .

ان العبادة في الاسلام ليست محصورة في أعمال من الخشوع
الخلص ، كالصلوة والصيام مثلاً . ولكنها تناول كل حياة الانسان العملية

(١٦) الاحزاب ٣٦ .

(١٧) النور ٥١ .

أيضاً ، ولذا كانت الغاية من حياتنا على العموم (عبادة الله) فيلزمنا حينئذ أن ننظر إلى هذه الحياة في مجموع مظاهرها كلها على أنها تامة أدبية متعددة التواхи ٠

وهكذا يجب أن تأتي أعمالنا كلها - حتى تلك التي تظهر تافهة - على أنها عادات ، وأن تأتيها بوعي ، وعلى أنها تؤلف جزءاً من ذلك المنهج العالمي الذي أبدعه الله ، تلك حال ينظر إليها الرجل العادي على أنها مثل أعلى بعيداً ولكن أليس من مقاصد هذا الدين أن تتحقق المثل العليا في الوجود الواقع ؟

ان موقف الاسلام في هذا الصدد لا يتحمل التأويل . وأنه يعلمنا أولاً . أن عبادة الله الدائمة ، والتمثلة في أعمال الحياة الإنسانية المتعددة جميعها ، هي معنى الحياة نفسها .

ويعلمنا ثانياً : أن بلوغ هذا المقصد يظل مستحيلاً ، ما دمنا نقسم حياتنا قسمين اثنين : حياتنا الروحية ، وحياتنا المادية ٠ ٠ ٠ يجب أن تقترب هاتان الحياةان في وعينا وفي أعمالنا ، لتكون كلا واحداً متسقاً ٠ ٠ ٠ ان فكرتا عن وحدانية الله ، يجب أن تتجلّى في سعينا للتوفيق والتوحيد بين المظاهر المختلفة في حياتنا)١٨(.

ومن هذا نفهم أن حياة الإنسان عبادة ما ظهر منها وما بطن ، لأنه سائر في تلك طاعة الله في عمارة الأرض ، وعبادته الله بمقتضى الخلافة التي أرادها الله للإنسان .

أما عن تقسيم الفقهاء للاحكم الشرعية العملية إلى عادات ومعاملات ، فهو عبارة عن اصطلاح يهدف إلى التفريق بين نوعين من الأحكام ٠

(١٨) الاسلام على مفترق الطرق ص ٢١ وما بعدها .

الاول : وهو الذي يضم الصور والكيفيات المحددة التي شرعها الله تعالى ، لتقريب عباده اليه بأدائها ، وهي العبادات والشعائر الدينية التي لا يخلو دين منها ، وبها يمتحن الله عباده ، وبها تظهر حقيقة العبودية ، حيث لا يبدو للعباد فيها حظ شخصي لأول وهلة ٠

أما الثاني : فهو يشمل الاحكام التي تنظم علاقات الناس بعضهم بعض في حياتهم ومعايشهم ، ومبادلاتهم ، ومجتمعاتهم ، وعلاقتهم بغيرهم من المجتمعات الأخرى ٠

ولهذا التقسيم فائدة علمية ، وهي تيسير الدراسات ، وتسهيل عملية البحث العلمي في الموضوعات المختلفة ، اذ لا بد من التخصص في البحث ، وحصر الموضوعات بأبواب تدل عليها (١٩)

وإذا كان مفهوم العبادة يشمل حياة الانسان ، فهو يشمل كذلك كيانه الداخلي أيضاً ٠

فالعبادة بالفكر والقلب واللسان والسمع والبصر ، وسائر الحواس ، كما هي في الدين كله ٠

فالمسلم يتبع بالتفكير عن طريق التأمل في النفس وأفاتها ، والتفكير في ملوك السموات والارض ، وما خلق الله ، والتدبر لآيات الله المنزلة ، وما فيها من الهدى والحكمة ، والنظر في مصائر الامم وأحداث التاريخ ، وما فيها من عزبة وعبرة ، فهذا كله مما يتقرب به المسلم الى الله الذي أنزل كتابه الى الناس (ليذروا آياته وليتذكر أولوا الالباب) (٢٠) ٠

(١٩) انظر العبادة في الاسلام ص ٧٢ ، العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية

٣٧ ص

(٢٠) ص ٢٩

وقد دعا القرآن إلى إعمال العقل ، نظراً ، وتفكيراً ، وتعلماً ، (وفي الأرض آيات للموقتين وفي أنفسكم أهلاً بتصرون) ^(٢١) .

وقال تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لا ولني الالباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلنا سبحانك فتنا عذاب النار) ^(٢٢) .

فالتفكير والتأمل عبادة ، بل هو أن توفرت شرائطه ، أجمل عبادة ، لأن عبادة العالم العارف بجلال ربه ، والذي يقدم الخير للبشرية ، فلا تعود عبادته على ذاته فحسب ، بل تعم بها البشرية بأسرها .

ومن المعلوم أن الله لفت نظر الإنسان ، إلى التطلع لآفاق واسعة ، منها في الأرض والسماء ، ووضع للعقل اشارات تقويه لتلمس طريقه ، والوصول إلى ما فيه خير وسعادة البشر ، وليشق طريقه في معركة الحياة ، مسترشداً بهدي الله ، فيما يضمن بقائه وجوده ، رغم ما يصادفه من مصاعب ومشكلات ، ربمـا اهدـت وجودـه ، أو على الأقل سـلامـة مـسـيرـته في الحياة .

كما يتبعـد المسلم الله بالقلب ، عن طريق العواطف والمشاعر الروحية التي ترافق الامتثال كحب الله ورسوله ، ورجاء الرحمة ، والخوف من العـقـاب ، والرضاـءـ بالـقـضـاءـ ، والصـبرـ عـلـىـ الـبـلـاءـ ، والـشـكـرـ وـالـجـاءـ ، والتـوـكـلـ وـالـاخـلـاصـ) ^(٢٣) .

فيـبعدـ بـلـسانـهـ عـنـ طـرـيقـ الذـكـرـ وـالـدـعـاءـ ، وـالتـلاـوةـ ، وـالتـسـيـحـ ، وـالـتـهـليلـ ، وـالـتـكـيرـ ، وـالـاـرـشـادـ .

(٢١) المداريات ٣٠ .

(٢٢) آل عمران ١٩١-١٩٠ .

(٢٣) انظر العبادة حكم واسرار ٣٤/١ .

ويتعد ببندنه كله ، بالتزامه بمقتضى أمر ونهي الشرع ، وتنفيذهما
لما أمر بهما الله .

الخلالص في القلب :

ان أساس القبول في العبادة اخلاص القلب لله ، فليست العبادة شكلًا
يتعلق بالظاهر ، ولا رسمًا يتصل بالجسد ، ولكنها سر متعلق بالقلب ،
وانخلاص ينبع من الروح ، فإذا لم يصدق القلب في العبادة ، ولم يخلص
الله في الطاعة ، وأداتها حركات مجردة من العاطفة الروحية ، فهي رياضة
تفيد عضلات الجسم ، ليس الا . أما قيمتها الكبرى ، وهي موافقة
الرضاء ، وتحقق القبول والكمال ، فلا أظن أنها تصلح .

ولا أقصد من مرافقه العاطفة للعبادة ، تمام الذوبان والاستقرار
في ذات الله سبحانه ، وإنما يكفي القصد والنية ، والشعور الوعي ، عند
أداء العبادة ، ثمأخذ النفس بمقتضى هذه العبادة ، وما تتطلبه من التزام
بالشرع .

فإذا قصد المسلم وجه ربه في وقوفه للصلوة ، وأنه ما قدم ووقف
الا امتثالا لأمر الله ، حيث فرض عليه الصلاة ، وأنه يبرهن عملا على
عبديته لله ، لا شيء آخر ، فقد صلى الصلاة المطلوبة ، بعلمه ، وقلبه ،
وبذنه . وهكذا .

قال تعالى (فاعبد الله مخلصا له الدين)^(٢٤) . وقال (ألا لله الدين
الخلص)^(٢٥) .

فالقلب هو الأساس في الإسلام ، وهو موضع نظر الله تعالى ، ومحل
عناته ، وهو مستند القبول والفلاح في الآخرة^(٢٦) .

(٢٤) الزمر ٣-٢ .

(٢٥) إنظر علم القاوب ص ١٤٤ .

فالعبادة المقبولة ، هي صاحبها الية الصادقة ، وتسري فيها روح الاخلاص ، والتي تؤثر في سلوك الانسان ، وتوجهه نحو الخير ، وتنعنه عن الفحشاء والمنكر ^(٢٧) .

غاية العبادة :

الله تبارك اسمه الغني عن العباد ، والعباد فقراء اليه ، لا تنفعه عبادة أحد ، ولا يضره جحود أحد ، والله سبحانه الخالق العظيم الذي يملك الفرض علينا والتكليف ، تعبدنا بما يصلح أحوالنا ويقودنا للصلاح في الدنيا والآخرة .

قال تعالى (يا أيها الناس اتسلموا الى الله وهو الغني
الجميد) ^(٢٨) .

والغاية الاولى للعبادة ، امثال العبد أمر رب وطاعته ، والتعبير عن كامل العبودية بأدائها . وهذه هي الغاية الرئيسية للعبادة ، والتي خلق الله الانسان من أجلها . على أن ذلك لا ينفي منافع العبادة التي لا تعد ولا تحصى ، اذ ما أمرنا الله الا بما فيه خير وصلاح ، وما نهانا الا عن شيء فيه شر وفسدة . فالعبادة تعود بالخير على نفس الفرد وسلوكه ، وكل حياته ، وحياة المجتمع .

فالعبادة حق الخالق على المخلوق ^{وهي امتحان للانسان} ، يعبر بأدائها عن فقره ^{وعجزه} وجهله ^{وضعفه} ^{وأمام رب العالمين} .

(٢٧) لم أطرق لبحث العبادات ، على اعتبار أن كتاب بداية الهدایة هو في العبادة ، وقد تناولها بجزئياتها وأحكامها ، وانيا قصدت بهذه المقدمة الموجزة أن أبين ما يعين على التبيّن لهذه العبادات مما يجعلها مقبولة متتفق بها .
(٢٨) فاطر ١٥ .

العبادة غلبة الروح :

ليس الانسان ذلك الغلاف المادي الذي تحسه وتراه ، وإنما هو بجوهره الذي صار به انساناً مكرّماً فالروح جوهر الانسان ، وهي تسعد وتنمو بعبادة الله ، وتتفوض عن نفسها غبار الفضة ، كلما تكررت العبادة ، وكلما شعر الانسان بحاجته لخالقه ، وجدت الروح ريعها في مناجاة الله ، والتضرع اليه .

فإذا أخلص الانسان العبودية لله ، وجد نفسه واهندي الى سر وجوده ، ووجد مع ذلك سعادة روحية لا تدانيها سعادة ، وهي حلاوة اليمان التي وصفها صلى الله عليه وسلم .

ان المؤمن ليجد في عبادة ربّه في ساعة الشدة ، سكينة لنفسه وأنساً لوحسته ، وانشراحًا لصدره ، وتحقيقاً عن كاهله . قال تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (٢٩) .

وكذلك يتذوق المؤمن حلاوة الشكر على النعمة ، والحمد لمني الجلال والأكرام .

قال تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فسبح بحمد ربك واستغفر له انه كان تواباً) .

العبودية سبيل التحرر :

ان تمام العبودية لله ، يعني تمام التحرر من سواه ، وعبودية القلب لله ، تحرجه من رق المخلوقين ، وتحرره من الذل والخضوع لكل ما سوى الله (٣٠) .

(٢٩) المحسن ٩٩ .

(٣٠) انظر كتاب آهاب الصحبة ص ٣٤ .

وعبادة الله واحد ، خالق عظيم ، تبني عن التطلع إلى غيره ، وبذلك يكون الإنسان حرًا إذا أراده مع جميع الخلق ؛ وبذا يكتسب انسانيته ، التي حرم منها الكثير .

الرسوالت العبادية في حياة الفرد والمجتمع :

العبادة تهذب النفس وتنقيها من شوائب الحيوانية ، وهي الضمان الأكيد لمستقبل الإنسان في الآخرة ، حيث تخلصه من عذاب النار ، وتدخله الجنة ؛ وتدنيه من الكمال الذي تشده النفوس .

أما في الحياة الدنيا : فاضافة لما تحدنه في نفس الفرد ، من هدوء واطمئنان وسعادة ، فهي ذات أثر فعال على سلوك الإنسان ، إذ ليس كالعبادة ما يصلح سلوك الإنسان ويحكم تصرفاته .

فالعبد يحسب لتصرفه حساباً لا يحسبه غيره ؛ وبالتالي تتولد الاستقامة ، التي من شأنها رفع مستوى الفرد الأخلاقي والاجتماعي ، مما يوفر له عيشاً عزيزاً كريماً تحفه المثل والقيم وبذلك تعطي الحياة ثمارها وهذا الآخر ليس مقتصرًا على حياة الفرد ؛ وإنما يغطي حياة المجتمع لأن المجتمع مجموعة أفراد ؛ يصلح بصلاحهم ؛ ويسمو بسموهم ؛ وينحط بانحطاطهم .

فالعبادة مدرسة أخلاقية اجتماعية ؛ يسعد الجميع بربوعها ، وهي التي تقى المجتمع كل مزائق الحياة ، وتحفظه من الشطط والجنوح ، وتقوده نحو العز والكمال ؛ وتتوفر له كل أسباب الرقي والتقدم والمنعة ، وتجنبه كل أسباب الضعف والانهيار . وقد نشأ عن العبادة الكثير من الطواهر الاجتماعية ؛ كالصدق ، والأمانة ، والوفاء ، والشكر لله على نعمه ، والاعتراف بالجميل ، والتوقير لمن هو أهل للتوقير ، والطف ،

والكرم والسخاء ، والعفو ، والتسامح . والعدل والانصاف ، والصبر
والثبات ، وغير ذلك من مكارم الاخلاق .

وقد عقب القرآن على أوصاف المؤمنين المطهرين لله ﷺ بقوله (اوئلثك
الذين صدقوا)^(٣١) و (اوئلثك هم الصادقون)^(٣٢) .

فالاخلاق الربانية المنبعثة عن الايمان ، والتي تهدف الى رضاء الله
تعالى ، عبادة في نظر المؤمن .

لذا فالأخذ بمسكارم الاخلاق في الاسلام ، أخذ ذاتي نابع من ضمير
الفرد ، ولا يخفى ما في ذلك من خير عميم ، يعود على ذات الفرد ، وعلى
المجتمع بأسره .

فتبارك الله خالق الانسان ، وهو العليم بما يصلح حاله .

(٣١) البقرة ١٧٧ .
(٣٢) الحجرات ١٥ .

الفصل الرابع

الذكر والدعا

الذكر :

الذكر غذاء الروح ، وهو العامل الفعال في تركيبة النفس وصقلها ،
ذلك لانه تذكر دائم لعظمة الله ، وتذكير بالاستقامة والصلاح ، وتفكير
بعظم المسؤولية ، وهو الدوحة المباركة التي تتجلو النفس بأقطارها ، اذ
ذكر خالق الكون يوحى بذكر جميع المعاني .

فالذكر ذكر للحياة بأوسع معاناتها ، ومن غفل عن الذكر فقد أهمل
نفسه وما حوله ناسيا مسؤولياته في حياته .

قال تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم

الفاسدون)^(١) .

فمن نسي نفسه فقد قيمته وجوده ، وخسره المجتمع ، لانه أصبح
بعيداً عن الله ، ومن بعد عن الله لا ينفع نفسه ولا مجتمعه .
فذكر الله تعالى دائماً يمد النفس بطاقة هائلة ، تدفعها نحو ممارسة
العمل الصالح ، ويبعدها عن الشر ، ويزيد من رصيدها أمام رب العالمين .

والذكر اطمئنان للقلوب ، قال تعالى (الا بذكر الله تطمئن
القلوب)^(٢) . وقال تعالى (فاذكروني أذكريكم)^(٣) . وقال (واذكري ربك
في نفسك تضرعاً وخيفة دون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن
من النافلتين)^(٤) .

(١) الحشر ١٩ .

(٢) الرعد ٢٨ .

(٣) لبقرة ١٥٢ .

(٤) الأعراف ٢٠٥ .

وفي الحديث القدسي (أنا عند طلن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني) ،
فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ
خير منهم ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى
ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)^(٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم (ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز
وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن
عنه)^(٦) .

وليس للذكر وقت محدد ، ولا مكان معين ، فهو مطلوب في جميع
الاوقات والهيئات والحالات .

ويكون الذكر بالقلب واللسان ، والتأثير لذكر القلب ، أما ذكر
اللسان فهو الوصول الى استدامة ذكر القلب ، فإذا كان العبد ذاكراً
بلسانه وقلبه ، فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه^(٧) .

ويكون الذكر بالاستغفار ، وقراءة القرآن ، والتسبيح ، والتهليل ،
والتحميد ، والتكبير والحواللة ، والصلوة على النبي (ص) .

فالذكر اثر من اثار اخلاص القلب في العبادة ، وهو السور الذي
يقي العبادة من التقصس ويعصمه من الرداء فإذا كان لسان المرأة رطباً بذكر
الله ، فعبادته مرضية ، متყع بها .

ان الذكر عبادة مأمور بها ، فهو راقد يمد سجل الحسنات ، ويمحو
الذنوب طول العمر .

(٥) متفق عليه ، البخاري رقم ٢٥٩٩ ، مسلم رقم ٤٧٧٥ .

(٦) رواه مسلم رقم ٣٧٩٩ ، الترمذى رقم ٣٣٧٨ .

(٧) انظر العبادة أحكام وأسرار ١/٧٠ ، مدخل إلى التصور الإسلامي
ص ١٥٣ .

والذى يفضل من شأن الذكر ، انه ثمرة حياة القلب ، وقد صدر
بأندفاعة ذاتي مستمر داخل الانسان ، ومتى تحرك الاندفاعة الذاتي ، داخل
الفرد ، فقد قارب مرحلة النضج والصلاح ، فلا خوف عليه ، ولا منه .
وهو الناجح في الحياة ، الامين على نفسه وغيره .

الاسلاميون : *

يعد الدعاء أدق وسائل العبادة ، بل هو العبادة^(٨) . حيث تتجلى
فيه عملا ثلاثة معان ، معنى التوحيد ، ومعنى العبودية والافتقار اللازم إلى
الله ، ومعنى الاخلاص وصدق التوجه إلى الله .

لذا كان أحب شيء لله عز وجل ، قال صلى الله عليه وسلم (ليس
شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء)^(٩) .

والدعاء مناجاة " الله عز وجل " من أعماق القلب ، لا باللسان ،
واللوز به مع ثقة بالاستجابة ، مع خلو الذهن عن سواه ، فالاتجاه
والرجاء إلى الله بكل أقطار النفس ، بالحسن والعقل والشيمور والروح .
لهو أظهر مظاهر تحقق العبودية أو هو تفهيد قوله تعالى (اياك نعبد
وأياك نستعين) .

آداب الدعاء : *

أ - ان يتوجه إلى الله بقلب خالص = قاصداً مناجاة رب به بخشوع
وتضرع .

ب - أن تكون مادة الدعاء واضحة في الذهن ، يتحقق بها القلب ،
ويندى بها اللسان ، وتهفو إليها الروح ، وفي إطار سنة الحياة ، كطلب

(٨) روى الترمذى رقم ٣٣٧١ قوله صلى الله عليه وسلم « الدعاء من
اعباده » ورقم ٣٣٧٢ « الدعاء هو العبادة » .

(٩) رواه الترمذى رقم ٣٣٧٠ .

مضاعفة الطاقة ، والقدرة على الطاعة ، وخدمة العباد ، والرضا والغفران
ورفع الضر ، وجلب الخير ، والنصر على الاعداء ، وما شاكله .
ج - عدم الجهر به : قال تعالى ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِيمَ نَفْسُكَ تَضْرِعُ﴾
وخفة ودون الجهر من القول بالفدو والاصال ولا تكون من
النافلتين﴾^(١٠) .

د - الالتزام بمقتضى أوامر الشرع ونواهيه ، مع الثقة التامة بالله
عز وجل .

وقد جمع الشاذلي رحمة الله هذه الامور بقوله (اذا أردت ان
يستجاب لك أسرع من لمح البصر فعليك بخمسة أشياء : الامتثال للامر ،
والاجتناب للنهي ، وتطهير السر ، وجمع الهمة ، والاضطرار . وخذ
ذلك من قوله تعالى (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم
خلفاء الارض ، اهله مع الله قليلا ما تذكرون)^(١١) ، فالمحروم من يدعوه
وقلبه مشغول بغيره)^(١٢) .

أوقات الدعاء وأماكنه :

الدعاء يصح في كل وقت ، وفي كل مكان ، وفي كل الاحوال ، بيد
ان هناك أوقاتاً وأماكن أرجى في قبول الدعاء ، كالثالث الاخير من الليل ،
وليلة الجمعة ، والاضحى والفطر ، وأول ليلة من رمضان ، وليلة النصف
من شعبان ، وأيام رمضان ، وفي المساجد عقب الصلاة ، وبعد الافطار
وفي المسجد الحرام ، وعلى عرفة .

وفي هذه المناسبات غالباً ما تكون النفس مستعدة للدعاء ، ولو وجد
الانسان هذا الاستعداد في أي وقت ، كان له فضل الدعاء .

(١٠) الأعراف ٢٠٥ .

(١١) النمل ٦٢ .

(١٢) العبادة احكام وأسرار ١٢٤/١ .

صيغة الدعاء :

خير صيغة الدعاء ما ورد في القرآن الكريم والسنّة النبوية^(١٣) . أما ما عداها ، فليس للدعاء صيغة ، إنما هو التعبير عن حاجة الإنسان ، واللجوء للخالق العظيم ، الذي يدرى ما تريده هذه النفس ، فإذا اضطرت النفس واشتاقت لمناجاة رب ، عرفت طريقها إليه ، دون حاجة لجمل أو مفردات ، أو لغة معينة ، وإنما تعبّر عن حاجتها مباشرة ، وباللغة التي تجيدها .

قال تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمْ إِذْ دَعَنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)^(١٤) .

وقال (وَإِذَا سَأَلَكُمْ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دُعَوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلَيَسْتَجِبُوا نَحْنُ وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعْلَهُمْ يَرْشَدُونَ)^(١٥) .

فقد أمر الله العباد أن يتوجهوا إليه بقلوب خالصة عامرة بالأيمان ، بأي لهجة ولغة وعبارة يستطيعون بها التعبير عن حاجتهم .

وقد ضرب لهم الأمثل في كتابه العزيز ، وعلى لسان نبيه الكريم ، للدعاء بها باعتبارها النموذج الكامل في أدب المخلوق مع خالقه ، وكيفية مناجاته .

فوائد الدعاء :

للدعاء فوائد كثيرة منها :

١ -طمأنة القلب ، ودوام الصلة بين الإنسان وربه ، وحسن الظن به عز وجل ، وانشراح النفس بتوقع الاستجابة ، فهو يচقل النفوس ويسمو بها دائياً ، وبذلك تتجه نحو الفضيلة ، وتبتعد عن الرذيلة .

(١٣) للأطلاع على هذه النماذج انظر العبادة أحكام وأسرار ١٢٥/١ .

(١٤) غافر ٦٠ .

(١٥) البقرة ١٨٧ .

٤ - التخفيف من الذنوب ، وزيادة الحسنات ، حيث الخطأ شأن
الانسان ، والكمال لله وحده . ولكن الاخطاء اذا تراكمت دونما توبته
واستغفار ودعاء ، اشتدت وكبرت ، حتى يخرج الانسان المسلم عن طريقه
الصحي ، الى ما لا تحمد عقباه .

وَمَا دَامَ الْعَفْوُ الْأَلِهِيُّ مُضْمُونًا فِي الدُّعَاءِ الْخَالِصِ، فَالاَكْثَارُ مِنَ الدُّعَاءِ
وَالاسْتِمرَارِ عَلَيْهِ، يَمْحُوا الذُّنُوبَ يَوْمًا بَعْدِ يَوْمٍ، فَلَا تَرَاكُمُ السَّيِّئَاتِ عَلَى
الْعَسْدِ •

٣ - ومن فوائد الدعاء أنه يقوّي العقيدة ويثبتها في السراء والضراء ، والغنى والفقير ، وفي كل الاحوال ، وذلك لدوم الصلة بين العبد وبين خالقه (١٦) .

ـ يعتبر الدعاء مدرسة تربوية لها سحر عجيب وفاعلية في تغيير السلوك نحو الأفضل ، وبالتالي إيجاد النظائر الاجتماعية السليمة ، التي تهضم المجتمع من التصدع وتنمّحه القوة والحيوية والشاطط دائماً .

فهو ضمان لقبول العمل والنجاة في الآخرة وبناء الشخصية الإنسانية الناجحة ، والمجتمع المتكافل المتعاون التحالي من بواعث الشر ، طالما يتجه الجميع الى رب عظيم واحد .

ولذا فالذكر والدعاة هم عبادة غير مقيدة بالزمان والمكان ، وليس لهم صيغة بها يتم القبول ، بل باتحادهما تولد مناجاة بين القلب والله سبحانه وتعالى تمييز بالهدوء والسكينة ، وبعد عن التكلف والظاهر الكاذبة ، والقوالب الجامدة ، التي لا تتفاعل مع الوجود .

وإذا كانت العبادة بأوقاتها، فهــما المــذان ينطــيان الحياة، بكل هــيئاتها وأحوالها وأوقاتها، وهــما خط الســعادة بين الشــر، وخــالقها.

^{١٦)} انظر مدخل إلى التصور الإسلامي ص ١٤٧.

لذا وجب على النفس ان تتأنب بالادب الكامل ، ولا تتجاوز حدود
الدحاء ، ولكي يكون للدعاء اثره ، يجب استخدامه في كل ما هو ايجابي ،
وفيه الخير والصلاح للفرد والامة بكمالها ، لا أن يستعمل الدعاء بالشر
والهملة وازالة النعم ، فهذه خصال النفس التي ما زالت بسواء بها الجوانية
ونزعاتها الشيطانية ، والتي يجب تزكية النفس منها ، لأنها تفرس الحقد
والشر والانانية في نفس الداعي ، لذلك نهانا الله عن الدعاء بالشر على
عيادة .

وحتى المظلوم الذي له حق في دعائه على ظالمه ، وجهه الشرع بأن
يدعوا الله لرفع الظلم عن نفسه ، واصلاح الظالم كي يكف عن ظلمه ،
ويكون كفирه من الناس عنصر خير وصلاح ، لا عنصر شر وفساد .

كما يحلو للمؤمن ان يطلب بدعائه الهدایة والصلاح للعصاة والفساق
والذين خرجوا عن سبيل الرشاد . لأن ذلك جزء من عملية الاصلاح
الاجتماعي ، والمكلف بها جميع الافراد .

أما الدعاء بالهملة وتمزيق الصفو ، فانما جاز في حالة اللقاء مع
اعداء الله ، اذ ذلك يثبت قلب المسلم ، ويعزز ايمانه ، ويجدد الصلة بين
العبد وربه ، ويقويها . و اذا صدقت النقوص استجابة لها الله بلا ريب .



الفصل الخامس

حسن الخلق

الاخلاق هي الدعامة الاولى لحفظ كيان الامم ، لذا اتفقت كل منة
المربين والباحثين ، على ضرورتها للفرد والمجتمع جميعاً .

فكمما ان الفرد يفسد الخلق السيء ، كالمراء ، والحسد ، والمحقد ،
والمكر ، وغيرها ، كذلك تفسد المجتمعات بشيوع مثل هذه الصفات بين
صفوف افرادها .

ومن أجل ذلك ، كانت مكارم الاخلاق من مهام النبوة ، وجاءت
الكتب السماوية تدعوا اليها ، لأنها هي التي تحقق الفوز بالنعيم الآخرولي ،
كما تضمن السعادة في الحياة الدنيا^(١) .

وغاية الخُلُق أن يكون الفرد موزوناً بميزان الشرع والعقل وبذلك
ينقطع عن علاقه الدنيا ، ويفوز برضاء الله تعالى ، فيسمو عن الترهات
وسفاسف الأمور^(٢) .

فالغاية السامية هي تحقيق السعادة الآخرولية . قال الغزالى (اعلم
أن السعادة الحقيقة هي الآخرولية ، وما عداها سعادة ، اما مجازاً
او غلطًا ، كالسعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة

اما السعادة الدنيوية التي توصل الى سعادة الآخرة ، وتعين عليها
فإن الموصى الى الخير والسعادة ، قد يسمى خيراً او سعادة^(٣) .

فالسعادة الحقيقة هي رضاء الله * وهذه غاية علياً ، وذروة ما تهدف
إليه القيم السامية ، وهذا لا يتحقق الا بتحقيق العلاقات الاجتماعية الحسنة *

(١) انظر كتاب الأخلاق ص ٢ وما بعدها .

(٢) انظر كتاب آداب الصحبة ص ٤٧ .

(٣) ميزان العمل ص ٣٠٤ .

والتعاون والتكافل بين الأفراد ، وتحقيق المصالح للأفراد والجماعات على حد سواء ٠

وحيثما تكون غاية الأخلاق ، رضا الله تعالى ، يكون الاصلاح الاجتماعي . وتحقيق المصالح واقعاً ضمئاً ، لأن الذي يطمع برضاء الله سبحانه ، يكون قد حقق كل صفات الكمال البشرية (٤) ٠

من أجل ذلك يكون الهدف الرئيسي للأخلاق ، رضا الله ، ومن ثم صقل النفس ، واصلاح الفرد والمجتمع على حد سواء ٠

ولا يتحقق حسن الخلق الا بشيوع الفضائل ، وانحسار الرذائل ، ومن المقيد ان تعرف على أهميات الفضائل والرذائل بایجاز ٠

الفضائل :

الفضيلة سمو النفس نحو الكمال الذي أراده الله ، بحيث تكسون هيئة للنفس ، وصورة لباطنها ٠

فالفضائل طريق السعادة في الدنيا والآخرة ، وبها تناول الدرجات العالية ، ويسمى بناء الاجتماعي ٠

والفضائل فردية واجتماعية ، فالقناعة والشكر والرياضة الروحية مثلاً من الفضائل الفردية ، لأنها تخص صاحبها بالذات ، والأمانة ، والكرم ، والوفاء ، والتعاون مثلاً من الفضائل الاجتماعية ، لأن الإنسان يحتاج إليها لأفامة تعامل سليم مع جميع الناس ٠

والفضائل كثيرة ، ولكنها متفرعة عن أهميات وأصول ، ومنها :

الاستقامة :

يتنازع الإنسان في هذه الحياة عاماً الخير والشر ، وكثيراً ما ينساق

(٤) انظر كتاب آداب الصحابة ص ٤٧ .

رسو أحدهما ، بدافع داخلي ٢ أو مؤثر خارجي ٣ .
 ومن أهداف الدين ، وقاية الإنسان من نزعات الشر ، ودعوة الذين
 تورطوا في الأثام ، إلى الاستقامة واصلاح النفس .
 والاستقامة أقوى أسباب الرقي ٤ وهي التي تضمن سير المجتمع
 سيراً طبيعياً .

وكلاً قويت الرغبة في الاستقامة ، ضعف داعي الشر في النفس ،
 لذا اهتم الاسلام بالاستقامة ، ومخاطب النقوص ، وأيقظ المشاعر ، بل خاص
 إلى أعماق تuder الوصول إليها من قبل ومن بعد . كما وعد المستقيمين
 بالاجر العظيم لقاء صدقهم مع أنفسهم والناس . قال تعالى (ان الذين
 قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا
 وأبشروا بالجنة التي كتمت توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي
 الآخرة ولكن فيها ما شتهي انفسكم ولكن فيها ما تدعون نزلاً من غفور
 (رحيم) ٥ .

ويطمئنهم الله تعالى بقوله (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلأ
 خوف عليهم ولا هم يحزنون) ٦ .

والاستقامة تعني الالتزام بما جاء به الشرع ، التزاماً نفسياً ، حتى
 يكون المأمور به سجية ، يصدر بوحى الأيمان ، بتوسط واعتداً بين قوى
 النفس .

فهي صفة نفسية عملية في آن واحد ، وفضيلة فردية اجتماعية معاً ،
 تجمع بين الايمان والعمل .

(٥) فصلت ٣٠

(٦) الأحقاف ١٣ .

وَمَا يَتَوَافَقُ مَعَ مَعْنَى الْإِسْتِقْدَامَةِ هُوَ اِصْلَاحُ النَّفْسِ هُوَ لِأَنَّ التَّمَادِيَ فِي
فِي الشَّرِّ يَجْرِي إِلَى أَوْخَمِ الْعَوَاقِبِ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجَمِعِ هُوَ

وَلَهُذَا وَعْدَ اللَّهِ الَّذِينَ يَصْلِحُونَ أَنفُسَهُمْ بِالرَّضَاءِ وَالْفَسَانِ حِيثُ
يَقُولُ سَبَحَانَهُ (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمَةٍ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ^(٧) هُوَ

وَيَخَاطِبُ سَبَحَانَهُ النَّاسَ جَمِيعًا لِاِصْلَاحِ النَّفْسِ بِقَوْلِهِ (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ أَدْمَرَ
إِنَّمَا يُأْتِيْكُمْ رَسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُولُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِيَ فَمَنْ اتَّقَى وَاصْلَحَ فَلَا خُوفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ^(٨) هُوَ

وَمَا يَنْسَبِّجُ مَعَ الْإِسْتِقْدَامَةِ طَهِيرَةُ النَّفْسِ مِنَ الْأَدْنَاسِ وَالسَّمَوْعُ عَنِ
الْقَائِصِ، وَوَضْعُ النَّفْسِ حِيثُ يَطِيبُ مَوْضِعُهُ هُوَ وَيَرْفَعُ قَدْرَهَا، لَتَأْخُذْ حَظَّهَا
مِنْ رَضْوَانِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى (قَدْ افْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) ^(٩) هُوَ وَقَالَ (قَدْ افْلَحَ
مِنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَاهَا) ^(١٠) هُوَ وَقَالَ (وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى
لِنَفْسِهِ وَالِّلَّهُ أَعْلَمُ) ^(١١) هُوَ

إِنَّ الْإِسْتِقْدَامَةَ وَاِصْلَاحَ النَّفْسِ وَتَرْكِيْتَهَا هُوَ صَفَاتٌ تُمْكِنُ الْمُخَلِّصِينَ مِنْ
الْأَرْقَاءِ فِي سَلْمِ الْفَضْيَلَةِ، وَالْوَصْوَلُ إِلَى أَسْمَى الْغَايَاتِ، وَتَفْتَحُ بَابًا مِنْ
الْأَمْلِ لِلَّذِينَ تَوَرَّطُوا فِي الْأَثْمِ، لِتَغْيِيرِ حَيَاتِهِمْ إِلَى حَيَاةٍ أَفْضَلَ، وَتَبْعَدُ عَنْهُمْ
الْيَأسَ، مِنْ اِمْكَانِيَّةِ اِصْلَاحِ أَنفُسِهِمْ هُوَ لِأَنَّ الْيَأسَ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ نَفْوسِهِمْ،
جَعَلَهُمْ عَنَاصِرَ شَرٍّ يَصْبِعُ اِصْلَاحُهَا هُوَ

فَالْوَصْوَلُ إِلَى الشَّخْصِيَّةِ النَّاجِحةِ هُوَ وَالْخُلُقُ الْقَوِيمُ، لَا يَأْتِي عَنِ
طَرِيقِ التَّأْمِلِ الْبَاطِنِيِّ النَّظَرِيِّ فَحَسْبٌ هُوَ بَلْ عَنْ طَرِيقِهِ وَطَرِيقِ الْعَمَلِ هُوَ

(٧) الْمَائِدَةُ ٣٩ هُوَ

(٨) الْأَعْشَارُ ٣٥ هُوَ

(٩) الْأَعْلَى ١٤ هُوَ

(١٠) الشَّمْسُ ٩ هُوَ

(١١) فَاطِرٌ ١٨ هُوَ

وتدريب النفس وتهذيبها ، والسيطرة عليها بشيء من العزم^(١٢) .

قال الغزالى (ان كمال الايمان بتركية القلب عما لا يحبه الله عز وجل ، وتحلية بما يحبه ، فالتركية شطر الايمان)^(١٣) .

وقال (وهو على التحقيق شطر الدين = وثمرة مواجهة المتقين ، ورياضة المتعبدين)^(١٤) .

فالاستقامة علم وعمل ، ولا غنى لاحدهما عن الآخر ، وفي طريقها لا بد من تضحيه تناسب والدرجة التي أعدها الله للمستقيمين .

العدل :

العدل من الفضائل العظيمة ، وبه قامت السموات والأرض ، وهو انتظام قوى النفس الثلاث : الحكم ، والشجاعة ، والعفة . ولا ينتظم ما لم تستقيم هذه القوى الثلاث ، فهو يجمع جميع الفضائل ، وضده الجور الذي يجمع جميع الرذائل^(١٥) .

وقد أمر الله بالعدل ، بكل صراحة ووضوح بقوله (ان الله يأمر بالعدل والاحسان)^(١٦) .

وبقوله (اذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)^(١٧) . وبقوله (اذا قلتم فاعدلوا)^(١٨) .

(١٢) انظر روح الدين الاسلامي ص ٢٠٥ .

(١٣) كتاب الأربعين ٧٨ .

(١٤) إحياء علوم الدين ٤٩/٣ .

(١٥) كتاب آداب الصحبة ص ١٠١ .

(١٦) التحليل ٩٠ .

(١٧) النساء ٥٨ .

(١٨) الأنعام ١٥٢ .

نـم يوجه الخطاب الى الرسول (ص) (وقل آمنت بما أنزل الله من
كتاب وأمرت لاعـد لـيـنكـم) ^(١٩) •

وليس العـدـلـ اـصـدـارـ الـحـكـمـ فـيـ القـضـاـيـاـ ،ـ بـماـ يـظـهـرـ الـحـقـ ،ـ وـيـخـذـلـ
الـبـاطـلـ ،ـ وـيـرـدـعـ الـفـاطـلـ وـيـنـصـفـ الـمـظـلـومـ •

بلـ هوـ اـظـهـارـ الـحـقـ وـالتـزـامـهـ فـيـ آـيـةـ صـورـ الـحـيـاةـ ،ـ حـتـىـ
يـكـونـ الـعـدـلـ صـفـةـ اـخـلـاقـيـةـ يـتـصـفـ بـهاـ الـمـؤـمـنـ •

فالـعـدـلـ مـفـهـومـ وـاسـعـ ،ـ يـتـنـظـمـ كـلـ مـرـافـقـ الـحـيـاةـ ،ـ وـالـإـنـسـانـ مـطـالـبـ
بـالـعـدـلـ مـعـ نـفـسـهـ ،ـ فـلاـ يـكـلـفـهـ فـوـقـ طـاقـتـهـ ،ـ أـوـ يـخـرـجـ بـهاـ عـنـ الـطـرـيقـ
الـسـوـيـ ،ـ فـيـظـلـمـ نـفـسـهـ •

وـهـوـ مـطـالـبـ بـالـعـدـلـ فـيـ بـيـتـهـ ،ـ مـعـ زـوـجـهـ ،ـ أـوـ لـادـهـ ،ـ وـذـوـيـ قـرـبـاهـ ،ـ
بـمـرـاعـاهـ مـالـهـ ،ـ وـمـاـ عـلـيـهـ ،ـ وـفـقـ ماـ جـاءـ بـهـ الشـرـعـ •

وـهـوـ مـطـالـبـ بـالـعـدـلـ فـيـ شـهـادـتـهـ ،ـ فـلاـ يـكـتـمـهـ ،ـ أـوـ يـثـبـتـ مـاـ لـاـ يـنـقـقـ مـعـ
الـحـسـنـ •

وـهـوـ مـطـالـبـ بـالـعـدـلـ فـيـ كـتـبـهـ ،ـ فـلاـ يـبـدـيـ رـأـيـاـ مـخـالـفـاـ لـلـحـقـ ،ـ أـوـ
يـكـتـبـ خـلـافـ الـحـقـ •

وـهـوـ مـطـالـبـ بـالـعـدـلـ فـيـ تـعـاملـهـ فـيـ مـجـتمـعـهـ ،ـ فـلاـ يـحـيـفـ وـلـاـ يـظـلـمـ ،ـ
وـلـوـ عـارـضـ ذـلـكـ مـصـلـحتـهـ ،ـ اـذـ رـضـاءـ اللـهـ هـدـفـ الـإـنـسـانـ ،ـ فـيـ هـذـهـ الـحـيـاةـ ،ـ
وـلـاـ مـصـلـحةـ تـرـقـىـ إـلـىـ هـذـاـ الـهـدـفـ •

وـالـعـدـلـ بـهـذـاـ المـفـهـومـ الـوـاسـعـ ،ـ وـالـصـورـ الـمـتـعـدـدـ ،ـ يـعـدـ أـسـاسـ
فـضـلـةـ الـاسـقـامـةـ الـتـيـ اـمـرـ بـهـ اللـهـ ،ـ وـهـوـ ثـمـرـةـ التـقـوىـ •

والذي يقرأ القرآن ، يجد الصورة الكاملة والمثلثي للعدل ، وهو الذي يفقده الناس ، وبفقاده تفسد الحياة ، وتضطرب وتفقد السعادة ، والطمأنينة ، والرفاية ، والرخاء^(٢٠) .

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقررين ان يكن غنياً او فقيراً فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلواهوا او تعرضاً فان الله كان بما تعملون خيراً)^(٢١) .

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمكم شئان ، قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خير بما تعلمون)^(٢٢) .

وبهذين الاساسين يُشاد العدل الحقيقي ، وبغيرهما لا عدل ، اذ القضاة في كل زمان ومكان ، يقضون بين الناس الذين لا يعروفونهم بالعدل غالباً ، ولكن ميزان العدل يختلس حينما يكون أحد الخصوم في الدعوى ، صاحباً ، أو معرفة ، أو ذا نفوذ ، أو غنياً صاحب جاه ، أو كان ممّن تربطهم به صلة قربي او كان من لا يحبهم ، أو بيته وبينهم ما يوغر الصدر ، وما شاكل .

وهنا تنفرد المباديء التي تصوغ في نفوس مستقيها ، واقعاً يفرض نفسه على كل واقع سواه .

لذا أمر القرآن كل القضاة بالاعتصام بمفهوم هاتين الآيتين ، فلا يتأثر القاضي بأي من المؤثرات ، بل الدليل وحده يتحكم في صدور الحكم ، وهذا لابد للإنسان ان يصارع هواه ، ويقف باصرار أمام المؤثرات

(٢٠) النظر من فلسفة التشريع الإسلامي ص ١٤٩ .

(٢١) النساء ١٣٥ .

(٢٢) المسائدة ٨ .

والمغريات ، التي تبعده عن الصواب . فان اطاع الله فيما جعله أميناً عليه ، وانتصر على نفسه ، فله درجة عالية يوم القيمة ، وان عصى ، كان الله خصمك يوم القيمة .

وهذه الاهمية للعدل في حياة الفرد والمجتمع ، هي التي جعلته من أصول الاخلاق ، وعنه تتفرع معظم الفضائل .

الاحسان :

معناه :

الاحسان في اللغة ، ضد الاصابة . وقد استعملت الكلمة في الاصطلاح الديني ، بمعنى الاخلاص في الایمان والعبادة)^(٢٣) .

قال تعالى (تلك آيات الكتاب الحكيم ، هدى ورحمة للمحسنين ، الذين يقيسون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة يوفون)^(٢٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم (الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك)^(٢٥)

اما في الاصطلاح الاخلاقي : فهو معناه العام يشمل عمل الخير يجتمع أنواعه ، وبأوسع حدوده^(٢٦) .

فالحسنة : هي الفعل الحسن ، والافعال الحسنة تشمل كل الخبر ، وكل معاملة ترقى وترفع من شأن الانسانية ، وتهذب نفسيه المرء ، وقربه من خالقه .

(٢٣) لسان المرب ، مادة حسن .

(٢٤) لقمان ٤-٢ .

(٢٥) رواه مسلم رقم ٨ ، والتزمي رقم ٢٦١٠ ، وابن ماجة رقم ٦٦ .

(٢٦) انظر المعامالت الخلقية للقوانين الشرعية ص ٢٧٠ .

وعلى هذا جاءت وصايا القرآن في الدعوة إلى الاحسان والترغيب في

اتيانه ٠

منزلة الاحسان :

يجب ان يكون الاحسان واجباً طبيعياً للانسان ، وأن الله كما احسن
الى ينعمه الكثيرة ، يجب ان يحسن بهذه النعم الى الخلق ٠ قال تعالى
(وأحسن كما أحسن الله اليك)^(٢٧) كما ان منفعة الاحسان تعود بالدرجة
الاولى للمحسن ، قال تعالى (إن احسنتم أحسنتم لأنفسكم وان اساءتم
فلها)^(٢٨) ٠

وهذا حق ، اذ المحسن يشعر بطمأنينة ٠ لا يشعر بها غيره ، ويكتفي
ما يقابل به من ود ومحبة وتقدير مما يدخل المساعدة الى نفسه ، بينما
الاسرة يجعل صاحبها منبذاً محقرأً ٠ لا يهنا له عيش ولا يقر له قرار ،
لذا أمر الله بالاحسان بقوله (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابقاء ذي
القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)^(٢٩) ٠

وقد رفع القرآن منزلة الاحسان . وقرنه بالاخلاص لله ، ووصفهما
بأنهما أرفع ما يتحلى به الانسان . قال تعالى (ومن احسن دينا من أسلم
وجهه لله وهو محسن)^(٣٠) ٠

وقال تعالى (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك
بالعروة الوثقى)^(٣١) ٠

وقال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)^(٣٢) ٠

٢٧) القصص ٧٧ ٠

٢٨) الاسراء ٧ ٠

٢٩) النحل ٩٠ ٠

(٣٠) النساء ١٢٥ ٠

(٣١) لقمان ٢٢ ٠

(٣٢) الانعام ١٦٠ ٠

ووعد الله المحسن ، بحسن الثواب والامان يوم القيمة بقوله (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون)^(٣٣) .

من صفات المحسنين :

من صفات المحسنين في القرآن قيامهم أكثر الليل للصلوة ، وأنهم في آخر الليل يطلبون المغفرة من ربهم ، ومن صفاتهم انهم يجعلون في مالهم نصيباً للسائل والمحروم . قال تعالى (إن التقين في جنات وعيون ، أخذذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانواوا قليلاً من الليل ما يهجنون ، وبالاسحاق هم يستغفرون) وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)^(٣٤) .

والجهاد في سبيل الله بالنفس او المال هو من الاحسان ، قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدى لهم سبّلنا وان الله لمع المحسنين)^(٣٥) .

ومن صفاتهم اتباع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به اواثق هم المقون ، لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين)^(٣٦) .

ومن صفاتهم العفو ، قال تعالى (فاعف عنهم وأصفح ان الله يحب المحسنين)^(٣٧) .

ومن صفاتهم الصبر ، قال تعالى « وأصبر فان الله لا يُضيع أجر المحسنين »^(٣٨) .

٨٩) النمل (٣٣)

١٩-١٥) الذاريات (٣٤)

٦٩) العنكبوت (٣٥)

٣٤-٣٣) الزمر (٣٦)

١٣) المائدة (٣٧)

١١٥) هود (٣٨)

ولقد رغب القرآن بالاحسان ، ووعد المحسنين بارفع ما تصبو اليه
النفس ، لانه يحتاج الى تضحيه ومجاهدة للنفس ، وعدم الانقياد
للهوى (٣٩) .

والاحسان مطلوب مع جميع الخلق ، ولكن أحق الناس به
أولوا القربى ، كالوالدين ، والابناء ، والاخوة والعصبات ، والجيران ،
والاصدقاء ، وكل من تربطهم مع المحسن رابطة .

فالاحسان خلق شمره المبادىء ، ويكتسب بالالتزام الكامل بهذه
المبادىء ، حتى يكون سجية للنفس ، تأتى بلا تكلف .

الزهد :

للزهد حقيقة ، وأصل ، وثمرة :

أما حقيقته : فهو عزوف النفس عن الدنيا وانزواتها عنها طوعاً ، من
القدرة عليها .

وأصله : العلم والنور الذي يشرق في القلب ، حتى يشرح به
الصدر ، ويتبصر به أن الآخرة خير وأبقى ، وان نسبة الدنيا الى الآخرة
أقل من نسبة خزة الى جوهرة .

وثمرته : القناعة من الدنيا بقدر ما يكفل حاجات الانسان ، التي
لا غنى عنها (٤٠) .

وليس معنى ذلك الاكتفاء بما يقيم الصلب ويبقى الحياة ، وإنما يكفي
الإنسان أن ينال حظه من الدنيا ، بلا اسراف في أمور لا تؤثر على مسيره
في الحياة ، كالاسراف في الطعام والمشرب ، والملابس والمظاهر ، ومتعة
النفس على اختلاف مظاهرها ، والتي تقصد لذاتها .

(٣٩) انظر روح الدين الاسلامي ص ٢٠٨ .

(٤٠) انظر كتاب آداب الصحابة ص ١٠٩ .

فالإنسان يكفيه أن يضمن عيشاً يحفظه ماء وجهه بين الأقران ، ولا يعرضه للسؤال ، ومسكتاً يأوي إليه مع أسرته ، كباقي الناس ، مع ضمان تعلمه ومواكبتة للحياة .

اما حرمان النفس من النعم المشروعة ، والقعود عن كسب ما يضمن متطلبات الحياة الأفضل ، كطلب العلم ، وشراء الكتب ، وتنظيم الحياة اليومية ، فليس من الزهد .

فالمطلوب الاكتفاء بما يسد الحاجة ، وكبح جماح النفس اذا ركضت وراء الاعراض الفانية ، وجمع المال ، بما يؤثر على اداء المهمة التي خلق الإنسان من أجلها ، ولكن يكون لديه المسع من الوقت يقوم بواجبه تجاه نفسه وأهل بيته ، ويقوم بما يمليه عليه الواجب الشرعي تجاه مجتمعه .

وللزهد درجات :

الحادي : ان يزهد ونفسه مائلة الى الدنيا ، ولكنه يجاهدها ، هذا متزهد ، وليس بزاهد ، ولكن بداية الزهد التردد .

الثانية : أن تفر نفسه عن الدنيا ، ولا يميل اليها ، لعلمه أن الجمع بينها وبين نعيم الآخرة غير ممكن ، فتسمح نفسه بتركها ، كما تسمح نفس من يبذل درهماً ليشتري جوهرة ، وهذا زاهد .

الثالثة : أن لا تميل نفسه عن الدنيا ، ولا تفر عنها ، بل يكون وجودها وعدتها عنده بمثابة واحدة ، وهذا هو الاكملي^(٤١) .

والزهد يربى التفوس ، ويسمو بها الى عالم المثل والقيم الإنسانية الرفيعة ، ويشعر الإنسان بالسعادة والاطمئنان .

اما الحياة المادية ، التي تجردت من كل القيم الروحية ، فقد غررت

(٤١) كتاب الأربعين في أصول الدين ص ١٠٩ .

في صدور الناس شوكة دائمة ال وخز هـ فهم وراء المادة صباح مساء هـ لا يهدأ لهم بال هـ ولا يهشون بنوم هـ وكلما توغل الانسان في جمع المال هـ أحسن بعدهم شديد ووخز عظيم هـ فلا يتورع ان يشنـ في سلوكه وتصرفاته بارتکاب المحظور هـ والوقوع في اوحش الآثام هـ ارضاء لشوكة الطمع هـ

و عند ذلك يتتحول المجتمع الى مجموعة ذئاب جائحة هـ القوي يأكلن الضعيف هـ تقاليدهم القهر هـ وال默كـ هـ والخدية هـ حتى يستكمل الخبرـ كل جوانبه هـ عندها تفجير الحياة كالبركان لا يبقي ولا يذر هـ

ولقد اهتم القرآن اهتماماً غير عادي هـ ب التربية الضمير هـ وصقل النفس هـ وخطاب الوجدان هـ وايقاظ المشاعر هـ ولفت نظر الانسان الى السعي لأخذ نصيبه من الدنيا هـ وطلب منه القناعة بهذا النصيب هـ وأبعده عن الملاجحة والالحاد هـ والركض السريع وراء المغريات هـ ليكون مطمئناً هادياً، البال هـ متزن التصرفات هـ

قال تعالى « من كان يريد حرج الدنيا نوثـ منها ومالـه في الآخرة من نصيب » (٤٢) هـ

وقال تعالى في حق قارون « فخرج على قومـهـ في زـيـنتهـ ، قالـ الذينـ يـرـيدـونـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ يـاـيـلـتـ لـنـاـ مـلـىـلـ ماـ أـوـتـيـ قـارـونـ اـهـ لـذـوـ حـظـ عـظـيمـ ، وـقـالـ الـذـينـ أـوـتـوـ الـعـلـمـ وـيـلـكـمـ ثـوـابـ اللـهـ خـيـرـ لـمـنـ آـمـنـ وـعـمـلـ صـالـحاـ » (٤٣) هـ

فمن أصبح وهمـ الدنياـ شـتـ اللهـ عـلـيـ أـمـرـهـ ، وـفـرـقـ عـلـيـ ضـيـعـتهـ وـجـعـلـ فـقـرـهـ بـيـنـ عـيـنـيهـ ، وـلـمـ يـأـتـهـ مـنـ الدـنـيـاـ إـلـاـ مـاـ كـتـبـ لـهـ هـ

وـمـنـ اـصـبـحـ وـهـمـ الـآـخـرـةـ جـمـعـ اللـهـ لـهـ هـمـهـ ، وـحـفـظـ عـلـيـ ضـيـعـتهـ وـجـعـلـ غـنـاهـ فـيـ قـلـبـهـ ، وـأـتـهـ الدـنـيـاـ وـهـيـ رـاغـمـةـ (٤٤) هـ

(٤٢) الشـورـىـ ٢٠

(٤٣) القـصـصـ ٧٩

(٤٤) كتاب أـدـابـ الصـحـبةـ صـ ١١٢

والانسان الناجح ، هو الذي استطاع ان يوازن بين حاجاته الروحية والمالية ، فلا يطفى احدهما على الاخر ، فلا الجانب المادي يجره الى ما يخرجه عن الطريق السوي ويلهيه عن ذكر ربه . ولا الجانب الروحي يهدى عن كسب ما يحتاج اليه ، ليضطر الى السؤال ، وتكتف الناس ، والتقصير في حق نفسه وعياله .

قال تعالى « وابغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيحتك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين »^(٤٥) .

التقوى :

التقوى فضيلة عظيمة اهتم بها القرآن ، لأنها من نعمات اليمان بالله ، وهي التي تنظم العلاقة بين الانسان وربه ، وبينه وبين الانسان الآخر .

والتقوى نابعة من خوف الله عزوجل ، ومن هنا كان حرص الانسان على أن تكون جميع تصرفاته في حدود المشروع دونما تجاوز على حقوق الآخرين ، فهي صيانة للنفس عن كل ما يضر ويؤذى . قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقائه ولا تموتن الا وأنت مسلمون »^(٤٦) .

وقال « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقيين »^(٤٧) .

والتقوى احتراز بطاقة الله عن عقوبته وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك^(٤٨) .

(٤٥) القصص ٧٧ .

(٤٦) آل عمران ١٠٢ .

(٤٧) التوبه ٧ .

(٤٨) التعريفات للجرجاني ص ٥٧ .

والمتقون هم الذين يقون انفسهم ، عذاب الله وسخطه في الدنيا والآخرة ، وذلك بالوقوف عند حدوده ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه فلا يأمر إلا بما فيه خير الإنسانية ، ولا ينهى إلا عما يضرها ٠

ومن ثمرات التقوى الأمان يوم القيمة ، قال تعالى « ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا و كانوا يتقوون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » (٤٩) ٠

وقد ذكرها الله في معرض تفريج الأزمات ، وحل المشكلات ، والنصر والفوز في الدنيا والآخرة ، قال تعالى « ورحستي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقوون ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون » (٥٠) ٠

وقال « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » (٥١) ٠

وقال « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » (٥٢) ٠

الأخلاص :

الأخلاص تخلیص القلب عن شائبة الشوب المکدر لصفائه ، وقيل تصفيه الاعمال من كدورات الرياء والشرك ٠

وقيل : هو ستر بين العبد وبين الله تعالى ، لا يعلمه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هو فيميله (٥٣) ٠

(٤٩) يونس ٦٤-٦٣ ٠

(٥٠) الأعراف ١٥٦ ٠

(٥١) الطلاق ٤ ٠

(٥٢) الأعراف ١٢٨ ٠

(٥٣) التعريفات للتجرجاني ص ٨ ٠

فالخلاص لله بقطع ما سواه عن النظر ، فضيلة ذات أثر على النفس ، اذ يعني الطهر ، وصحة الإيمان .
ولا يكون الخلاص لله ، الا بعد الاستقامة ، واستواء الظاهر والباطن .

والخلاص يقوم أساساً على النية ، والصدق في العمل ، قال تعالى « وما أُمِرْوا إِلَّا يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ حَفَاءَ »^(٥٤) . وقال « أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْحَالِصُ »^(٥٥) . وقال « إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ »^(٥٦) .

وإذا أخلص الفرد لله واستوى ظاهره وباطنه ، فاز بقبول أعماله في الآخرة ، رضاء رب سبحانه ، وانتظمت حياته وشعر بالسعادة والراحة في عمله اليومي ، اذ ليس الخلاص في العبادة فقط ، وإنما في كل تصرفات الإنسان ، وبذلك يعم الحياة بأسرها ، وبالتالي يعم المجتمع .

فالخلاص يظهر المجتمع من المكر والخدعية ، وخبث الطوبية ، والرياء والكذب ، وغيرها من الرذائل التي ترافق المجتمعات المادية .

التوكيل :

التوكيل اعتماد القلب على الله وحده ، وله ثلاثة أركان :

الاول : المعرفة بالله ، وهي التوحيد ، وكمال المعرفة بقولك « لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » فيها : إيمان بالتوحيد ، وكمال القدرة ، والوجود والحكمة ، ومن قال ذلك مخلصاً ، فقد تم توحيده^(٥٧) .

٥٤) البيضة .

٥٥) الزمر .

٥٦) النساء . ١٤٦ .

٥٧) كتاب آداب الصحبة ص: ١٢٠ .

الثاني : حال الم وكل ، وهو أن يكل أمره إلى الله وحده ، ويتحقق به
قلبه وطمئن نفسه إليه ، ولا يلتفت إلى غيره .

ومن تحققت معرفته بأن الرزق ، والأجل ، والخلق ، والامر ، يهدى
الله تعالى ، وهو منفرد به لا شريك له ، وإن وجوده ، وحكمته ، ورحمته
لا حدود لها ، اتكل قلبه بالضرورة عليه ، وانقطع عما سواه .

الثالث : العمل ، اذ ليس التوكيل معناه ترك العمل والأخذ بالإصابات
بل يجب ان يقوم الانسان بما عليه من عمل ، ثم يتوكل على الله ، ليطمئن
قلبه ، فلا يتحرق على الدوام .

والتوكل على الله يفتح آفاقاً للسعادة ، حيث يوفر راحة للاعصاب
ويدخل الرضا والاطمئنان على النفس ، فلا تذهب فريسة الاوهام
والشكوك ، والافكار السوداء .

قال تعالى « وعلى الله فليتوكل المتكلون »^(٥٨) . وقال « وعلى
الله فتوكلوا ان كتم مؤمنين »^(٥٩) . وقال « ان الله يحب المتكلين »^(٦٠) .
وقال « ومن يتوكل على الله فهو حسبه »^(٦١) .

فالتوكل خلق اختص الله به عباده الذين أخلصوا ، ليعيشوا حياة
أفضل ، تعم بحلل المثل ، والقيم ، ومكارم الأخلاق .

الصبر :

الصبر ترك الشكوى من الم البلوى لغير الله^(٦٢) . أما الشكوى
للله ، فهي مناجاة ، لا قدرح في الصبر .

• (٥٨) ابراهيم ١٢ .

• (٥٩) المسائدة ٢٣ .

• (٦٠) آل عمران ١٥٩ .

• (٦١) الطلاق ٣ .

• (٦٢) التعريفات للجرجاني ص ١١٥ .

والصبر فضيلة خلقية ونفحة روحية يعتضد بها المؤمن ، فتحتفظ
عن بأسائه ، وتدخل على قلبه السكينة والاطمئنان ، وهو البليس لجرأاته ،
فالصابر يتلقى الشدائـد بالقبول ، فلا تهـار قوـاه ، ولا يـشـتـتـ أمرـه ، بل
تراءـه مـقـاسـكـ القـوىـ . حتى تزول شـدـتهـ ، ويعود إلى حـالـتـهـ الطـبـيعـيـهـ .

ولولا الصبر لانهارت نفس الإنسان ، من البلاءـاـ التي تنـزـلـ عـلـيـهـ ،
ولا يـصـبـعـ عـاجـزاـ عنـ مـواجهـةـ الـحـيـاةـ ، والـسـيرـ فيـ مـعـرـكـهاـ .

وقد عـنـ القرآنـ بالـصـبـرـ عـنـيـةـ خـاصـةـ ، وـرـفـعـ مـنـزـلـةـ الصـابـرـيـنـ . قالـ
تعـالـىـ «ـ اـنـمـاـ يـوـفـيـ الصـابـرـوـنـ أـجـرـهـ بـغـيرـ حـسـابـ »ـ (٦٣)ـ .

وقـالـ «ـ وـلـنـجـزـيـنـ الـذـيـنـ صـبـرـوـاـ أـجـرـهـ بـأـحـسـنـ مـاـ كـانـواـ
يـعـمـلـونـ »ـ (٦٤)ـ .

وقـالـ «ـ وـاـصـبـرـوـاـ إـنـ اللـهـ مـعـ الصـابـرـيـنـ »ـ (٦٥)ـ .

وقد ذـكـرـ الصـبـرـ حـوـالـيـ سـبـعينـ مـرـةـ فـيـ الـقـرـآنـ ، وـلـمـ تـذـكـرـ فـضـيـلـةـ
أـخـرـىـ بـهـذـاـ الـقـدـرـ .

فالصـبـرـ مـلـكـةـ الثـبـاتـ وـالـاحـتمـالـ ، التـيـ تـهـوـنـ عـلـىـ صـاحـبـهاـ ماـ يـلـاقـيهـ
مـنـ مـصـاعـبـ فـيـ حـيـاتـهـ ، فـهـوـ العـزـاءـ لـلـقـلـوبـ الـمـكـلـوـمـةـ ، وـنـفـحةـ الرـحـمـنـ
لـلـنـفـوسـ الـحـزـينـةـ ، وـأـكـسـيرـ الـحـيـاةـ لـلـمـعـدـيـنـ الـذـيـنـ يـتـلـمـسـونـ الـخـلاـصـ
ـهـمـاـ هـمـ فـيـهـ .

وـعـنـ التـأـمـلـ فـيـ الصـبـرـ كـصـفـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ ، نـجـدـهـ مـلـازـمـاـ لـسـيـرـةـ الـاصـلاحـ
الـاجـتـمـاعـيـ ، وـهـذـاـ النـوعـ مـنـ الـعـملـ يـحـتـاجـ الصـبـرـ ، أـكـثـرـ مـنـ غـيرـهـ . وـلـاـ
يـكـونـ إـلـاـ بـالـصـبـرـ ، وـطـولـ النـفـسـ ، وـالـمـتـابـعـةـ ، وـعـدـمـ التـأـثـرـ بـالـمـؤـثرـاتـ ، وـعـدـمـ

(٦٣) الزمر ١٠ .

(٦٤) النمل ٩٦ .

(٦٥) الأنفال ٤٧ .

«الشعور باليأس» عند مواجهة الحياة، ولو لفترة لحالات المشاكل والصعوبات بين المصلحين، واداء مهامهم في الاصلاح.

الشّكْر :

الشّكْر عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء كان باللسان، أو اليد، أو بالقلب.

وقيل هو الشّاء على المحسن بذكر احسانه، فالعبد يشكر الله، أي يشي عليه بذكر احسانه الذي هو النعمة.^(٦٦)

والشّكْر من المقامات العالية، وهو أعلى من الصبر، والزهد، لأن الصبر إنما يراد لقهر الهوى، والزهد هرب من علائق الدنيا، التي تشغله الإنسان عن ذكر ربه.

أما الشّكْر فمقصوده في نفسه، فهو الاعتراف بالنعمة والقيام بحقها، لذا لا ينقطع في الجنة، وليس فيها توبة، ولا خوف، ولا صبر، ولا زهد، والشّكْر دائم في الجنة. قال تعالى «دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيthem فيها سلام وأخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين»^(٦٧).

وقد ذكر الله الشّكْر في كتابه بقوله «إِن شَكْرَتُمْ لَا زِيَدَنَّكُمْ»^(٦٨) ويقوله «وَسِيَجِزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»^(٦٩) ويقوله «وَأَشْكِرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ»^(٧٠).

وليس الشّكْر قول باللسان، وإنما هو استيعاب لمعنى التوحيد، ومعرفة بالنعم حق النعم، وتسخير هذه النعمة في طاعة الله، وكف النفس عن

(٦٦) التعريفات للجرجاني ص ١١٢.

(٦٧) يوسم ١٠

(٦٨) ابراهيم ٧

(٦٩) آل عمران ١٤٤

(٧٠) البقرة ١٣٥

الشر . لذا قال تعالى « وقليل من عبادي الشكور » (٧١) .

فالشكرا التزام واع ، يعني تسخير كل ما كان للإنسان لطاعة الله ، والتصرف في الحياة كما أمر وأراد ، فهو التعيس عن تمام العبودية لله .

الصدق :

الصدق : هو قول الحق في مواطن الهايا ، وقيل : ان تصدق في موضع لا ينحيك منه الا الكذب . قال القشيري : الصدق ان لا يكون في احوالك شوب ، ولا في اعتقادك ريب ، ولا في أعمالك عيب ، وقيل : الصدق هو ضد الكذب ، وهو الابانة عما يخبر به على ما كان (٧٢) .

وهو فضيلة خلقية سامية تضمن استقرار المجتمع ، وتضمن الثقة بين افراده ، فهو من ضرورات المجتمع ، وينبغي ان ينال حظاً من العناية ، في جميع المؤسسات ، التي لها صلة بالتربيـة . اذ الصفات المكتسبة تتأثر بالمحـيط والظروف والبيئة ، وكل ما حول الفرد . فـانـ كانـ ماـ حولـهـ صالحـاًـ اكتسبـ الصـلاحـ ،ـ ورغمـ وجـودـ العـقـلـ عـنـ الـإـسـانـ ،ـ اـذـ هـوـ مـكـفـ ،ـ ولاـ يـصـحـ اـعـتـدـارـهـ بـفـعـلـ الـآـخـرـينـ ،ـ الاـ انـ الـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ لـهـ أـثـرـ كـبـيرـ فيـ اـكتـسـابـ الصـفـاتـ .

لذلك فالمجتمع بأسره مدعو لغرس هذه الفضيلة ورعايتها ، لتعطي نمارها ، في علاقات سليمة ، تغلب عليها الثقة .

وقد دعا القرآن الى التخلق بهذه الصفة ، قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (٧٣) .

(٧١) سبأ ١٣ .

(٧٢) التعريفات للجرجاني ص ١١٦ .

(٧٣) التوبة ١١٩ .

وقال « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً » (٧٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالصدق » فان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، واياكم والكذب ، فان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً (٧٥) .

ومن أنواع الصدق ، الامانة التي هي ارفع الصفات عند الانسان ، ومن أقوى دعائم سلام المجتمع ، قال تعالى « الذين هم لاماناتهم وعهدهم راهون » (٧٦) .

ومن أنواعه صدق الوعيد ، قال تعالى « واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّاً » (٧٧) .

الاصلاح بين الناس :

ليس الخير ان يكون الفرد مستقيماً في حياته فحسب ، بل الخير ان يسعى الفرد لاصلاح الناس بعد اصلاح نفسه .

فالاصلاح بين الناس من اهداف الاسلام ، لأن العداوة بين الافراد تحرر الوبر الى المجتمع بأسره ، لذا أمر القرآن بالاصلاح ، قال تعالى « وَانْ حَاقَتْنَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلُوْا فَأَصْلَحُوْا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتَلُوْا تِبْغِيْهِ تِبْغِيْهِ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنْ فَاعَتْ فَأَصْلَحُوْا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَاقْسِطُوْا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، انَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ اخْرُوَةٌ فَأَصْلَحُوْا بَيْنَ أَخْوِيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُوْنَ » (٧٨) .

(٧٤) الأحزاب ٧٠ .

(٧٥) متفق عليه ، البخاري رقم ٢٣٤٠ ، مسلم رقم ٢٦٠٧ .

(٧٦) المؤمنون ٨ .

(٧٧) مريم ٥٤ .

(٧٨) الحجرات ١٠٩ .

وقال « وان ختم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما »^(٧٩) .

فالاصلاح بين الناس واجب شرعي ، يكفل حل الخلافات بين الافراد والجماعات على حد سواء ، وهو نابع من معنى الشعور بالمسؤولية والتكافل الاجتماعي .

التعاون :

من نبرة الحياة الروحية ، التعاون على البر والتقوى ، للنهوض بالحياة الى المستوى الرفيع الذي اراده الله .

لذا كان للتعاون حظه في القرآن ، قال تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »^(٨٠) .

والتعاون على البر والتقوى يشمل كل عمل يؤدي الى الخير في الدنيا والآخرة ، ويأخذ بيد الفرد ويوجهه نحو السعادة ، ويقطع عنده علاقه الشر .

الايشار :

الايشار من الصفات الكريمة ، التي يتحلى بها الانسان ، وبه يعبر عن سموه وانتصاره على أنانيته ، اذ هو تفضيل الغير على النفس في الخير ، وهو شعار النفوس الكبيرة الساعية لخدمة الإنسانية .

وللإيشار أكبر الأثر في توثيق المحبة بين أفراد المجتمع ، اذ يجعلهم متعاطفين متعاونين ، عكس الآثرة التي تجعل صاحبها مكروهاً منبوذاً في المجتمع .

↑ (٧٩) النساء ٣٥ .
٠) المائدة ٢ .

والأيات يحمل لصاحبه سعادة لا يعرفها إلا من جرب هذه الفضيلة ٠
قال تعالى : (وَبُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ خَاصَّةً وَمَنْ يَسُوقْ
شَيْخَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٨١) ٠

والإيات من الخصال التي تدل على عمق التربية ، التي غرسها الإسلام
في نفوس أهله ، وهو نور للذين ينشدون السمو الروحي لخير المجتمع ٠
وخدمة الإنسانية ٠

حسن الكلام :

الكلام الحسن مصدر نجاح الإنسان في الحياة ، و اختيار الكلام
الحسن يجعل الإنسان محبوباً في الوسط الذي يعيش فيه ، وهو السر
في احترام الناس وكثرة الاصدقاء ٠

قال تعالى : (وَقَالَ لِعِبَادِي يَقُولُوا إِنَّمَا هُوَ أَحْسَنُ مَا يَرَى إِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَرَاغَبُ
بِنَاهُمْ) (٨٢) ٠ وقال : (وَقَوْلُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا) (٨٣) ٠

لقد أرشد القرآن إلى كيفية توجيه الكلام ، وغض الصوت ، كما
أمر بال بشاشة عند مخاطبة الناس ، وتجنب الغلطة في القول ، كما علّم
المسلم الاستئذان والتغيبة وردتها ، كل ذلك بشكل يسوق النفس للالتزام ،
فليست من قبيل النصائح والارشادات الجافة ، بل طرقها بشكل يحسن
المشاعر ، ويوقف العقل ، بحيث يندفع الإنسان للأخذ بها ، برضاء
وشوق ٠

ولو درسنا مشاكل الناس لوجدنا الكلام أساس الكثير منها ، فأول
الخصام كلمة ، لم يجتهد قائلها ، ثم الرد عليها بمثلها ، وهكذا حتى
تفضي إلى منازعة ٠

(٨١) الحشر ٩ ٠

(٨٢) الأسراء ٥٣ ٠

(٨٣) البقرة ٨٣ ٠

ولقد اهتم القرآن بكيفية توجيه الكلام ، لانه يبحث الجريمة من أصولها ، بتجنب كل ما يفضي اليها ٠

العنف :

من الصفات النابعة عن قوى الله وخوفه ، العفو ، اذا لا يصدر الا عن نفس كبيرة ، راجحة العقل ٠

وكل الناس يختلطون في تصرفاتهم المتعددة ، وهم في حاجة للعنف ، لتبقى العلاقات الاجتماعية سليمة قائمة على الود والتعاون ، لا على أساس البخاء والضيقنة ٠

قال تعالى : (وَإِنْ تَغْفِرُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (٨٤) ٠

وقال : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مُّثْلِهَا ۝ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأُجْرُهُ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (٨٥) ٠

والعفو كما دعا اليه الاسلام ، يؤدي في كثير من الاحيان ، الى حداقة قوية بين المخاصمين ، لأن المعتدي يؤلمه هذا العفو من قادر على القصاص ، فيعمل على ارضائه ، ومحو اثر الاعتداء من نفسه ٠

هذه باختصار أمثلات الفضائل ، أما الفضائل والخلال الحميدة الأخرى ، فهي متفرعة عنها ٠

ومن شرح الله صدره ، ووفقه لاكتساب هذه الخصال ، فقد حق الخير لنفسه ومجتمعه ٠

(٨٤) التgsابن ١٤ ٠
(٨٥) الشورى ٤٠ ٠

فما يعود عليه : أنه تزكي ، وبذلك استحق أن يكون كل عمل يقوم به ، قاصداً رضا الله وامتثال أمره ، عبادة يؤجر عليها ، وأكتسب مؤهل قبول العمل .

وانتظمت حياته ، وحسنت علاقاته بالآخرين ، واحترمه المجتمع ، واختبره في سلّم الكمال ، فهو الصغير في نفسه ، الكبير في أعين الناس .

أما المجتمع الذي تسوده هذه القيم ، فلا شك أنه اكتسب مؤهلاً للنهوض والرقي والتقدم . وما عليه إلا الانطلاق بالعمل المجاد ، لتحقيق المصالح التي ترفعه بين الشعوب ، وتحمّله عزاً ومنعة .

الرذائل :

إلى جانب الفضائل التي بينها القرآن ، وأمر باتباعها ، كي يبلغ السمو الذي أراده الله ، هناك خصال مذمومة ، حذر القرآن منها ، وأمر بتجنبها ومحاربتها ، وتحصين المجتمع ضدها ، لأنها مصادف الشيطان لتضليل البشر ، ومن هذه الرذائل :

الباع الهوى :

يحتاج الإنسان في معركـة هذه الحياة تـيات شـتى من الرغبات والشهوات ، وربما آخر مصلحتـه الخاصة ، ولو كان فيها إضرار بالغير ، ولا يهمـه أن تكون أعمالـه سيئة ، ما دامت تشـبع رغباتـه وأهواهـه .

وقد حرص القرآن على محاربة الأهواه ، لأن هـوي النفس يـشوش نظام مـيول الإنسان الطبيعـية المتوازنـة .

قال تعالى : (وَوَوَ اتَّبَعَ الْحَقَّ أَهْوَاهُمْ لِفَسْدِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمِنْ فِيهِنَّ) (٨٦) .

وقال : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلوك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) ^(٨٧) .

ان اتباع هوى النفس يصرف الانسان عن حقيقة هذه الحياة ، ويعطل النظام الذي رسمه الله ، لأن الهوى يملك على الانسان عقله ونفسه ، فلا يدرك ، ولا يتذكر ، ولا يفكر ، بل تحرم نفسه بكل قواها ، نحو المسألة التي يعجبها ويهواها لذا كان منطق الهوى مختلفاً عن منطق العقل . قال تعالى : (وان كثيراً ليضلوا بأهوائهم بغیر علم) ^(٨٨) . وقال : (بل اتبع الذين ظلموا أهواهم بغیر علم) ^(٨٩) . وقال : (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواهم ، ومن أضل من اتبع هواه بغیر هدى من الله ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين) ^(٩٠) .

وابداع الهوى أساس الرذائل ، فهو الذي يقود الى حب النفس ، والكبرياء ، وحب المال ، والجنس ، ويهوّن الكذب ، والنفاق ، للحصول على ما يشتهيه ، ثم تتفرع الرذائل والمخائط ، فينقلب سلوك الانسان الى سلوك حيوان مفترس شرير .

وقد وصف القرآن العلاج الناجع للتغلب على هوى النفس ، وذلك بالتوجه الكلي الى الله ، والامتناع عن مخالفة أمره . قال تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هي المأوى) ^(٩١) .

وهذه المراقبة والمجاهدة كفيلة برد النفس الى الصواب ، لأنها صدرت من نفس ترغب بالثواب ورضاء الله .

^(٨٧) ص ٢٦ .

^(٨٨) الأنعام ١١٩ .

^(٨٩) السروم ٢٩ .

^(٩٠) القصص ٥٠ .

^(٩١) النازعات ٤١ .

العجب :

العجب استظام النفس وخاصتها التي هي من النعم ، والرکون اليها
مع نسيان اضافتها الى المنعم ، والامن من زوالها^(٩٢) .

والعجب سبب الكبر ، وهو جهل ممحض ، لانه يتعجب من أمر
ليس باختياره ، وليس له ذات ، بل كل شيء من الله ، أعطاء الانسان
ويسلبه متى شاء ، فكل ما حصل عليه بتيسير الله ، فلا ينسبه لنفسه ، ثم
يتعجب بهذه النفس العاجزة ، اذا عرف الانسان أن ما عنده ، هو من عند
الله وشكر الله على هذه النعمة ، فيليس بعجب .

وبما أن الكبر يتولد عن العجب ، فقد أصبح من أمميات الرذائل ،
وان الذي يعظم من شأنه ، أنه صفة نفسية ، لا يطلع عليها ، الا عند انعكاسه
على التصرف ، فالمعجب يحمل خبشه على الدوام ، ولا تشعر به ، الا
عندما يطيل بذكر صفاته وميزاته ، وهذه الصفة قابلة للنسو في نفس
الانسان ، حتى يتحول كل هم الانسان للفخر بنفسه والاعجاب بأقواله
وأفعاله ، فيشغله عن مراقبة نفسه ، واصلاح عيوبه ، فتكثر فيه آفات
يصعب علاجها ، فيقع في مطببات الحياة ، لذا حذر القرآن منه . قال
تعالى : (ويوم حين اذ أجهجتكم كثركم)^(٩٣) . وقال : (وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعا)^(٩٤) . وقال : (ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن
اتقى)^(٩٥) .

وبما أن العجب من الصفات النفسية فعلاجه بالتمرين الدائم
والمحاسبة والمراقبة المستمرة ، مع التفكير والخوف ، والتوجه الى الله ،
بصدق واخلاص .

(٩٢) كتاب الأربعين ص ١٢١ .

(٩٣) التوبية ٢٥ .

(٩٤) الكهف ١٠٤ .

(٩٥) النجم ٣٢ .

السُّكُبُرُ :

الْكَبْرِيَا، صَفَةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَنْازِعَ مَوْلَاهُ صَفَتَهُ،
لَذَا كَانَ كَبْرُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمَهْلَكَاتِ ٠

وَالْكَبْرُ نَاجِمٌ عَنِ الْأَعْجَابِ الشَّدِيدِ بِالنَّفْسِ، فَهُوَ لَا يَسْمَعُ إِلَّا مَا كَانَ
فِيهِ مَدْحَى وَثَنَاءً وَمَلْقٍ، لَأَنَّ مَنْ أَعْجَبَهُ نَفْسُهُ أَبْيَ أَنْ يَسْمَعَ التَّصِيقَةَ مِنْ
غَيْرِهِ، فَيُكَوِّنُ ذَلِكَ حَائِلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ عِلْمِ الْعُلَمَاءِ، وَفَضْلَةِ
الْفَضَلَاءِ، فَيُنْزَلُ بِوَحْيٍ مِنْ هُوَاهُ إِلَى هُوَاهِ الْجَهَلِ وَالضَّلَالِ، فَيُتَبَخِّطُ فِي
مُسْتَقْعِدِهِ، لَيْسَ فِيهِ غَيْرُ الْكَذْبِ وَالْنَّجْلِ وَالنَّفَاقِ وَالْمَلْقِ وَالْغَيْبَةِ ٠

لِهَذَا كَانَ مِنْ سَنَةِ اللَّهِ ١٤٦٧ أَنْ يَصْرُفَ قُلُوبَ الْمُتَكَبِّرِينَ عَنْ سَمَاعِ
مَا أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، لَأَنَّ هُؤُلَاءِ الْمُتَكَبِّرِينَ كَتَبَ اللَّهُ
عَلَيْهِمُ الْفَضَلَةُ الَّتِي تُؤَدِّيُ بِهِمْ إِلَى غَضْبِهِ، وَذَلِكَ جَزَاءُ كُبَرَائِهِمْ ٠ قَالَ
تَعَالَى : (سَأَصْرُفُ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَانْ
يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، وَانْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَخَذُوهُ سِبِيلًا،
وَانْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيْرِ يَتَخَذُوهُ سِبِيلًا) (٩٦) ٠

وَقَالَ : (فَإِنَّمَا هَذَا فَاسْتِكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مِنْ أَنْدَ
مَا قُوَّةٌ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا
بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرِصَراً فِي أَيَّامِ نَحْسَانَ
لَذِيقَتِهِمْ عَذَابُ الْخَزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أُخْرَى وَهُمْ
لَا يَنْصُرُونَ) (٩٧) ٠ وَقَالَ : (أَلِيْسَ فِي جَهَنَّمِ مَثْوَيَ الْمُتَكَبِّرِينَ) (٩٨) ٠

وَعَلَاجُ هَذِهِ الرَّذِيلَةِ أَنْ يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ، وَأَنْ لَا حُولَ لَهُ وَلَا
قُوَّةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالقُ الْقَادِرُ وَأَنَّهُ أَمَّا مَنْ هُوَ مَعَ غَيْرِهِ سُوَاسِيَّةٌ، وَأَنَّ
لَا فَضْلَ إِلَّا بِالْتَّقْوَى، وَأَنَّ الْكَبْرَ يَقْوِدُ إِلَى النَّارِ، وَأَنَّ التَّوَاضُعَ يَرْفَعُهُ

(٩٦) الأعراف ١٤٦ ٠

(٩٧) فصلات ١٥-١٦ ٠

(٩٨) الزمر ٦٠ ٠

عند الله درجة ، فإن هذه المعاني مجتمعة ، تخرج من نفسه شوكة الكبر ،
ثم يحل محلها التواضع والتوجه إلى خدمة الناس ، خدمة حقيقة .

الشرابة :

كلما ضعفت رغبات الفرد الروحية ، اشتدت بطبيعة الحال رغبات
مادية ، كسره الطعام ، وشره الكلام .

شره الطعام :

ان الاسراف في شهوة الطعام يؤدي بالانسان الى أن يعتبر الحياة
مجرد متة مادية ، فتضيّع فيه الصفات الانسانية ، كالاحسان والتضحيه
وانكار الذات ، وتحل محلها الانانية ، وقسوة القلب ، والاستكانة الى
الترف ، وذلک يؤدي به الى أن يصبح عضواً فاسداً في المجتمع ،
لا يستقيد منه الاستفادة التي ترفع من شأنه وترقي حاله .

ولهذا توجّهت وصايا القرآن الى التحذير من الانقياد لرذيلة
الشرابة ، ووصف صاحبها بأنه مكره من الله ، حيث قال : (وكلوا
واشربوا ولا تصرفوا انه لا يحب المسرفين)^(٩٩) .

كما تؤدي الشرابة الى تبلد الذهان ، والانصراف عن تغذية العقل
والروح بالمعارف التي يحتاجها ، ولا يكون هم الانسان ، الا التفكير في
متع الحياة الرخيصة . قال تعالى : (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما
تأكل الانعام والنار مشوى لهم)^(١٠٠) .

ـ وشره الطعام من أمهات الذائل ، حيث يتفرّع عنه شره المال
توصلًا الى اشباع شهوته ، وشهوة العجاه ، وحصول المال والعجاه ، يوقع
الانسان غالباً بشتى الآفات ، كالكبر ، والرياء ، والحسد ، والحقد ،

ـ (٩٩) الأعراف ٣١ .

ـ (١٠٠) محمد ١٢ .

والعداوة ، والنفاق ، والملق ، والرشوة ، والسرقة ، وغيرها من الرذائل •
وعلاجه : القناعة ، وضرورة الاعتدال في الطعام ، باعتباره وسيلة
تعين الإنسان على أداء مهمته في الحياة ، لا أن يكون غاية ، يعيش
الإنسان لتحقيقها (١٠١) •

لقد أذن الشرع بالتقى بشتى أنواع النعم ، التي أنعم الله بها على
الإنسان ، شريطة وقوعها ضمن دائرة المشروع ، في طريقة الاستخدام ،
ووسائل التحصيل ، وبذلك تكسب حياة الفرد معنى يرتفع على مستوى
الحياة المادية البهيمية •

ضرر الكلام :

إن حب النفس ، وحب الظهور ، غالباً ما يدفع الإنسان للكلام ، في
أمور قد لا تنتهي ، ليجلب انتباه الناس اليه ، وكثرة كلام المعجب بنفسه ،
كثيراً ما تجره لآفات متعددة ، كالكذب ، والغيبة ، والمماراة ، والدح ،
والمزاح ، وكلها عيوب أخلاقية يجب تجنبها ، وترويض النفس تحاشيها ،
لأنها ذات أمر سيء على شخصية الإنسان ، وسلامته في الدنيا والآخرة •

وحيث أنّ الله أعطى الله للسان للإنسان ، كتمنة من المعن التي أنعم بها
عليه ، ليعبر عن مقصوده وحاجاته ، لتم التممة • فان استخدمه كوسيلة
للتبشير ، وفي خيره وخير البشرية ، كالعلم ، والتعليم ، والنصيحة ،
والوعظ ، والارشاد ، وذكر الله ، فقد شكر الله فيه •

وان استخدمه في ضرر الناس ، والكذب ، والنفاق ، والغيبة ،
والنسمة ، والمماراة ، فقد عصى الله فيه ، وتحولت التممة إلى شر وبلاء
في الدنيا والآخرة •

(١٠١) انظر كتاب أداب الصحبة من ١٢٦ •

الكتاب :

الكذب أصل الرذائل التي تصدّع بناء المجتمع ، وتسقط الفرد من أعين الناس ، فلا يصدقونه في قول ، ولا ينتقون به في عمل .

وعن الكذب تفرع الرذائل التي تهدد المجتمع في بنائه واستقراره ، كالخيانة ، وخلف الوعيد ، وشهادة الزور ، والبهتان ، والنسمة ، وغيرها من الآفات الأخلاقية .

قال تعالى : (ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) ^(١٠٢) .
وقال : (ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) ^(١٠٣) . وقال : (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتقروا على الله الكذب ، ان الذين يفتررون على الله الكذب لا يفلحون متعة قليل ولهم عذاب أليم) ^(١٠٤) .

فالكذب حرام في كل شيء الا لضرورة ، فليحذر الانسان الكذب حتى في التخييل ، وحديث النفس ، فان ذلك يثبت في النفس صورة موجة ، والتفكير به قد يسهل على النفس تعاطيه ، وذلك لأن الصفات النفسية غالباً ما تبدأ بالتخيل وحديث النفس ، ثم تتعكس بعد ذلك على التصرفات .

وعلاجه : بمراقبة النفس ، والعلم بآثار الكذب ، وما يجره على الانسان في الدنيا والآخرة ، مع تجنب كل ما يلجهه للكذب .

الغيبة :

الغيبة ذكر الانسان بما يكره ، وقد تحصل باللسان ، او الاشارة ،

(١٠٢) خافر ٢

(١٠٣) الزمر ٣

(١٠٤) النحل ١١٧-١١٦

أو الرمزية أو غير ذلك مما يفهم الغيبة^(١٠٥) .

قال تعالى : (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلْ لَحْمَ أَخِيهِ مِنْ أَنْفُسِهِ)^(١٠٦) .

ولا تجوز الغيبة في القلب أيضاً ، لأنها قد تجر إلى غيبة المسان ،
فيقع في المحظور .

والغيبة والنميمة سبب كثير من مشاكل الناس وخلافاتهم ، إذ كل انسان له عيوبه ، التي يجب أن يشغل بتطهير نفسه منها ، لا أن يسترسل في ذكر عيوب الغير ، وسدال الستار عن عيوبه . ولو أن كل انسان شغلته عيوبه عن عيوب الآخرين ، لاستقام الجميع .

وعلاجها : بالتفكير في الوعيد الوارد فيها ، وأنها تؤدي إلى افلاته يوم القيمة ، وما تجره من متاعب ومشاكل في حياته . وأن يتصور نفسه مكان المقرب ، أو يتصور حضوره ، أو حضور من ينقل إليه ، وهذا لا بد من انقطاعه عن الغيبة ، فكيف بحضور رب العالمين ؟

المماراة :

المراء هو الاعتراض على كلام الغير ، باظهار خلل فيه ، أما في اللقط ، أو في المعنى ، والباعث عليه الترفع باظهار الفضل ، وسيبه خبث الرعنون ، فالواجب تصديق ما سمعه من الحق ، والسكوت عن الخطأ ،
إلا إذا كان في ذكره فائدة^(١٠٧) .

... وقد يُعَذَّب المراء رديلة ، لأن جدال قد يفضي إلى خصومة ، أو خوض في إثم . قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجِوْا

(١٠٥) كتاب الأربعين ص ٨٧ .

(١٠٦) الحجرات ١٢ .

(١٠٧) انظر كتاب أداب الصحبة ص ١٢٩ .

بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واقروا الله الذي
اليه تحشرون (١٠٨) *

وعلاجه : العلم بائمه ، وبأنه يبعده عن الله ، ويقنه احترامه ،
ويقبح في مروءته *

المدح :

جرت العادة ب مدح الاكابر والاغنياء عند حضورهم ، وللمدح بواسعه
متعددة ، منها الطمع في المدح ، فهو يمدحه ويشي عليه ، لا انه أهل
لذلك الثناء ، وإنما لين حظ من حظوظ الدنيا المختلفة ، وهذه هي
الرذيلة *

وللمدح آفات تعود على المادح والمدحوم ، مما يعود على المادح ،
خوف الوقوع في الكذب ، والرياء ، والملق *

وما يسود على المدح هو خوف الوقوع في الكبر ، والعجب ،
والتعود عن العمل ، والغفلة عما يجب عليه أن يتلافاه *

فالذي لا يسمع الا المدح من الناس ، لا يتعرف على عيوبه ، وقوته
نصيحة الناصحين المجربين ، فيستمر على عيوبه حتى تكبر وتتوقه *

على أن المدح الاعتيادي في غياب الشخص جائز لا ريب فيه ، بل
إذا كان المدح لخصلة من الخصال الحميدة ، فربما كان المدح اسلوباً
تربيياً ، يلفت نظر الآخرين للتحلي بهذه الصفة *

والذي يفرق بين المدح المحظوظ ، والمدح الجائز ، هو الباعث عليه ،
فإن كان المادح يتغى من وراء مدحه ، عرضًا من أغراض الدنيا ، فهو

الرياء والملق ، فان لم تكن الصفات في المدوح ، أضيف اليه الكذب والنفاق .

وان مدحه لانه أهل لهذا المدح ، لخصاله الحميدة ، أو يقصد اشاعة المثل والقيم ، فلا شيء فيه في الحضور او الغيبة .

وعلاجه : العلم بأن المادح والمدوح ، عباد لله ، والله وحده الواهب الرزق ، وما توجه أحد الى غيره الا وخطاب ، وما توجه أحد اليه وحده ، الا وافلح . وما يأتيه من مدحه ، هو بالتقدير ، مكتوب له .

المزاح :

الافراط في المزاح يكثر الضحك ويسقط القلب ، ويورث الصفينة ويسقط المهابة والوقار .

والمزاح منه ما هو جائز ، ومنه ما هو رذيلة ، فإذا كان مما يطيب المزاج مع الصبيان والنساء ، فهو جائز ، بشرط أن يكون يسيراً وصادقاً . فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يمزح ، ولا يكذب ، ويلاطف الصبيان من غير اكتئار ، بل بما يفرج القلب ، ويدخل البهجة والسرور على النفس .

اما اذا كثر ، بحيث أصبح يغلب على سلوك الفرد ، فهو مذموم ، لانه يجر الى الكذب ، والماراة ، وسوء الظن .

حب الدنيا :

حب الدنيا رأس كل خطية ، وتترفع عنه معظم الرذائل ، كحب المال ، والجاه ، والغل ، والحسد ، والنفاق ، والكبرياء ، وغيرها .

وقد وصفت الدنيا بالمدح والذم ، فالدنيا المدوحة هي التي وظفت كمزرعة للأخرة ، يتزود منها الانسان ما يحتاج لآخرته ، فان أخذ منها يقدر . وبالطرق المشروعة ، فقد حرث وبذر .

أما الدنيا المدمرة ، فهي التي يقصدها الإنسان لذاتها ، ويغفل
عنها ، ناسيًا ما عليه من واجبات ، غافلاً عما هو مطلوب منه ، فالدنيا بالنسبة
له ليست محطة في الطريق ، وإنما هي محطة الأخيرة ، يعيش من أجل
ليل حظوظه منها ، وهذا من الحالين ، لانه فرط بآخرته من أجل دنياه ،
وهو كشارب ماء البحر ، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً ، حتى يقتله . قال
 تعالى . (فَمَا مِنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَنَّمَ هِيَ الْمُأْوَى) (١٠٩) .

وإذا لم تروض نفس الإنسان ، وتركه وراء هواها ، فإنها لا تعرف
القناعة ، وكلما ازدادت الأعراض ، ازدادت الدهشة ، وزاد وحش الشوكة
فلو جمع دنانير العالم ، ولم يبق إلا دينار واحد ، لاحب امتلاكه ، ولو جمع
نساء العالم إلا واحدة ، لظن فيها ما يميزها عن نساء العالمين ، وهكذا
فالنفس لا تقنع ولا تشبع ، وهي كالفرس الجموج ، تزداد جموجاً بارخاء
عنانها ، حتى قيلت ونهلت من عليها . أما عند التحكم بقيادتها ، فإنها تقطع
الشوط وتصل هدفها ، وقد سلمت وسلم راكبها .

وعلاجه : بمعرفة الإنسان !غاية من الدنيا ، وانها محطة جميلة يمر
بها الركاب للتزود بما يحتاجونه ، ثم يغادرونها ، لذا يجب تسخيرها لما
يرضي الله ، لا اخضاعها لانتيا الفرد ، وعيت العاشين ، فتحول النعمة
إلى نعمة والخير ، إلى شر يعم الفرد والمجتمع .

حب الجاه :

من مظاهر حب الدنيا . حب الجاه ، وهو محاولة الإنسان ملوك
قلوب الناس لتسخيرها لصالحته ، والثناء عليه ، والسعى في حاجاته .
وسر حب الجاه ، هو أن العلو والكبرياء والغز ، سر خفي يعود
لمناسبة الروح للامور الالهية ، حيث هذه الصفات هي من صفات الله

نعلى ، وللنفس استعداد لقبولها ، ولكن الناس أخفوها ، وأظهرها فرعون
قوله « أنا ربكم الأعلى » .

والرفة اما ان تكون حقيقة ، واما ان تكون وهمية ، أما الحقيقة ،
في هي لله وحده ، لأن قوامها ، العلم ، والقدرة ، وعدم التقيد بالغير ، ولا
يتصور ذلك من العبد ، لأن قدرته إنما تكون بالمال ، والجاه ، والاعتماد
على الغير ، وذلك كمال وهمي ، لانه عارض ، لا بقاء له ، لذلك كان
مدحوماً .

فالجاه كمال وهمي ، ومن ظن أنه في المال والرجال ، فقد ظلل ، بل
الكمال للباقيات الصالحة ، التي تقرب من الله سبحانه ، كمعرفة الله ،
والعلم ، والفضيلة .

ومن بواعث حب الجاه ، طلب المدح والثناء ، حيث يتلذذ بهما ،
ويشعر انه وصل الكمال ، وللوصول الى هذا الجاه قد يقع الانسان
بآفات كثيرة ، لانه إنما يسعى لشيء ليس فيه .

وهنا لا بد من التمييز بين الرفة الإنسانية ، التي يقصدها الإنسان
بالعمل الجاد في بناء نفسه وتكوين شخصيته . وبين التي هي من قبل
المظاهر والإدعاء ليس الا وهذه رفة وهمية مدعاة ، وهي المذمومة .

اما اذا وصل الإنسان بجهده وعقله الى سمعة طيبة ، واكتسب تقدير
واحترام المجتمع ، كالابداع العلمي ، والدقة الصناعية ، والتميز بالصدق
والامانة والاخلاص واحترام المواعيد ، أو تميز بابداعه كالطبيب والمهندس
والمؤلف ، وغير ذلك .

فهذه رفة محمودة ، وطلبها محمود ، بل غاية التربية توجيه المجتمع
نحوها ، فلا بد من اعطائهما الاحترام والتقدير ، ليتجه الفرد نحوها . وعند

التواضع والشكر لله ، تكون الرفعة مشروعة ٰ اكتسبت بواسطه مشروعة ،
وذات أهداف نبيلة ٠

أما ادعاء الرفعة ، فهو سراب ووهم ، اذ يصييه الغرور ، بتوهيم
صفات ليست فيه ، ولم يعد نفسه لنيلها ، او الوصول اليها ، مع الشعور
بالكبرية والعظمة ، والفضلة عن ذكر رب العالمين ٠

وعلاجه ٰ بالمجاهدة والتفكير والقناعة ٰ والاكتفاء بقدر يحرس النفس
من الظلم والعدوان ٰ وهذه قناعة بقدر الضرورة (١١٠) ٠

وتوجيه المدح والثناء لما يساعد على الاستقامة ٰ والسير في طريق
الصلاح ، كاللتقوى ، والعدل ، والانصاف ، والصدق ، والامانة ، ومساعدة
الغير . وغير ذلك مما يساعد على رسم صورة للمثل الاعلى في تصور
الناس ٠

الرياء :

الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس ٰ بالعبادات واعمال الخير (١١١) ٠

قال تعالى « قوييل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهمون الذين هم
يراؤون » (١١٢) ٠

اما طلب المنزلة في قلوب الناس ، بأفعال ليست عبادات ، او من اعمال
الدين ، فليست حرام ، ما لم تنته الى التكبر والاخلاق المذمومة الاخرى ،
وذلك كشهرة الطيب ، والمهندس ، والعلماء بعلومهم على اختلاف
انواعها (١١٣) ٠

(١١٠) إحياء علوم الدين ٢/٢٨ ٠

(١١١) كتاب الأربعين ص ١٢٦ ٠

(١١٢) المساعون ٥ ٠

(١١٣) كتاب أداب الصحبة ص ١٤٢ ٠

وهنا يجب ان نفرق بين الرياء والمرودة ، فالذى يعتنى بشيابه ، ومتزلمه ويكرم الضيوف ، ويقدم في المناسبات ما تعارف الناس عليه ، ويصرف على الناس في مناسباته ، ليس بمراء ، فان كان عرضه ارضاء الله ، بتوصيق الاوامر الاجتماعية فهو حبيب ، وان كان عرضه الظهور ، أمام الناس بالظاهر اللائق ، والكتب عن نفسه نقد المجتمع وتجریحه ، فيكونه ما يلقي من تحقيق المرودة ، وحماية العرض ، وهما عزيزان والحفاظ عليها أمر مشروع ٠

والرياء على درجات :

الاولى : الرياء بأصل الایمان ، كالمافق يظهر اسلامه ، وليس ب المسلم وهذا اغلظ أنواع الرياء ٠

الثانية : الرياء بأصل العبادات ، كمن يصلى ويخرج الزكاة أمام الناس ، والله يعلم من باطنه ، انه لو خلا بنفسه ، لم يفعل ذلك ٠

الثالثة : الرياء بالتوافق ، كمن يحسن هيئة الفريضة ، ويكثر من التوافق ، من صلاة ، وصوم ، وتهجد ، وانفاق ، وغير ذلك ، في حضرة الناس ، ولو خلا بنفسه ، لم يؤد التوافق (١٤) ٠

وخير مقياس للرياء ، هو الباعت ، او الغرض الدافع للعبادة ، فان كان لمصلحة ما يرجوها من العباد ، فهو الرياء ، وان كان لله ، ومن وحي الوجوب والفرض والالتزام ، الا انه يزيد العمل بحضور الجماعة ، أو يقع بهذه اكمل ، وينقص مع الانفراد ، أو يقع بهذه اقل ، فلا رياء ، أما الزيادة الحاصلة مع الجماعة ، فهي بركة الجماعة ، وهذا امر طبيعي ، حيث الشيطان مع الواحد ، ويضعف مع الجماعة ، لذا فضل الله الصلاة مع الجماعة ، على صلاة المنفرد ٠

(١٤) انظر كتاب آداب الصحبة ص ١٤٣ ٠

وعلاج الرياء ، بدفع الاسباب الباعثة عليه ، وهي حب المدح ، وخوف الندم ، والطمع ، فاذا علم ان هذه امور وهمية ، تفوت على الانسان نعمًا ثابتًا ، او تعرضه لنقضب الله ومقته ، هان في نفسه مدح الناس وذمهم ، والطمع فيهم ، اذ منفعة الناس مؤقتة وزائلة ، ورضاء الله خير وأبقى ، فلا يفرط بالدائم من أجل العارض ٠

وبمراقبة النفس ، وحسابها الدائم ٢ يضمن تصفيتها من شوائبها يوماً

بعد يوم ٠

البخيل :

البخيل من الصفات الذميمة التي تجر صاحبها الى ما يصفره في اعين الناس ، ويقلل من مرؤوته ، لذا كان من المهلّكـات ٠

لقد من الله على الانسان بنعم لا حصر لها ٣ فان عرف قدرها ، وجعلها آلة للتوصـل الى رضاء الله ، وعـمارـة الـارـض ، فهو خـلـيقـة بـحـق ، وعليـهـ أن لا يـخـلـ بما اعـطاـهـ الله ، بل يـضـعـهـ في مـوـضـعـهـ المـلـائـم ، حيثـ يكونـ خـيـراـ لهـ وـلـيـرهـ ، لاـ انـ يـجـمـعـهـ وـيـصـرـفـهـ عـلـىـ ماـ يـجـرـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ الـجـمـعـ الـوـيـلـاتـ ، فـيـكونـ المـالـ شـرـاـ حـازـهـ الـانـسـانـ ٤ ليـغـرـقـ الـأـخـرـيـنـ بـشـرـةـ ٠

فـانـ كـانـ المـالـ وـسـيـلـةـ لـلـوـصـولـ اـلـىـ رـضـاءـ اللـهـ فـيـ الـحـيـاةـ ، فـهـوـ مـحـمـودـ ، وـانـ اـصـبـحـ وـسـيـلـةـ لـلـمـحـصـيـةـ ٥ وـمـلـهـاـ عـنـ ذـكـرـ اللـهـ ، فـلـاـ خـيـرـ فـيـهـ ٠

وـحدـ الـبـخـيلـ مـنـ مـاـ اـوـجـبـهـ الشـرـعـ اوـ الـمـرـوـءـةـ ٦ ١١٥ ٠

قال تعالى : « الذين يـبـخـلـونـ وـيـأـمـرونـ النـاسـ بـالـبـخـيلـ » ٧ ١١٦ ٠

فالحد الادنى اخراج ما أمر الشرع باخراجه من المال ، كالزكوة ، وصدقة الفطر ٠

(١١٥) كتاب الأربعين ص ١٠١ ٠

(١١٦) النساء ٣٧ ٠

أما الإسهام في مشاريع الخير ، وتمويل الحملات العسكرية ، واعانة المساكين والمعوزين ، وطلبة العلم ، فهي مطلوبة على سبيل الجملة ، وتدخل في حساب السخاء الذي يقرب الانسان من الله ، ويبعده عن النار .
وهنا لا يحدد البذل بمقدار او نسبة ، وانما هو بقدر ايمان الفرد ،
وطمعه في رضاء الله ، ونواب الآخرة .

وعلاجه : العلم بأن المال مال الله ، مكنته منه لتصريف اموره ويعينه على أداء رسالته في الحياة ، فلا يتبعه بعد موته ، وان البخل فيه هلكة ، فهو ذم في الدنيا ، وخساران في الآخرة .

وان يحمل نفسه على البذل ولو تكلفاً ، حتى يعتاد ذلك ، مع القناعة بالشعة ، وعدم التوغل في الحاجات ، لثلا تزداد الحاجة للمال .

الفحص بـ :

الغضب شعلة نار اقتبس من نار الله الموددة ، ومن غلب عليه ، فقد فزع الى عرق الشيطان ، فانه مخلوق من النار .

وقد عظمت آفة الغضب لانه يحمل في الظاهر على الضرب والشتم ، واطالة اللسان ، وفي الباطن على افساء السر وهتكه ، والفرح بمصيبة المغضوب عليه ، وهذه جميعاً خباتاً مهلكة .

وليس المطلوب ازالة قوة الغضب بالكلية ، وانما تهدئتها ، وزيتها يميز ان الشرع والعقل . فلا يتهور الانسان لانه الاسباب ، يركب ما يندم عليه عند الهدوء .

ونغالباً ما يقود الغضب الانسان للانسياق وراء هواه ، فلا يرى الحق وينظر المغضوب عليه ، بنسبة الصفات السيئة اليه ، وقد لا يكون كذلك ، فيرتكب بهتاناً بحقه ، ويفعل عن نفسه ، فلا بهتم بتزكيتها وامانة الشوائب عنها .

وعلاجه : بالمجاهدة والرياضة النفسية ، وهي محاولة اعتياد الحلم والاحتمال ، وضبط النفس ، والكتمان ، مع الاستعاضة بذكر عظمة الله والخوف من غضبه ، والاستعاضة من الشيطان الrogue ، ثم يتحرك بحركة هداية ، قد تغير من حدةطبعه او يلتجأ لل موضوع (١١٧) .

الاستعاضة :

الحسد صفة نفسية سيئة ، تصيب الإنسان فتتكدر عليه عيشه ، والحسود الذي يتمنى الشقاء والتضليل لغيره ، إنما يشقي نفسه ، فهو بدلاً من أن يستمد السرور مما أتيه من خير ونعم ، تراه يستمد العذاب من خيره ، وهكذا يبقى في دوامة الفكر والتحرق .

فالحسد خلقه اللؤم ، ولذته الوشاية ، والحقيقة بين الناس . حتى يفتقد الشقة بنفسه والآخرين . قال تعالى « ولا تمنوا ما فضل الله به بفضلكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وأسألوا الله من فضله » (١١٨) .

ولقد أمر الله بالاستعاضة من الحسد بقوله « ومن شر حاسد اذا حسد » (١١٩) . وذلك لأن الحسد من العصبات النفسية ، التي اذا تأصلت في نفس الإنسان ، صعب علاجها ، وتحولت الفرد الى عنصر شر وتخرّب . وسرعان ما تنتقل هذه الصفة الى الغير ، فيصاب المجتمع بعدواها .

وعلاجه : بالعلم بأن الحسد يضره بالدرجة الاولى ، ولا يضر غيره ، فهو في كرب وغم وتحرق ، وهو بسيطه معرض لسخط الله .

ولو رضي بما عنده ، ونظر الى من هو دونه ، لسعد بحياته ، وفاز برضاء الله سبحانه ، وبسحرقة حكم الحسد ، يبدأ بمحاذفة نفسه ، فيشتكي

(١١٧) كتاب الأربعين ص ٩٣ .

(١١٨) النساء ٣٢ .

(١١٩) الفتن ٤ .

على المحسود ، ويظهر له الفرج بما حاز . وبذلك يستطيع الانسان التخلص من رذيلة الحسد شيئاً فشيئاً .

وبعد هذا العرض السريع لطلبات ترکية النفس لما لها من آثار في حياة الفرد والمجتمع ، اتضح أن هذه الترکية وسيلة وصلاحية ، لقبول العمل أمام رب العالمين ، وبدونها لا يتأتى الكامل من العمل ، عبادة كان أم معاملة .

كما اتضحت ضرورة ادخال هذه المباديء في برنامج التربية ، لأنها من الأساسيات التي لا غنى عنها ، فهي التي تبني المجتمع الفاضل ، وتحمييه من التصدع والتدهور والضلال ، وتنقذه كل عوامل التأكيل التي تصيب المجتمعات .

فالاستقامة التي ارادها الله للإنسان ضرورية في الحياة ، وبدونها تفقد هذه الحياة قيمتها ، وتحول الى حلم ثقيل ، يعني الجميع منه على حد سواء ، ولكن ما ينفع حياته ويقلقه .

ولابد للحياة ان تسير بجناحيها « المادي والروحي » ، وبدونهما تختصر المسيرة فترة من الزمن ، بعدها تهم الكارثة ، ويشقى الجميع .

الشّفاعة، تلطف وصوْرَةُ مُؤْمِنٍ يُحْسِنُ إِيمانَهُ بِالْجَنَاحَيْنِ

مکانیزم میکروپرینت میکروپرینت میکروپرینت

سی و نهمین سالگرد تأسیس اسلام

لهم إنا نسألك عذرك وغفرانك على كل مالذي فعلناه في حقك ولهم ما أنت بعزيزٍ عما يرتكبون

فِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْكِنِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْجُو أَنْ يُنْصَتَ إِلَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْجُو
أَنْ يُنْصَتَ إِلَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْجُو أَنْ يُنْصَتَ إِلَيْهِ

لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ مَالُهُ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ مَالُ
الَّذِينَ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ مَالُهُمْ وَلَا هُوَ عَلَى
أَنْ يَحْسَدَ الْمُنْكَرَ إِنَّمَا يَحْسَدُ
الَّذِينَ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ مَالُهُمْ

وَمُهَاجِرَةٍ وَنَسْيَانٍ

وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا قُرِئُوا بِالْأَذْكُورِ لَا يَرْجِعُونَ

تَعْلِمُونَ أَنَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ مَّا
يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ

لِلَّهِ الرُّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد رسوله
وعلمه وعليه امه وآله وآل بيته وآله وآل بيته وأصحابه
أيتها المربيات يا أبا سعيد الخدري يا أمير المؤمنين يا شهيد
الرغبة ورب العالمين يا أبا الحسن زيد بن علي يا كثيرون
سلطان العالم يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين على
الأقوان يا سلطان العالم يا أمير المؤمنين يا محب العالم
الذى نادى بالصلوة يا محب العالم يا محب العالم يا محب العالم
ويعتبر أحرى ذلك ديننا لك فستحيتك خاصتنا وتحاربك
يا أمير المؤمنين يا محب العالم يا محب العالم يا محب العالم
في حسراتك وهو يكابر سيف من قلم طريقك يا أمير
ومن على صحتك ولوبطرك كما كان شيكافا وابن
كان يتنبك وقصدك بينك وبين الله تعالى وترسل
العلم العظيم ونهره الزاوية فأشعر فلق ملائكة
السماء تحفتك لك ايجذبها اذا شئت وحيثما كان
تستقر لك اذا سمعت ولكن يتنبك الى ان تعلم

ليل كل ليل ان المدحية التي يحيى الصلوة بدلاً
زخارفة وظاهر زباطن ولا وصول الى نهايتها الا من
احكام بدرايتها ولا حشور على طلبها الا يهدى الى درج
صلوة ما وهم اصحاب ابا سعيد الخدري بعد امير المؤمنين
لهم ترى فيها افضل وتحفتها خاتمة فان حدا فضى
اما تلك الالها ما يزيد ويشمل بها اسطوانة ثند ونافذ
وهو ما يستطلع الى انتهايات والافتراض بحسب بصرها العلامة
وامان حصاد فضى كل بيت عدن مو حضر ديث ابا سعيد الخدري
والمصلحة فضى ما يحمله فاعلم ان تشيكافا
الى طلاقك دين القمر الاصدار بالفق ودماء هضورها
بطانية الشيطان الفخون ليديك تحمل عزف فضيحة
سهرك يكبدك الى غرفة الملاوك وفضيحة امير فرج هلاك
الذئب في عرض المغير حتى يلقي بك ما لا يحصى اعساها
الذى نصل سعيهم في العين المذنبة وهم يجهشون
انهم يجهشون ضحناً وعذباً ذلك يتلو عليهم الشيطان
فضحهم العالم ره رهبة الملك وما ورثة كثيرون من اكتامه
والا حداد وطريقك عن قوله صلوات الله عليه وسلم
لهم ادعوا

كان كغيره بالمبالغ تقدّر حساماً واحظتهم من فروعه
 وللنّظر من غير سمعٍ ولا تهازل مبدلةً منكَ وإنْ
 فشلتُ ففازتُ وأذا ما سمعتُ فخُذلَ وتحققَتْ من
 جهولكِ وغفلتكِ وتفكرتُ في حقيقتكِ ولا تذكر إلا شفاعة
 رحمةً كثيرةً أنتَ لمن وراءكِ لا يحيطُ علمُ رسلكِ
 فإذا أخذتُ فحسبكِ شكلكِ فانْقرَبَ السلطانُ فنُكِ
 به علبةَ الشادِ وأياكِ وصدىَ العافيةِ فانْعُدْتُ
 الأحذيةَ ولا أخلُ بالآنِ كرمٍ من عصبيتِ فنِي القدهِ
 يا حفيظةَ شفاعةٍ بذاتِ العدالةِ فقربَ بما نسبتُ فانْهَا
 لمشاةِ اصحابِ قسمٍ في إداءِ الاعلاماتِ وقُبِّلَ فربِّ الماءِ هُوَ
 فضمَّنَ لعلةَ الشفاعةِ وحملَها على معاشرِ العبرةِ
 مع المأذقِ واللسانِ فادركَ بغيرِ شفاعةٍ لفسادِ ورثةِ
 تلكِ مايلِيهِ البارِعاً فماهلَ بما فالملاعِنَ عبدُ تورَا
 اتشاً بالآيمانِ قليلكِ وشيخَ له صدرُكِ وخفقَ نافذَ
 العدالةِ طهْنَايةَ وزرزاها مسرّةَ دوايعُهُ وطلوعُهُ
 مسَاشراتٍ وقدَ وَدَعْتَها كما يحيىَ ملوكَ اليهودِ
 فاستئنَتْ تفصيلهِ وانْرأَتْ بعضاًكِ سمعَ اهلِ عدوِهِ

الوظائفِ وبشرتكَ هذا المفترى من العدم في محابيَ اللهِ
 ومتى يقتدي بكَ هذا العلم على ألاّ قرآنٍ والنَّظرَ آهَ وكيفَ
 يرى من ضيائِنَةِ قبائلِ السُّلْطَانِ الْمُحَمَّدَ وَالْأَزْرَ آهَ وَلِيُوصِلَكَ
 إلى الصَّلَوةِ وَالْأَدَارِيِّ وَوَكَّاهِ الْأَوْفَاقِ وَالْقُضَاهِ
 فاعلمُ بِالْمُسْتَهَدَاتِ قَدْ أَوْلَاهُ وَأَنْتَكَ مُتَقْبِلَهُ
 وَمُتَوَالَهُ مُهَاطَتُ شَسْطَانَ مُشَكَّلَ لِمُعَلَّمَهُ مَا تَقْبَلَنَ
 أَنْتَ وَمُصْلَكَكَ الْمُهَبَّهَ وَأَعْلَمَهُ أَنْ تَقْبَلَهُ كَيْفَيَّتُ
 لِكَ الْمَلَكَ كَمُهَلَّتَهُ صَدَّهُ سَفَرَ سَلَانَ وَدَلَانَهُ
 ثُمَّ يَوْزُوكَهُ الْمَلَكَ الْمُعْيَمَ وَالْمَعْجَمَ الْذَّاهِرَ وَجَوَادَ
 وَرَدَتِ الْمَالِكِيَّهِ وَالْمَالِكَهِ ثُمَّ بَدَأَهُ الْمَدَابَهِ إِلَيْ طَرَرِ
 الْأَخْرَجَ وَالْمَسْعَدَهِ
 دَرَتِ الْمَالِكِيَّهِ وَالْمَالِكَهِ
 شَعَلَ سُوْلَهُ مُهَرَّدَهُ وَالْهَهَ
 لِعْنَهُ
 حَرَفَ فيَهَا تَسْتَيِّي دَسْعَيَ الْأَخْرَجَ فِيَهُ
 الْأَسْوَسَ فِي سَنَهِ رَبِيعِ وَشَعَانِيَهِ

بداية الهدایة ونھدیب النھوس بالآداب الشرعیة

المقدمة

الحمد لله حق حمده ، والصلوة والسلام على خير خلقه ، محمد رسوله وعبده ۰ وعلى الله وصحبه من بعده ۰ أما بعد : فاعلم ايها الحريص الم قبل على اقتباس العلم ، المظہر من نفسه صدق الرغبة^(۱) ، وفخر الط العطشان اليه ، انك ان كنت تقصد بطلب العلم ، المنافسة^(۲) والمباهة ، والتقدم على الاقران ، واستماله وجوه الناس اليك^(۳) وجمع حطام الدنيا ، فأنك سأع في هدم دينك ، واهلاك نفسك ، وبيع آخرتك بدنياك ، فصفقتك خاسرة^(۴) ، وتجارتك باترة ، ومعلمك معين لك على عصيانك ، وشريك لك في خسرانك ، وهو كبايع سيف من قاطع طريق ، كما قال صلى الله عليه وسلم :

« من أعا ان على معصية ولو بشرط كلمة كان شريكًا له^(۵) فيها »^(۶) وان كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى . من طلب^(۷) العلم (الهدایة) دون مجرد الروایة ، فابشر فان الملائكة تبسط لك أجنحتها اذا مشيت وحيثان البحر تستغفر لك اذا سعيت ، ولكن يبني لك ان تعلم قبل كل شيء . أن الهدایة التي هي ثمرة العلم لها بداية ونهاية ، وظاهر وباطن ، ولا وصول الى نهايتها الا بعد احكام بدايتها ۰ ولا غور^(۸) على باطتها ۰

(۱) ج : زيادة فيك .

(۲) ج : المنافسة .

(۳) ج : سقطت .

(۴) ج : سقطت عبارة فصفقتك خاسرة .

(۵) ب ، ج : سقطت .

(۶) أخرجه ابو منصور الدیلیمی في مسند الفردوس ، باسناد ضعیف جداً « الدال على الشر كفاعله » المغنی للعرّاقي ۳۵۱ / ۴ .

(۷) ب ، ج : تعلم .

(۸) ج : عبور .

إلا بعد الوقوف على ظاهرها ، وها أنا مشير^(٩) عليك ببداية الهدایة ،
لتتجرّب بها^(١٠) نفسك ، وتمتحن بها قلبك ، فان^(١١) صادفت قلبك اليها
ماثلاً ، ونفسك بها مطاوعة ، ولها قابلة ، فدونك التطلع^(١٢) الى النهايات
والتعلل في بحار العلوم ، وإن صادفت قلبك عند مواجهتك ايها^(١٣) بها
مسوّفاً ، وبالعمل بمقتضاهما مساطلاً ، فاعلم ان نفسك المائلة الى طلب العلم ،
هي النفس الامارة بالسوء^(١٤) وقد انتهضت مطيبة للشيطان اللعين ، ليدللك
بحبل غروره ، فيستدرجك بمكيدته الى غمرة الها لاك ، وقصده أن يروج
عليك الشر في معرض الخير ، حتى يلحقك بالأخرين أعملاً ، الذين
ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وعند
ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء ، وما ورد فيه من
الأثار والأخبار ويلهيك عن قوله صلى الله عليه وسلم : (من ازداد علماً
ولم يزدد هدى^(١٤) لم يزدد من الله الا بُعداً)^(١٥) . وعن قوله صلى
الله عليه وسلم . (أشد^(١٦) الناس عذاباً يوم القيمة عالم لـم ينفعه الله
بعلمه)^(١٧) . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم اني أعوذ بك

(٩) ب ، ج : أنا مشير .

(١٠) ج : فيها .

(١١) ج : فإذا .

(١٢) ب ، ج : والتطبع .

(١٣) ب ، ج : (مـؤاخـدـتـك إـيـاهـا) .

(١٤) ج : زهداً .

(١٥) أخرجه أبو منصور الدينمي في مسنـد الفردوس ، باسنـاد ضعيف ،
إلا أنه قال « زهداً » ورواه ابن حبان في روضة العـقـلـاء مـوقـوفـاً عـلـى
الحسـنـ بـلـفـظـ « مـنـ اـزـدـادـ عـلـمـاًـ ثـمـ اـزـدـادـ عـلـىـ الـلـدـنـيـاـ حـرـصـاًـ ، لـمـ
يـزـدـدـ مـنـ اللهـ إـلاـ بـعـدـاًـ » ورواه أبو الفتح الأزدي في الضغفاء من حديث
عليـ بـلـفـظـ « مـنـ اـزـدـادـ بـالـلـهـ عـلـمـاًـ ثـمـ اـزـدـادـ لـلـدـنـيـاـ حـبـاًـ . اـزـدـادـ عـلـيـ غـضـبـاًـ »
المـنـيـ لـلـعـراـقـيـ ٥٩/١ .

(١٦) ب : إن أشدـ .

(١٧) قال العراقي : أخرجه ابن حبان في كتاب روضة العـقـلـاء ، والبيهقي
في المدخل مـوقـوفـاً عـلـىـ أبيـ الدـرـداءـ ، لـمـ أـجـدهـ مـرـفـوعـاًـ المـنـيـ ٥٩/١ .

من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعمل لا يرفع ودعا لا يسمع)^(١٨) .
ومن قوله صلى الله عليه وسلم : (مررت ليلة أُسرى بي)^(١٩) بأقوام
تُفرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من أنتم ؟ قالوا : كنا نأمر
بالخير ولا نأتهي وتنهى عن الشر ونأتهي)^(٢٠) . فياك يا مسكيين أن تدع عن
لتزويره فيديلك)^(٢١) بحبل غروره فويل للجاهل حيث لم يتعلم)^(٢٢)
مرة واحدة ، وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة .

واعلم أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال : رجل طلب العلم
ليتخدنه زاده إلى المعاد ، ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة ، فهذا
من الفائزين . ورجل طبه ليستعين به على حياته العاجلة ، وبينما به العز
والجاه والمال ، وهو تالم بذلك مستشعر في قلبه)^(٢٣) ركاك حالي وخشة
مقصده ، فهذا من المخاطرين ، فان عاجله أجله قبل التوبة ، خيف عليه
من)^(٢٤) سوء الظاتمة ، وبقي أمره في خطر الشيئية ، وان وفق للتوبة
قبل حلول الأجل ، وأضاف إلى العلم العمل ، وتدارك ما فرط فيه)^(٢٥)

(١٨) ب ، ج : سقطت الرواية . والحديث رواه مسلم رقم ٢٧٢٢ ،
وابن ماجة رقم ٢٥٠ ، والنمسائي رقم ٦٤/٨ .

(١٩) ب : زيادة : إلى السماء .

(٢٠) الحديث بلفظه أخرجه ابن حبان من حديث أنس . المغني ٦٣/١ .
وروى البخاري ومسلم بلفظ « يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقني في
النار فتنزلق أقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالوحى ،
فيجتمع إليه أهل النار ، فيقولون : يا فلان ! مالك ؟ ألم تكون تأمر
بالمعرفة وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بل قد كنت أمر بالمعروف
ولا آتى ، وأنهى عن المنكر وآتى » البخاري رقم ١٠٤٦ ، مسلم رقم
٢٩٨٩ .

(٢١) ب ، ج : وتندل .

(٢٢) ج : يعلم .

(٢٣) ج : نفسه .

(٢٤) ب : سقطت .

(٢٥) ب : سقطت .

من التخلل ، التحق بالقائلين فان التائب من الذنب ، كمن لا ذنب له^(٢٦) .
 ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان ، فاتخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال ،
 والتفاخر بالجاه ، والتعزز بكثره الاتباع ، يدخل بعلمه كل مدخل ،
 رجاء أن يقضى من الدنيا وطره ، وهو مع ذلك يضمر في نفسه ، انه عند
 الله بسكن ، لاتسامه بسنة^(٢٧) العلماء وترسمه برسومهم في الزyi
 والمنظور ، مع تكالبه على الدنيا ظاهراً وباطناً ، فهذا من الهالكين ، ومن
 الحسقى المغورين ، اذ الرجاء منقطع عن توبته ، لظنه أنه من المحسنين
 وهو غافل عن قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا
 تفعلون)^(٢٨) . وهو من قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 (أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال) . فقيل : وما هو
 يا رسول الله ؟ فقال : (علماءسوء)^(٢٩) . وهذا لأن الدجال غاية
 الاضلال ، ومثل هذا العالم ، وان صرف الناس عن الدنيا ببيانه ومقاله ،
 فهو داع لهم اليها بأعماله وأحواله ، ولسان الحال أفصح^(٣٠) من لسان
 المقال ، وطبع^(٣١) الناس الى المشاهدة في الاعمال أميل منها الى المتابعة
 في الاقوال^(٣٢) ، مما أفسده هذا المغور بأعماله ، أكثر مما أصلحه
 بآفواهه ، اذ لا يستجرى الجاهل على الرغبة في الدنيا الا باستجراء

(٢٦) روى ابن ماجة رقم ٤٢٥٠ قال صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(٢٧) ب ، ج : بسيمة .

(٢٨) الصف ٢ .

(٢٩) أخرجه أحمد من حديث أبي ذر ، المغني ١ / ٥٩ .

(٣٠) ب ، ج : أنطق .

(٣١) ج : طبائع .

(٣٢) ب : زيادة ، خصوصاً فيما تميل النفس إليه .

العلماء ، فقد صار علمه سبباً لجراة^(٣٣) عباد الله على معاصيه^(٣٤) ، ونفسه الجاهمة مدللة مع ذلها، تمنيه وترجيه وتدعوه إلى أن يمن على الله^(٣٥) بعلمه ، وتخيل إليه نفسه^(٣٦) أنه خير من كثير من عباد^(٣٧) الله . فكأن أيها الطالب^(٣٨) من الفريق الأول ، واحدر أن تكون من الفريق الثاني ، فكم من مسوف عاجله الأجل قبل التوبة فخسر . واياك ثم اياك أن تكون من الفريق الثالث ، فتهلك هلاكاً لا يرجى معه^(٣٩) فلاحك ، ولا يتضرر صلاحك . فان قلت : فما بداية الهدایة لأجرب بها نفسی^(٤٠) ؟ فاعلم أن بدايتها ظاهر التقوى ، ونهايتها باطن التقوى ، فلا عاقبة إلا بالتقوى^(٤١) ، ولا هداية إلا^(٤٢) للمنتقين . والتقوى عبارة عن امثال أوامر الله تعالى واجتتاب نواهيه ، فهما قسمان وهما^(٤٣) أنا أشير عليك بجملة^(٤٤) مختصرة من ظاهر علم التقوى في التسمين

• ب ، ج : لجراة .

(٣٤) إن العلم مثل أعلى ، ورجل العلم قدوة حسنة ، والانسان يتمنى أن ينال هذه الدرجة ، لذا توجب عليه أن يكون أسوة حسنة بحق ، حيث الاقتداء به يساعد على نشر الفضيلة ، لا أن يتعامل مع العلم تعاملأ خارجياً ، من غير أن يتأثر به سلوكه في حياته اليومية .

(٣٥) ج : عباد الله .

(٣٦) ج : سقطت .

(٣٧) ب : عباده .

(٣٨) ب : الطالب العلم .

(٣٩) ب ، ج : سقطت .

(٤٠) ب : زيادة بها ، وفي ج : زيادة وأمتحن بها قلبي .

(٤١) ب : للمنتقين .

(٤٢) ب ، ج : هدى .

(٤٣) ب ، ج : سقطت .

(٤٤) ب ، ج : بجملة .

جميعاً^(٤٥) ، وألحق^(٤٦) فسماً ذاكاً ليصير هذا الكتاب جامعاً مقتباً والله
المستعاز •

-
- (٤٥) ج : زيادة ولنبيداً أولاً قبل الخوض فيما يسراد من بداية الهداية ، في الخوض في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد قواعد العقائد ، فنقول : «الحمد لله المبدي» المعيد الفعال لما يريد ... وقد نقل الناسخ كتاب عقيدة أهل السنة للأمام الغزالى على ما يبيدو هنا . وهي زيادة من الناسخ اذ ليس في نسخ الكتاب ما يشير الى ذلك ، كما ان من بين كتب الغزالى المستقلة كتاب عقيدة أهل السنة .
- (٤٦) ب : سقطت العبارة الى قوله القسم الأول .

القسم الأول

في اداب انتقامات

اعلم أن أوامر الله تعالى فرائض ونواقل ، فالفرض رأس المال ، وهو (١) أصل التجارة (٢) ، وبه تحصل النجاة (٣) ، والنفل هو الربع ، وبه الفوز في الدرجات ، قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى : (ما تشربَ إِلَيْكُمْ المقربونَ بِمثْلِ إِدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَقْرَبُ إِلَيْكُمْ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحْبَبْهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصْرَهُ الَّذِي يَبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطَقُ بِهِ) (٤) .

ولن نحصل أيةها العطائب الى القيام بأوامر الله تعالى ، الا بمرأبة قلبك وجوارحك ، في لحظاتك وأنفاسك ، من حين تصبح الى حين تنسى .

فاعلم أن الله تعالى معلم على ضميرك ، ومشرف على ظاهرك وباطنك ، ومحيط بجميع لحظاتك وخطراتك وخطواتك ، وسائر سكناتك وحراراتك ، واثن في مخالطتك وخلواتك ، متعدد بين يديه ، فلا يسكن في الملك والملكون ساكن ، ولا يتحرك متحرك ، الا وجبار السموات والارض مطلع عليه . (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ويعلم السر وأخفى) (٥) . فتأدب أيماناً المسكين ظاهراً وباطناً بين يدي الله تعالى ، تأدب العبد الذليل المذنب ، في حضرة الملك الجبار القهار ، واجتهد

(١) ب ، ج : وبه .

(٢) ب ، ج : النجاة .

(٣) ب ، ج : سقطت عبارة وبه تحصل النجاة .

(٤) أ : زيادة ، وزيده التي يبطن بها ، ورجله التي يمشي بها . والحديث منافق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ « سمعه وبصره » وهو في المحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسنده ضعيف ،

التغني المعرافي ٧١ / ١ .

(٥) نافر ١٩ وطه ٧ .

أن لا يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك • ولن تقدر على ذلك الا بأن توزع أوقاتك ، وترتب أورادك ، من صباحك الى مسائك •
فاصح الى ما يُلقى اليك من أوامر الله تعالى عليك^(٦) ، من حين تستيقظ من منامك الى وقت رجوعك الى مضجعك •

[آداب الاستيقاظ من النوم]

فإذا استيقظت من النوم ، فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر^(٧) ،
ول يكن أول ما يجري على قلبك^(٨) ولسانك ، ذكر الله تعالى فقل خذ
ذلك (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليشه الشور) ، (أصبحنا
وأصبح الملك لله والعلمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله رب العالمين) ،
(أصبحنا على فطرة الاسلام وعلى كلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبيينا ابراهيم حنيفاً مسلماً^(٩) وما كان من
المشركين) ، (اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحياناً وبك نموت
والىك البعث^(١٠) والشوار) ، (اللهم إنا نسألك أن تبعنا في هذا اليوم
إلى كل خير ، وننحو بك من كل شر^(١١) ، وننحو بك أن^(١٢) نجترح)

(٧) ب : سقطت •

(٨) ب : الصبح •

(٩) ج : سقطت •

(١٠) ب : سقطت •

(١١) ج : سقطت •

(١٢) أ ، ج : سقطت عبارة وننحو بك من كل شر •
لقد التزمت بتخريج الحديث المسند الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، أما الدعاء غير المنسب اليه صلى الله عليه وسلم ، فليس
أتعقبه ، لأن الدعاء إنشاء حر ، وقد يقتبسه الداعي من القرآن
والحديث ، وقد يمزج بينهما ، أو يمزج بين حديثين ، أو يتصرف
بالالتفاظ ، أما الدعاء المنسب اليه صلى الله عليه وسلم ، فهو رواية
يجب تخريجها وتتبعها في كتب الرواية ، كما لا يجوز التصرف
 بالالتفاظها •

فيه سوءاً أو نجره إلى مسلم^(١٢) أو يجره أحد أبناءنا ، (سألت خير هذا اليوم وخير ما فيه ، ونحو ذلك من شر هذا اليوم وشر ما فيه^(١٣)) فإذا لبست ثيابك ، فانور به امتنال أوامر الله تعالى في ستر عورتك ، واحذر أن يكون قصدك من لباسك مراءة الخلق فتخسر^(١٤) .

[باب آداب دخول النساء]

فإذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة ، فقدم في الدخول رجلك اليسرى ، وفي الخروج رجلك اليمنى ، ولا تستصحب شيئاً عليه اسم الله تعالى^(١٥) ، ولا تدخل حاسر الرأس ، ولا حافي القدمين^(١٦) ، وقل عند الدخول : (بسم الله أؤود بالله من الرجل الجنس الخبيث المخت الشيطان^(١٧) الرجم) وعند الخروج (غفرانك)^(١٨) (الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذني وأبقى عليَّ ما ينفعني) وينبغي أن تعد النبل قبل قضاء الحاجة وأن لا تستجبي بما في موضع قضاء الحاجة وأن تستبرئ من البول بالتحنح والتر^(١٩) ثلثاً ، وبamar اليـد اليسرى^(٢٠) على أسفل القنـيب .

(١٢) ب ، ج : سقطت عبارة أو يجره علينا ، وزاد : فانك قلت وهو الذي يتوفاكـم بالليل ويعلم ما جرحتـم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه ليقضـيـ إلى أجل مسمـى ، اللهم فالـق العـبـ والنـوى ، اللـهم فالـق الـاصـباحـ ، وجعلـ اللـيل سـكـنا ، والـشـمـسـ والـقـمرـ حـسـبـانـ .

(١٣) ب : زيادة ، وشر ما قبله ، وشر ما بعده .

(١٤) ب ، ج : سقطـت .

(١٥) ب ، ج : زيادة ورسـولـه .

(١٦) ب ، ج : سقطـت « حـافـ الـقـدـمـينـ » .

(١٧) ب : من الشـيـطـانـ .

(١٨) ب : سقطـت .

(١٩) ب : النـسـ .

(٢٠) ب : سقطـت .

(٢١) ج : سقطـت .

وان كت في الصحراء فابعد عن عيون الناظرين ، أو استر بشيء
ان وجدته ولا تكشف ثورتك قبل الالهاء الى موضع الجلوس ، ولا
 تستقبل الشمس ولا القمر (٢٢) ، ولا تستقبل (٢٣) القبلة ولا تستديرها .
ولا تجلس في متحدى الناس ، ولا تبل في الماء الراكد ، وتحت الشجرة
المشرفة ، ولا في الحجر . واحذر الارض الصلبة ، ومهب الريح ،
احتراماً من الرشاش لقوله صلى الله عليه وسلم : ان عامة عذاب القبر
 منه (٢٤) . واتركي في جلوسك على الرجل اليسرى . ولا تبل فائضاً
 الا عن ضرورة . واجمع في الاستجابة بين استعمال الحجر (٢٥) والماء ،
فإذا أردت الاقتصاد على أحدهما فالماء أفضل . وان اقتصرت على الحجر ،
عليك أن تستعمل ثلاثة أحجار ظاهرة مشففة للماء (٢٦) تمسح بها محل
التجو ، بحيث لا تنقل التجاوة عن موضعها ، وكذلك تمسح القصيب في
ثلاثة مواضع من حجر ، فإن لم يحصل الإنقاء بثلاثة فتم خمسة أو سبعة
إلى أن ينقى بالإيتار . فالإيتار مستحب ، والإنقاء واجب .

ولا تستحي إلا باليد اليسرى (٢٧) وقل عند الفراج من الاستجابة :
(اللهم طهر قلبي من النفاق وحسن فرجي من الفواحش) وأدلك يدك
بعد تمام (٢٨) الاستجابة بالأرض أو بعائط ثم اغسلها .

(٢٢) ج : سقطت ولا تستقبل الشمس ولا القمر .

(٢٣) أطبيعة بنداد : سقطت .

(٢٤) ب ، ج : سقطت الرواية . والحديث رواه ابن ماجة بلفظ « أكثر
عنابر القبر من البول » رقم ٣٤٨ . وقد روي عن ابن عباس قال
« من رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين : فقال : إنهما
ليعبدان ، وما يعبدان في كبيرهما فكان يمشي بالنسمة ،
وأما الآخر فكان لا يستقر من بوله » التفسير الصریح ١/٢٧ ،
مسلم ١/٢٤١ ، التفسیر ١/٣٠ ، أبو داود رقم ٢٠ .

(٢٥) ب : زيادة ، أو ما يقوم مقامه .

(٢٦) ب : زيادة ، أو مما يقوم مقامه .

(٢٧) ب : زيادة وبأيده في الاستجابة بالقتل .

(٢٨) ب : سقطت .

باب (٢٩) آداب الوضوء

فإذا فرغت من الاستئناء فلا تترك السواك الا حيث نهاك عنه ، وهو الصوم بعد الزوال^(٣٠) ، فإنه مطهرة للضم ، ومرضاة للرب ، ومسخرة للشيطان^(٣١) ، وصلوة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا^(٣٢) سواك^(٣٣) . وروي^(٣٤) عن أبي هريرة^(٣٥) رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (لولا أن أشقر على أمتي لأمرتهم بالسواك في كل صلاة)^(٣٦) . وعنه صلى الله عليه وسلم : (أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب عليَّ)^(٣٧) .

ثم اجلس للوضوء مستقبلاً القبلة^(٣٨) على موضع مرتفع ، كسي لا يحييك الرشاش وقل : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، (رب^(٣٩) أؤود بك من همزات الشياطين وأأعوذ بك ربَّ أَن يحضرُون) . ثم أغسل يديك ثلاثاً قبل أن تدخلهما^(٤٠) الإناء^(٤١) ، وقل : (اللهم اني أسألك

(٢٩) ب : سقط العنوان .

(٣٠) أ : سقطت عبارة إلا حيث نهاك عنه ، وهو الصوم بعد الزوال .

(٣١) ب ، ج : سقطت عبارة « ومسخرة للشيطان » .

(٣٢) ب ، ج : بغير .

(٣٣) رواه أبو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه أبو داود والحاكم وصححه ، والبيهقي وضعفه من حديث عائشة . المتن في المعرقى ١٣٢/١ .

(٣٤) ج : سقطت إلى قوله ثم اجلس .

(٣٥) هو عبد الرحمن بن صخر المسيء أسلم سنة ٧ هـ توفي سنة ٥٧ هـ .

الاستيعاب ٢٠٢/٤ ، الاصابة ٢٠٢/٤ ، تذكرة الحفاظ ٣٢/١ .

(٣٦) رواه البخاري رقم ٥١٩ ، ومسلم رقم ٢٥٢ ، وأبو داود رقم ٤٧ ، وابن ماجة رقم ٢٨٧ ، والنسائي ١٢/١ .

(٣٧) رواه ابن ماجة رقم ٢٨٩ بلطفه « ما جاء جبريل إلا وأوصاني بالسواك ، حتى لقد خشيت أن يفرض علىَّ وعليَّ أمتي » .

(٣٨) ج : مستقبلاً للقبلة .

(٣٩) ج : اللهم .

(٤٠) ب : الدخالها .

(٤١) ب : زيادة وهو عند الاستبهان من النوم أو كله .

اليمنَ والبرَّكةَ وأعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرُورِ وَالْمُلْكَةِ) ٠ نَمَ انْوَرُ^(٤٢) رفع
 الحديثُ أَوْ^(٤٣) استباحةُ الصَّلاةِ^(٤٤) ٠ وَلَا يَبْغِي أَنْ تَعْزِبَ نِيَّتُكَ قَبْلَ
 غَسْلِ الْوَجْهِ، فَلَا يَصْحُ وَضْوَدُكَ ٠ ثُمَّ خَذْ غَرْفَةً لِفِيكَ وَتَمْضِيْضُ بِهَا
 ثَلَاثَةً ٠ وَبَالْغُ في رَدِّ الماءِ إِلَى الْفَلْصِمَةِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا فَتَرْفَقُ وَقُلْ :
 (اللَّهُمَّ أَغْنِيْ عَلَى تِلَافِيْ كِتَابِكَ^(٤٥) ، وَكُثْرَةِ الذِّكْرِ لَكَ ، وَبَشِّرْنِيْ بِالْقُسْوَلِ
 الْثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)^(٤٦) ٠ ثُمَّ خَذْ غَرْفَةً لِأَنْفَكَ وَاسْتَشْمِقْ
 بِهَا ثَلَاثَةً ٠ وَاسْتَشِرْ مَا فِي الْأَنْفِ مِنْ رَطْبَةٍ، وَقُلْ فِي الْإِسْتَشَاقِ : (اللَّهُمَّ ارْحَنِيْ^(٤٧)
 أَرْحَنِيْ رَائِحةَ الْجَنَّةِ وَأَنْتَ عَنِيْ رَاضٍ) وَفِي الْإِسْتَشَارَةِ : (اللَّهُمَّ انْجِيْ
 أَعُوذُ بِكَ مِنْ رَوَاحِ النَّارِ وَسُوءِ الدَّارِ) ٠ ثُمَّ خَذْ غَرْفَةً لِوَجْهِكَ، فَاغْسِلْ
 بِهَا مِبْدَأً سَطْبِحَ الْجَبَّاهَةَ إِلَى مَتْهِيِّ ما يَقْبِلُ مِنَ الذَّقْنِ فِي الطَّوْلِ، وَمِنْ
 الْأَذْنِ إِلَى الْأَذْنِ فِي الْعَرْضِ، وَأَوْصِلْ الماءَ إِلَى مَوْضِعِ التَّحْذِيفِ، وَهُوَ
 مَا تَعْتَادُ النِّسَاءُ تَحْجِيَّةُ الشِّعْرِ عَنْهُ، وَهُوَ^(٤٨) مَا بَيْنَ رَأْسِ الْأَذْنِ إِلَى زَاوِيَّةِ
 الْجَبَّاهَةِ، أَغْنِيْ مَا يَقْعُدُ مِنْهُ فِي جَهَةِ^(٤٩) الْوَجْهِ، وَأَوْصِلْ الماءَ إِلَى مَنَابِتِ
 الشَّعُورِ الْأَرْبَعَةِ : الْحَاجِينَ، وَالشَّارِبَيْنَ، وَالْأَهَدَابَ، وَالْعَنَارِيْنَ، وَهُمْ
 مَا يَوْازِيَانِ الْأَذْنَيْنِ مِنْ مِبْدَأِ الْلَّحِيَّةِ ٠ وَيَجْبُ اِصْسَالُ الماءِ إِلَى مَنَابِتِ^(٥٠)
 الشِّعْرِ مِنْ الْلَّحِيَّةِ الْخَفِيفَةِ دُونَ الْكِشْفَةِ، وَقُلْ عَنْدَ غَسْلِ الْوَجْهِ : (اللَّهُمَّ
 بِيْضَ وَجْهِيْ بِنُورِكَ يَوْمَ تَبْيَضُ وَجْوهَ أَوْلِيَّاَكَ وَلَا تَسْوِدْ وَجْهِيْ بِظَلْمِكَ

(٤٣) ب : زِيَادَةُ ، وَالْيَتِيمَةُ فِي الرَّضِيَّوْ وَالْغَسْلِ سَنَةٌ عَنْهُ أَبِي حِنْفَةَ وَعَنْهُ
 الشَّافِعِيِّ فَرَضَ ، فَيُنْبَغِي أَنْ يَنْوِي رِفْعَ الْحَدِيثِ ٠

(٤٤) ب : و ٠

(٤٤) ب : زِيَادَةُ أَوْ مَا يَقْوِمُ مَقْامَهَا ٠

(٤٥) ب : الْقُرْآنَ ٠

(٤٦) ب ، ج : سَقَطَتْ عَبِيرَةً ٠ وَبَشِّرْنِيْ بِالْقُولَ الْأَوْلَى ثُمَّ خَذْ ٠

(٤٧) ب ، ج : أَوْجَدَنِيْ ٠

(٤٨) ب : سَقَطَتْ ٠

(٤٩) أ : جَهَةُ ٠

(٥٠) ب ، ج : مَنَابِتُ الْمَحِيَّةِ ٠

يوم تسود وجوه أعدائك) • ولا تترك تخليل اللحمة الكثيفة^(١) ، ثم
 اغسل يدك اليمنى ، ثم اليسرى مع المرفقين الى أنصاف العضدين ، فإن
 الخلية في الجنة تبلغ مواضع الوضوء ، وقل عند غسل اليمنى^(٢) : (اللهم
 أخْطُنِي كَتَابِي بِيَمِنِي وَحِسَابِي حَسْبًا يَسِيرًا) • وعند غسل الشمال^(٣) :
 (اللهم اني أعوذ بك أن تعذبني كتابي بشمالي أو من وراء ظهرى) •
 ثم استوعب رأسك بالمسح ، بأن تبل يديك وتلتصق رؤوس أصابع يديك
 اليمنى باليمنى^(٤) ، وتضعهما على مقدمة الرأس ، وتمرهما الى
 القفا ، ثم تردهما الى المقدمة فهذة^(٥) مرة نفعل ذلك ثلاث^(٦) مرات ،
 وكذلك في سائر الأعضاء وقل : (اللهم غشى برحمتك وأنزل عليّ من
 بر كاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك) ، (اللهم^(٧)
 حرّم شعري ويشري على النار) • ثم امسح أذنيك ظاهرها وباطنهما
 بناءً جديداً ، وأدخل مسبحتيك في صماخي أذنيك ، وامسح ظاهر أذنيك
 بقطن إيهاميك وقل . (اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون
 أحسنـه) • اللهم أسمعني منادي الجنـة^(٨) في الجنـة مع الأبرار) • ثم
 امسح رقبتك وقل : (اللهم فـاك رقـبـي منـ النـارـ وأعـوذـ بـكـ مـنـ السـلاـسلـ
 والـأـغـلـالـ) • ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى^(٩) مسح العينين^(١٠)
 وخلل بختصر اليسرى^(١١) أصابع رجلـكـ الـيـمـنـيـ^(١٢) ، مبتداً بختصرـهاـ

(١) ب ، ج : سقطت .

(٢) ب : سقطت عند غسل اليمنى .

(٣) ب : زيادة ، وتضع بطون ثلاث أصابع من كل كتف .

(٤) ج : وهذه .

(٥) ب ، ج : ثلاثاً .

(٦) ب ، ج : سقطت الى قوله ثم امسح .

(٧) ب : وأنت عنـي راضـ بـدـلـ عـبـارـةـ «ـ وـفـيـ جـنـةـ مـعـ أـبـرـارـ »ـ .

(٨) ج : سقطت ثم اليسرى .

(٩) ب : اليمـدـ الـيـسـرىـ .

(١٠) ب : سقطت .

حتى تختم (٦١) بخصر اليسرى (٦٢) وخلل (٦٣) الأصابع من أسفل
وقل : (اللهم بنت قدمي على الصراط المستقيم) (٦٤) مع أقدام عبادك
الصالحين) . وكذلك تقول عند غسل اليسرى : (اللهم اني أعوذ بك
أن نزل قدمي عن (٦٥) الصراط في النار) (٦٦) يوم تزل أقدام المنافقين
والمرتدين (٦٧) . وارفع الماء الى أنصاف الساقين (٦٨) ، وراع التكرار
ثانيةً في جميع أفعالك ، فاذا فرغت من (٦٩) الوضوء ، فارفع بصرك الى
السماء وقل : (أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله . سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا
أنت . عملت سوءاً وظلمت نفسك أستغفر لك وأتوب اليك فاغفر لي وتب
عليّ انك أنت التواب الرحيم . اللهم اجعلني من التوابين واجعلني (٧٠)
من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين) (٧١) واجعلني صبوراً شكوراً
واجعلني أذكرك ذكرًا كثيرًا وأسبحك بكرة وأصيلاً) . فمن قال (٧٢)
هذه الدعوات في وضوئه خرجه خطيباه من جميع أعضائه ، وختم على
وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش ؟ فلم يزل يسبح الله ويقدسه ،
ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة .

(٦١) ب : تختم الرجل .

(٦٢) ج : الرجل اليسرى .

(٦٣) ب ، ج : وتدخل الأصبع .

(٦٤) ب ، ج : زيادة يوم تزل الأقدام في النار .

(٦٥) أ : على .

(٦٦) ب ، ج : سقطت في النار .

(٦٧) ب : سقطت .

(٦٨) ب : زيادة ، لأن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسلم « أقضم الغر المحملون يوم القيمة ، من آثار الوضوء ، فمن
فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل .

(٦٩) ب ، ج : سقطت الى قوله : وقل .

(٧٠) ج : سقطت .

(٧١) ج : سقطت الى قوله : فمن قال هذه .

(٧٢) ج : قرأ .

وأجبت في وضوئك سبعاً : لا تنفس يديك فترش الماء ، ولا تلطم وجهك ، ولا رأسك بالماء لطماً ، ولا تتكلّم في أثناء الوضوء ، ولا تزد في الفسق على ثلاثة مرات ، ولا تكثر صب الماء من غير حاجة بمجرد الوسوسة ، فللמוסوين شيطان يلعب^(٧٣) بهم يقال له الولهان ، ولا توضأ بالماء الشمس بالاواني^(٧٤) الصفرية ، فهذه السبعة مكرورة في الوضوء وفي الخبر أن من ذكر الله عند وضوئه ظهر الله جسمه كله ، ومن لم يذكر الله لم يظهر منه الا ما أصابه الماء^(٧٥) .

باب آداب الفسق

فإذا أصابتك جنابة من احتلام أو وقوع فاحمل^(٧٦) الأناء إلى المقتسل ، واغسل يديك اولاً ثالثاً ، وأزل ما على بدنك^(٧٧) من قدر ، وتوضأ كما سبق في^(٧٨) وضوئك للصلوة مع جميع الدعوات^(٧٩) ، وأخر غسل رجليك^(٨٠) ، كي لا يضيع الماء . فإذا فرغت من الوضوء ، فصب الماء على رأسك ثلاثة وأنت ناو رفع الحدث^(٨١) من الجنابة ، ثم على شفتك اليسرى ثلاثة ، ثم على اليسير^(٨٢) ثلاثة ، وادلك ما أقبل من بدنك وما أدبر ثلاثة^(٨٣) ، وخلل شعر رأسك ولحيتك^(٨٤) ، وأوصل الماء

(٧٣) ج : يضحك .

(٧٤) أ ، ب : بالماء الشمس ولا في الأواني الصفرية .

(٧٥) رواه الدارقطني من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف . المغني للعراقي ١ / ١٢٥ .

(٧٦) ج : فخذ .

(٧٧) ج : يديك .

(٧٨) ب ، ج : سقطت .

(٧٩) ج : زيسادة ، والأذكار .

(٨٠) ب ، ج : قلبيك .

(٨١) ج : سقطت .

(٨٢) ج : على شفتك اليسير .

(٨٣) ج : سقطت .

(٨٤) ب ، ج : سقطت .

إلى معاطف البدن ومنابت الشعر ، ما خف منه وما كشف . واحد أن تمس ذكرك بعد الوضوء فان اصابته بذلك^(٨٥) فاعد الوضوء والفرضة ، ومن جملة^(٨٦) ذلك كله^(٨٧) النية ، وإزالة النجاسة^(٨٨) ، واستبعاب البدن بالغسل . وفرض^(٨٩) الوضوء غسل الوجه ، واليدين مع المرفقين^(٩٠) ، ومسح بعض^(٩١) الرأس ، وغسل الرجلين إلى الكعبين^(٩٢) ، مرة مرة مع النية والترتيب . وما عدتها سنن مؤكدة فضلها كثير وثوابها^(٩٣) جزيل ، والتهاون بها خاسر ، بل هو بأصل فرائضه مخاطر ، فان التوافل جوابير لفرائضه .

باب آداب التيمم

فإن سجزت عن استعمال الماء لفقد^(٩٤)هـ بعد الطلب ، أو لعذر^(٩٥)هـ من مرض ، أو لمانع من الوصول اليه من سبع أو حبس^(٩٦)هـ ، أو كان الماء بالحاضر يحتاج اليه لمطهتك أو لعطش رفيقك ، أو كان ملكاً لغيرك ولست ببعض الا بأكثر من ثمن المثل ، أو كانت بآنك جراحة أو مرض تخاف منه على نفسك ، فاصبر حتى يدخل وقت الفرضة ثم أقصد صعيداً طيباً عليه تراب خالص ظاهر لين ، فاضرب عليه بكفيك ضاماً بين اصابعك وأنو-

(٨٥) ج : اليم .

(٨٦) ج : سقطت .

(٨٧) ب ، ج : سقطت .

(٨٨) ب ، ج : سقطت « وإزالة النجاسة » .

(٨٩) ج : من .

(٩٠) ج : سقطت مع المرفقين .

(٩١) ب : شيء من .

(٩٢) ب ، ج : سقطت إلى الكعبين .

(٩٣) ب : جزاوها .

(٩٤) ب : بفقده .

(٩٥) ب : سقطت لعذر من مرض ، وفي جـ : سقطت من مرض .

(٩٦) ب ، ج : حبس .

استباحة فرض (٩٧) الصلاة ، وامسح بهما وجهك كله مرة واحدة ، ولا تتكلف ايصال الغبار الى مثابت الشعر خف او كثف ، ثم انزع خاتسك واضرب ضربة ثانية مفرجا (٩٨) بين اصابعك ، وامسح بهما يديك مسح مرفقيك ، فان لم تستوعبهما فاضرب ضربة اخرى الى ان تستوعبهما ، ثم امسح احدى كفيك بالاخرى ، وامسح ما بين اصابعك بالتلليل ، وصل به فرضاً واحداً وما شئت من التوافل ، فان اردت فرضاً ثانياً فاستأنف له فيما اخر (٩٩) .

-
- ب ، ج : سقطت .
 - أ : مفرقا .
 - ج : ثانياً .

آداب الخروج إلى المسجد

فإذا فرغت من طهارتك فصل في بيتك ركعتي الفجر ، إن كان الفجر قد طلم ، كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) ثم توجه إلى المسجد ولا تدع الصلاة في الجماعة ، لا سيما الصبح ، فصلاة الجماعة تفضل على صلاة الفجر بسبعين وعشرين درجة ^(٢) . فإن كنت تساهل في مثل هذا الربع ، ف Auxiliary فائدة لك في طلب العلم ، وإنما نسورة العلم العمل به ^(٣) .

فإذا سعيت إلى المسجد ، فامش على هيئة وتوءة وسكنية ^(٤) ولا تجعل وقل في طريقك : (اللهم اني أسألك ^(٥) بحق السائلين عليك ^(٦) وبحق الراغبين إليك وبحق ممثلي هذا إليك فاني ^(٧) لم أخرج أثراً ولا بطراً ولا رياة ولا سمعة) ، بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذني من النار وتدخلنني الجنة ^(٨) وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنب إلا أنت) .

(١) روى ابن إماحة رقم ١١٤٦ عن عائشة رضي الله عنها « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا توضأ صلى ركعتين ، ثم خرج إلى الصلاة » . وروى الترمذى عنها رقم ٤١٨ قالـت « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلـى ركعتي الفجر ، فـان كانت له إلى حاجة كلامـي ، والا خـرج إلى الصلاة » .

(٢) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفجر بسبعين وعشرين درجة » البيهـاري رقم ٤٠٩ ، مسلم رقم ٦٥٠ .

(٣) ج : سقطـت .

(٤) ب ، ج : سقطـت .

(٥) أ : سقطـت « إـنـي أـسـأـلـكـ » .

(٦) ب : زـيـادـةـ ، وـالـسـائـلـكـينـ إـلـىـ عـبـادـكـ .

(٧) ج : سقطـت .

(٨) أ ، ج : سقطـت « وـتـلـخـلـنـيـ الجـنـةـ » .

آداب دخول المسجد(١)

فإذا أردت الدخول^(٢) إلى المسجد ، فقدم رجلك اليمنى وقل :
 (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم ۝ اللهم اغفر لى
 ذنبى وافتح لي أبواب رحمتك) ۝ ومهما رأيت في المسجد من بييع^(٣)
 أو يبتاع فقل : (لا أربح الله تجارتى)^(٤) ۝ وإذا رأيت فيه من يشتد
 ضالله فقل : (لا رد الله عليك ضالتك)^(٥) ۝ كذلك أمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فإذا دخلت المسجد فلا تجلس^(٦) حتى تصلي ركعتي
 التحية ، فإن^(٧) لم تكن على طهارة ، أو لم تزد فعلها كفتكم الباقيات
 الصالحة^(٨) ثلاثة ، وقيل أربعاً ، وقيل ثلاثة للمحدث ، وواحدة
 للمتوضى ۝

فإن لم تكن صلحت في بيتك^(٩) ركعتي الفجر ، فيجزئك أداؤها
 عن التحية ۝

(١) ب ، ج : زيارة إلى طلوع الشمس .

(٢) ب ، ج : دخول المسجد .

(٣) ج : بييع أو شراء .

(٤) روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال « نهى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتاع ، وعن تناشد
 الأشجار في المساجد » رقم ٧٤٩ ، وضعيته الترمذى رقم ٣٢٢ .

(٥) روى مسلم عن أبي هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « من صنع رجلاً ينشد ضالة في المسجد ، فليقل : لا ردما الله عليك ،
 فإن المساجد لم تبن لهذا » مسلم ٣٩٧ / ١ ، ابن ماجة رقم ٧٦٧ ،
 أبو داود رقم ٤٧٣ .

(٦) ب : تجعله .

(٧) ب ، ج : سقطت إلى قوله فإن لم تكن .

(٨) الباقيات الصالحة ، هي : لا إله إلا الله ، سبحان الله ، والله أكبر ،
 والحمد لله . ولا حول ولا قوة إلا بالله . النساء في اليوم والليلة ،
 انظر المغني للعراقي ٢٩٩ / ١ .

(٩) ب ، ج : سقطت .

فإذا فرغت من الركعتين فانور الاعتكاف ، وادع بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر فقل : (اللهم اني أسألك برحمتك من يهدى تهدي بها قلبي ، وتجمع بها شملي ، وتلم بها شعري ، وترد بها الفتى ، وتصلح بها ديني ، وتحفظ بها أغاثي ، وترفع بها شاهدي ، وتركى بها علني ، وتبغض بها وجهي ، وتلهمني بها رشدي ، وتقضى لي بها حاجتي)^(١٠) ، وتعصمني بها من كل سوء .

اللهم اني أسألك ايماناً خالصاً دائماً^(١١) يباشر قلبي ، وأسائلك يقيناً صادقاً حتى اعلم أنه لن يحيطني إلا ما كتبته عليَّ ورضي بما قسمته لي . اللهم اني أسألك ايماناً صادقاً ويفيناً ليس بعده كفر ، وأسائلك برحمة أثال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة .

اللهم اني أسائلك الفوز عند اللقاء^(١٢) ، والصبر عند القضاء^(١٣) ، ومنازل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الاعداء ، ومرافقة الانبياء .

اللهم اني أنزل بك حاجتي وأن ضعف رأيي وقصر عملي وافتقرت إلى رحمتك ، فأسائلك يا قاضي^(١٤) الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البخور أن تجيرني من عذاب السعير ومن قبة القبور^(١٥) ومن دعوة الشبور .

١٠) ج : سقطت « وتقضى لي بها حاجتي » .

١١) ج : سقطت .

١٢) ب : سقطت .

١٣) ب : سقطت « اللقاء والصبر » .

١٤) ج : سقطت « والصبر عند القضاء » .

١٥) ب : كافي .

١٦) ج : الصدور .

اللهم ما قصر عنك رأيي وضعف عنك عاليٍ ، ولم تبلغه نياتي وأمنتي
من خير وعدته أحداً من عبادك ، أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك فاني
أراغب^(١٧) إليك فيه وأسائلك ايه يا رب العالمين ٠

اللهم اجعلنا هادين مهديين^(١٨) غير ضالين ولا مضلين ، حسراً
لاعدائك سلماً لا ولائيك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوك من خلقك
من خلقك ٠

اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ، وانا
للله وانا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ٠

اللهم^(١٩) ذا الجبل الشديد والامر الرشيد اسألك الا من يوم
الوعيد والجنة يوم الخلود ، مع المقربين الشهود الركع السجدة المؤفين
لنك^(٢٠) بالمهود ، انك رحيم ودود ، وأنت تفضل ما تريده ، سبحان من
اتصف^(٢١) بالعز وقال به ، سبحان من ليس المجد وتكرم به ، سبحان
من^(٢٢) لا ينبغي التسبیح الا له ، سبحان ذي الفضل والنعم ، سبحان
ذی الجود^(٢٣) والكرم ، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه ٠

اللهم اجعل لي نوراً في قلبي ، ونوراً في قبري ، ونوراً في سمعي ،
ونوراً في بصري ، ونوراً في شعري ، ونوراً في بشرى ، ونوراً في لحمي ،
ونوراً في دمي ، ونوراً في عظامي ، ونوراً من بين يدي ، ونوراً من

(١٧) ج : راغب ٠

(١٨) ج : مهديين ٠

(١٩) ج : سقطت^(٥) ٠

(٢٠) ج : سقطت^(٦) ٠

(٢١) ب ، ج : تعطف ٠

(٢٢) ب ، ج : الذي ٠

(٢٣) ب ، ج : القدرة ٠

خلفي ، ونوراً عن يميني ، ونوراً عن شمالي ، ونوراً من فوق ، ونوراً من تحتي .

اللهم زدني نوراً وأعطنني نوراً أعظم نور (٢٤) ، واجعل لي نوراً
برحمتك (٢٥) يا أرحم الراحمين (٢٦) . فاذا فرغت من الدعاء فلا
تشتغل الى وقت الفرض (٢٧) الا بذكر (٢٨) أو تسبيح أو قراءة قرآن .

ف اذا سمعت الاذان في انتهاء ذلك فاقطع ما انت فيه الا الصلاة
واشتعل (٢٩) بجواب المؤذن . فاذا قال المؤذن : (الله اكبر الله اكبر)
فقل (٣٠) مثل ذلك ، وكذلك في كل كلمة الا في الحيلتين فقل فيها :
(لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) . فاذا قال : (الصلاة خير من
النوم) فقل : (صدقت وبررت وانا (٣١) على ذلك من الشاهدين) .
ف اذا سمعت الاقامة ، فقل مثل ما يقول الا في قوله قد قامت الصلاة فقل :
(اقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض (٣٢)) .

ف اذا فرغت من جواب المؤذن (٣٣) فقل : (اللهم اني اسألك عند
حضور صلاتك ، وأصوات دعاتك ، وادبار ليلك ، واقبال نهارك ، أن
تؤتي محمداً الوسيلة والفضيلة (٣٤) ، والدرجة الرفيعة (٣٥) ، وابعده

(٢٤) ب ، ج : سقطت اعظم نور .

(٢٥) ب ، ج : سقطت الى قوله فاذا .

(٢٦) اخرجه الترمذى ، وقال غريب « رقم ٣٤١٩ .

(٢٧) ب : أداء الفرض .

(٢٨) ج : بذكر الله تعالى من تسبيح .

(٢٩) أ ، ج : سقطت « إلا الصلاة » .

(٣٠) ب : فليقبل .

(٣١) ب ، ج : سقطت الى قوله فاذا .

(٣٢) ج : زيادة ، واجعلني من صالح أهله .

(٣٣) ب : زيادة في الاذان .

(٣٤) ج : زيادة والشرف .

(٣٥) ب : سقطت (والدرجة الرفيعة) .

المقام المحمود الذي وعده ، انت^(٣٦) لا تخلف الميعاد يا أرحم
الراحمين) .

فإذا سمعت الأذان وأنت في الصلاة فتقم الصلاة^(٣٧) ، ثم تدارك
الجواب بعد السلام على وجهه ، فإذا أحزم الامام بالفرض فلا تشتبه^(٣٨)
بالاقناء به ، وصل^(٣٩) الفرض^(٤٠) كما سيتلى عليك^(٤١) في كيفية الصلاة
وآدابها .

فإذا فرغت فقل : (اللهم صلّى على محمد وعلى آل محمد
وسلم^(٤٢) ، الذي أنت السلام ومنك السلام واليتك يعود السلام ، فتحينا
ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة^(٤٣) دار السلام تبارك يا ذا العجلان
والاكرام ، سبحان ربِّي العلي الاعلى^(٤٤) ، لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حسي لا يموت يده الخير ،
وهو على كل شيء قادر ، لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثبات
الحسن ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا آياته مخلصين له الدين ولو كره
الكافرون) .

ثم ادع بعد ذلك بالجوامع الكوامل وهو ما علمه رسول الله صلى
الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها فقل : (اللهم اني أسألك من الخير
كله ، عاجله وأجله ، ما علمت منه ، وما لم أعلم ، وأغور^(٤٥) بك من

(٣٦) ب : سقطت إلى قوله فإذا سمعت .

(٣٧) ب : سقطت .

(٣٨) ج : ركعني الفرض .

(٣٩) ب : سقطت .

(٤٠) ب : سقطت .

(٤١) ج : سقطت .

(٤٢) ب ، ج : زيادة الوهاب .

(٤٣) ج : سقطت إلى قوله وأسألك .

الشر كله ، عاجله وأجله ، ما علمت منه ، وما لم أعلم ، وأسائلك الجنة
وما يقرب إليها ، من قول وعمل ونية واعتقاد^(٤٤) ، وأعوذ^(٤٥) بك من
النار ، وما يقرب إليها ، من قول وعمل ونية واعتقاد^(٤٦) ، وأسائلك من
خير ما سألك منه^(٤٧) ، عبديك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ،
وأعوذ بك^(٤٨) من شر ما استعاذك منه عبديك ورسولك محمد صلى الله
عليه وسلم ، اللهم وما قضيت علىي من أمر فاجعل عاقبته رشداً^(٤٩) .

ثم ادع بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي
الله عنها فقل : (يا حي يا قيوم يا ذا^(٥٠) الجلال والاكرام لا الله الا أنت
برحمتك أستغث و من^(٥١) عذابك أستجير ، لا تكلي الى نفسي ولا^(٥٢)
الى أحد من خلقك طرفة عين ، واصلح لي شأني كله بما^(٥٣) أصلحت
به الصالحين^(٥٤)) .

ثم قل ما قاله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : (اللهم اني
أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ، ولا أملك نعم ما أرجو ، وأصبح الامر
بيدك^(٥٥) لا بيده غيرك ، وأصبحت مرتهناً بعملي ، فلا فقير أفتر مني

(٤٤) ب : سقطت « نية واعتقاد » وفي ج : سقطت (اعتقاد) .

(٤٥) ج : سقطت الى قوله وأسئلتك من خير .

(٤٦) ب : سقطت « نية واعتقاد » .

(٤٧) ب : سقطت .

(٤٨) ب ، ج : واستعيذك مما استعاذك منه .

(٤٩) رواه ابن ماجة رقم ٣٨٤٦ .

(٥٠) ب ، ج : سقطت « يا ذا الجلال والاكرام لا إله إلا أنت » .

(٥١) ب ، ج : سقطت « ومن عذابك استجير » .

(٥٢) ب ، ج : سقطت « ولا الى أحد من خلقك » .

(٥٣) ب ، ج : سقطت « بما أصلحت به الصالحين » .

(٥٤) أخرجه النسائي في اليوم والليلة ، والحاكم من حديث أنس وقال

صحيح على شرط الشیخین ، المغني / ٣١٤ .

(٥٥) ب : بيده غيري ، وفي ج : كله بيديك .

الىك^(٥٦) ، ولا غنى عنك عنني ◊ اللهم لا تسمت بي عدوبي^(٥٧) ،
ولا تسوء بي صديقي ، ولا يجعل مصيبي في ديني ◊ ولا يجعل الدنيا
أكبر همي ، ولا مبلغ علمي ◊ ولا سلطط على بنبني^(٥٨) من لا
يرحمني^(٥٩) ◊

ثم ادع بما بدا لك من الدعوات المشهورات^(٦٠) واحفظها مما
أوردناه في كتاب الدعوات من كتاب أحياء علوم الدين ◊

ولتكن أوقاتك بعد الصلاة الى طلوع الشمس موزعة على أربع
وظائف : وظيفة في الدعوات ، ووظيفة في الاذكار والتسبيحات وتكررها
في سبحة ، وظيفة في قراءة القرآن ، ووظيفة في التفكير ◊ فتفكر في
ذنوبك وخطايك وتقصيرك في عبادة مولاك وتعرضك لعقابه الاليم ومسخته
العظيم ◊ وترتب أوقاتك^(٦١) بتدبرك أورادك في جميع يومك ◊ لتدارك
به ما فرطت^(٦٢) من تقصيرك ، وتحذر^(٦٣) من التعرض لسخط الله
الاليم في يومك ◊ وتتوى الخير لجميع المسلمين وتعزم على أن لا تشتعل
في جميع نهارك إلا بطاعة الله تعالى ، وتفصل^(٦٤) في قلبك الطاعات التي
تقدّر عليها ، وتختر أفضليها وتأمل تهيئة^(٦٥) أسبابها لتشتمل بها ◊

(٥٦) ب : سقطت الى قوله اللهم ◊

(٥٧) ج : الأعداء ◊

(٥٨) ب : سقطت ◊

(٥٩) انظر لـ أحياء علوم الدين ٣٦/١ ◊

(٦٠) ب : سقطت ◊

(٦١) ب ، ج : سقطت ◊

(٦٢) ب : فرط ◊

(٦٣) ب : وتحذر به ◊

(٦٤) ج : تفضل ◊

(٦٥) ب : في تهيئة ◊

ولا تدع عنك التفكير في قرب الاجل وحلول الموت القاطع للامل ،
وخرج الامر عن الاختيار ، وحصول الحسرة والندامة بطول (٦٦)
الاغترار . ول يكن من تسيحاتك وأذكارك عشر كلمات .

احداهن : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قادر .

الثانية : لا اله الا الله الملك الحق المبين .

الثالثة : لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما
ينهها العزيز الغفار .

الرابعة : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ، ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

الخامسة : سبحان قدوس ، رب الملائكة والروح .

السادسة : سبحان (٦٧) الله وبحمده سبحان الله العظيم .

السابعة : أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم ،
وأسأله التوبة والمغفرة .

الثامنة : اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا راد لما
قضيت ، ولا ينفع ذا الجد منك البعد .

التاسمة : اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم .

العاشرة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في
السماء وهو السميع العليم .

(٦٦) أ : بطول . وفي جـ : الاعتزاز والغفلة .

(٦٧) ب ، جـ : سبحان الله العظيم وبحمدته .

تكرر كل واحدة من هذه الكلمات^(٦٨) أَمَا مائة مرّة ، أو سبعين مرّة ، أو عشر مرات ، وهو أَفْلَه ، ليكون المجموع مائة . ولازム هذه الاذكار ، ولا تتكلّم قبل طلوع الشمس . ففي الخبر أن ذلك أَفضل من اعتاق ثمان رقاب من ولد اسماعيل^(٦٩) على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، أعني الاشتغال بالذكر الى طلوع الشمس ، من غير أن يتخلله كلام .

٦٨ ب : زيادة في مسبحة .

(٦٩) روى البخاري رقم ٢٠٤٦ ، ومسلم رقم ٢٧٩١ عن أبي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَه لا شريك له ، له الملك وَلَهُ الْحَمْدُ ، وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرّة ، كانت له عَمَلَ عَشْرَ رِقَابَ . وَكَتَبَتْ لَه مائة حسنة ، ومحبّت عنه مائة سبيحة ، وكانت له حرزاً من الشيطان ، يومه ذلك ، حتى يمسّه . ولم يأت أحد أفضّل مما جاء به ، إِلَّا أَحَدٌ عَمَلَ أَكْثَرَ من ذلك ، ومن قال : سبّحان الله وبحمده ، في يوم ، مائة مرّة ، خطّت خطاياه ، ولو كانت مثل زبدة البحر » .

ومن عمر و بن ميمون قال : من قال « لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَه لا شريك له ، له الملك وَلَهُ الْحَمْدُ ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات ، كان كمن اعتنق أربعة أنفس من ولد اسماعيل » البخاري رقم ٢٠٤٥ ، مسلم رقم ٢٧٩٣ .

آداب ما بين(١) طلوع الشمس الى السزاوال

فإذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح فصل ركعتين . وذلت
عند زوال وقت الكراهة للصلاة . فإنها مكرورة من بعد فريضة الصبح
إلى ارتفاع الشمس فإذا أضحي النهار ومضى منه قريب من ربعه ، فصل
صلوة الشخص أربعاً أو ستة أو ثمانية ، متى متى (٢) ، فقد نقلت هذه
الإعداد كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . والصلوة خير كلها
 فمن شاء فليستكثر ، ومن شاء فليستقلل ، فليس بين طلوع (٣) الشمس
والزوال راتبة من الصلاة إلا هذه . فيما فضل عنها من أوقاتك فلك فيه
أربع حالات :

الحالة الأولى (وهي الأفضل) . أن تصرفه في طلب العلم النافع في
الدين ، دون الفضول الذي أكب الناس عليه وسموه علمًا ، والعلم النافع
هو (٤) ما يزيد في خوفك من الله تعالى ، ويزيد (٥) في بصيرتك بعيوب
نفسك ، ويزيد في معرفتك بعبادة ربك ، ويقلل من (٦) رغبتك في الدنيا ،
ويزيد في رغبتك في الآخرة ، ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحرز
منها ، ويطلعك على مكاييد الشيطان وغروره وكيفية تلبيته على علماء

(١) ب ، ج : بعد .

(٢) عن عائشة أنها سئلت : كم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلِّي الشخصي ؟ قالت : أربع ركعات ويزيد ما يشاء ، مسلم رقم ٧١٩ .
وعن أم هانىء أنها حدثت أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيته
يوم فتح مكة فصلَّى ثماني ركعات ، ما رأيته صلى صلوة قط أخف
منها ، غير أنه كان يتسم الركوع والسجود . مسلم رقم ٣٣٦ .
البخاري ٢٠٣ .

(٣) ج : الطلع والزوال .

(٤) ج : سقطت .

(٥) ب : سقطت .

(٦) ج : سقطت .

السوء ، حتى عرضهم لقت الله تعالى وسخطه ، حيث اشترىوا^(١) الدنيا بالدين ، واتخذوا العلم ذريعة ووسيلة الىأخذ الاموال من السلاطين^(٢) وأكل أموال الاوقاف واليتامى والمساكين . وصرفوا^(٣) همتهم طول نهارهم الى طلب العجاه^(٤) والمنزلة في قلوب الخلق . واضطربهم ذلك الى المرأة والمارأة والمناقشة^(٥) في^(٦) الكلام والمباهة .

وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه في كتاب (احياء علوم الدين)^(٧) . فان كتب من أهله فحصله واعمل به ، ثم علمه وادع اليه فمن علم ذلك وعمل به ثم دعا اليه فذلك يدعى عظيمًا في ملوكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام .

فاما فرغت من ذلك كله وفرغت من اصلاح نفسك ظاهراً وباطناً وفضل^(٨) شيء من اوقاتك ، فلا يأس أن تستغل بعلم المذهب في الفقه لتعرف به الفروع النادرة في العبادات وطريق التوسط بين الخلق^(٩) في الخصومات عند انكبابهم على الشهوات ، فذلك أيضًا بعد الفراغ من هذه المهام من جملة فروض الكفايات .

فان دعك نفسك الى ترك ما ذكرناه من الاوراد والاذكار استثنالا بذلك ، فاعلم أن الشيطان اللعين قد دس في^(١٠) قلبك الداء الدفين ، وهو

(٧) ج : أكلوا .

(٨) أ ، ج : أخذ أموال السلاطين .

(٩) ب ، ج : وصرف .

(١٠) ج : زيادة والسياسة .

(١١) أ ، ج : المناقضة .

(١٢) ج : سقطت في الكلام .

(١٣) انظر احياء علوم الدين ٦/٥٨ .

(١٤) ج : فاما فضل .

(١٥) ج : سقطت .

(١٦) ج : السى .

حب الجاه والمال ٠ فايألك أن تفتر به ف تكون ضحكة له ، فيهلكك ثم يسخر
 منك^(١٧) ٠ فان جررت نفسك مدة^(١٨) في الاوراد والعبادات^(١٩) ،
 فكانت لا تستقلها كسلا عنها ، لكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع
 ولم ترد به الا ووجه الله تعالى ، والدار الآخرة^(٢٠) ، فذلك أفضل من
 نوافل العبادات^(٢١) مهما صحت النية ، ولكن الشأن في صحة النية ٠
 فان^(٢٢) لم تصح النية فهي معدن غرور الرجال ومزلة اقدام الرجال ٠

الحالة الثانية : أن لا تقدر على تحصيل العلم النافع^(٢٣) في الدين ،
 لكن تستغل بوظائف العبادات من الذكر والتسبيح القراءة والصلوة ،
 فذلك من درجة العابدين ، وسير^(٢٤) الصالحين ، وتكون أيضاً بذلك
 من الفائزين ٠

الحالة الثالثة : أن تشتبغل بما يصل^(٢٥) منه خير المسلمين ،
 يدخل به سرور على قلوب المؤمنين ، أو تيسر به الاعمال الصالحة
 للصالحين ، كخدمة الفقهاء ، والصوفية ، وأهل الدين ، والتردد في
 أشغالهم ، والسعى في الطعام الفقراء والمساكين ، والتردد مثلاً على المرضى
 بالعيادة ، وعلى الجنائز بالتشييع ٠ فكل ذلك أفضل من النوافل ، فان هذه
 عبادات وفيها رفق المسلمين ٠

(١٧) ب ، ج : بك ٠

(١٨) ج : مررة ٠

(١٩) ج : زيسادة والأذكار ٠

(٢٠) ج : سقطت « والدار الآخرة » ٠

(٢١) ب : زيادة بعد فراغك من الفرائض والواجبات ٠

(٢٢) ب ، ج : سقطت « فان لم تصح النية » ٠

(٢٣) ب : سقطت « النافع في الدين » وفي ج : سقطت « في الدين » ٠

(٢٤) ب : ستن ٠

(٢٥) ب ، ج : بما توصل به خيراً ٠

الحالة الرابعة : ان لم تقوَ على ذلك فاشتغل بمحاجاتك اكتساباً على
نفسك أو على عيالك ٠ وقد سلم المسلمون منك وأمنوا من لسانك ويدك ٠
وسلم لك (٢٦) دينك ، اذ لم ترتكب معصية فتلال به (٢٧) درجة أصحاب
اليمين ، ان لم تكن (٢٨) من أهل الترقى الى مقامات السابقين ٠ فهذا أقل
الدرجات في مقامات الدين ، وما بعد هذه (٢٩) فهو من مراثم الشياطين ٠
وذلك بأن تشقق العياذ بالله بما يهدم دينك ، أو توؤدي عبداً من عباد الله
 بهذه رتبة الهاكلين ٠ فايالك (٣٠) أن تكون في هذه الطبقة ٠ واعلم أن العبد
في حق دينه على (٣١) ثلاث درجات : أما سالم وهو المقصر على أداء
الفرائض وترك المعاشي ٠ أو رابح وهو المتطوع بالقربات والتوافف ٠ أو
خاسر وهو المقصر عن اللازم ٠ فان لم تقدر أن تكون رابحاً ، فاجتهد
أن تكون سالماً ٠ واياك ثم (٣٢) ايالك أن تكون خاسراً ٠ والعبد في حق
سائر العباد له ثلاث درجات :

الاولى : أن ينزل (٣٣) في حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة ٠
وهو أن يسعى في أغراضهم رفقاً بهم وادخال السرور (٣٤) على قلوبهم ٠
الثانية : أن ينزل في حقهم منزلة البهائم والجمادات ٠ فلا ينالهم
خيره ولكن يكف عنهم شره ٠

(٢٦) ب : منك ٠

(٢٧) ج : بذلك ٠

(٢٨) ب : يمكن من الترقى ٠

(٢٩) ب : ذلك ٠

(٣٠) ب : زيادة يا مسكنين ٠

(٣١) ب : سقطت « على ثلاث درجات » ٠

(٣٢) ب : سقطت « ثم ايالك » ٠

(٣٣) ج : زيادة تفسه ٠

(٣٤) ج : إدخالاً للسرور ٠

الثالثة : أن ينزل في حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع
 الضاريات لا يرجى خيره ويقى (٣٥) شره ° فان لم تقدر أن تلتحق بأفق
 الملائكة ، فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم (٣٦) والجمادات إلى مراتب
 العقارب والحيات والسباع (٣٧) الضاريات ° فان رضيت لنفسك التزول
 من أعلى علية فلا ترضى لها بالهوى إلى أسفل الساقفين (٣٨) ° فلعلك
 تتجوّل كفافاً لا لك ولا عليك ° فعليك في بياض نهارك أن لا تستغل إلا بما
 ينفعك في معادك أو معاشك الذي لا تستغلي عنه وعن الاستعانت به (٣٩) °
 فان عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكتت لا تسلم ،
 فالعزلة أولى لك ، فعليك بها فيها النجاة (٤٠) والسلامة ° فان كانت
 الوساوس في العزلة تجاذبك إلى ما لا يرضي الله تعالى ، ولم تقدر على
 قمعها بوظائف العبادات ° فعليك بالنوم فهو أحسن أحوالك وأحوالنا ° اذ
 عجزنا عن القناعة فرضينا بالسلامة في الهزيمة ° فما (٤١) أحسن حال من
 سلامه دينه في تعطيل حياته ° اذ (٤٢) النوم أخو الموت وهو تعطيل الحياة
 والتحاق بالجمادات °

(٣٥) ج : ولا يتقى °

(٣٦) ب : سقطت °

(٣٧) ب ، ج : سقطت « المسباع الضاريات » °

(٣٨) ج : زيادة فاجتهد لنفسك °

(٣٩) ج : زيادة على معادك °

(٤٠) ب : سقطت °

(٤١) ب : وأحسن يحال من سلامه حياته في تعطيل حياته °

وفي ج : وأحسن يحال من سلامته في تعطيل حياته °

(٤٢) ج : سقطت الى قوله : والتحاق بالجمادات °

آداب الاستعداد لسائر الصلوات

ينبغي أن تستعد قبل الزوال لصلوة الظهر فتقسم الفيولة ان كان ملك قيام في الليل أو^(١) سهر في الخير ، فإن فيها معونة على قيام الليل ، كما أن في السحور معونة على صيام النهار ، والفيولة من غير قيام بالليل كالسحور من غير صيام بالنهار ، فإذا قيلت^(٢) فاجتهد أن تستيقظ قبل الزوال وتوضاً وتحضر المسجد وتصلی تحيۃ^(٣) المسجد ، وتنتظر المؤذن فتحيه ثم تقوم فتصلي أربع ركعات عقب الزوال ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي لهن ويقول : (هذا وقت تفتح فيه أبواب السماء فأحب أن يرفع لي فيه عمل صالح^(٤)) .

وهذه الأربع قبل الظهر سنة مؤكدة ففي الخبر (أن من صلاهن فاحسن رکوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له الى الليل)^(٥) . ثم تصلي^(٦) الفرض مع الامام . ثم تصلي^(٧) بعد الفرض ركعتين^(٨) ، فهما من الرواتب الثابتة . ولا تستغل الى العصر الا

(١) ب ، ج : و .

(٢) ج : سقطت « فإذا قيلت » .

(٣) ب ، ج : التحية .

(٤) ب : سقطت « صالح » والحديث رواه الخمسة بلغط « من حافظ على أربع قبل الظهر ، وأربع بعدها حرمه الله على النار » بلوغ المaram ص ٦٤ ، أبو داود رقم ١٣٦٩ ، ابن ماجة رقم ١١٦٠ ، الترمذى رقم ٢٢٧ .

(٥) ورد الحديث في إحياء علوم الدين عن أبي هريرة ، قال العراقي لم أره من حديث أبي هريرة . المختنى ١٩٣ / ١ .

(٦) ب ، ج : صل .

(٧) ب ، ج : صل .

(٨) عن ابن عمر قال « صلیت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر سجدةتين وبعدها سجدةتين ، وبعد المغرب سجدةتين ، وبعد العشاء سجدةتين ، وبمقدار الجمعة سجدةتين ، فاما المغرب والعشاء والجمعة ، فصلیت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيته » مسلم رقم ٧٢٩ ، البخاري رقم ٥٤٥ .

يتعلم علم ، أو اعانة مسلم ، أو قراءة قرآن ، أو سعي في معاش تستعين به على دينك . ثم تصلِّي أربع ركعات قبل العصر وهي سنة مؤكدة . فقد قال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (رَحْمَةُ اللَّهِ أَسْرَاءً) صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٩) . فاجتهد أن ينالك (١٠) دعاؤه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ولا تستغل بعد العصر إلا بمثيل ما سبق قبْلِه . ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مهملة فتشغل في كل وقت بما اتفق وكيفما (١١) اتفق ، بل ينبغي أن تحاسب نفسك وترتب أورادك (١٢) ووظائفك في ليلك ونهارك . وتعين لكل وقت شغلا لا تتعاده ولا تؤثر (١٣) فيه سواه . فبذلك (١٤) تظاهر بركة الأوقات .

فَمَا إِذَا (١٥) ترَكَتْ نَفْسَكَ سَدِيْ مَهْمَلاً اهْمَالَ الْبَهَائِمِ لَا تَدْرِي بِمَا ذَرَتْ
تَشْغُلَ فِي كُلِّ وَقْتٍ فَيَنْقُصُكَ أَكْثَرُ أَوْقَاتِكَ خَلَائِهَا . وَأَوْقَاتِكَ عَمَرِكَ .
وَعَمَرِكَ (١٦) رَأْسُ مَالِكٍ وَعَلَيْهِ تِجَارَتُكَ . وَبِهِ وَصُولُوكُكَ إِلَى نَعِيمٍ دَارَ (١٧)
الْأَبْدِ فِي جَوَارِ اللَّهِ تَعَالَى . فَكُلِّ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِكَ جُوهرَةٌ لَا قِيمَةَ لَهَا . إِذ
لَا بَدْلُ لَهُ . فَإِذَا فَاتَ فَلَا عُودُ لَهُ . فَلَا تَكُنْ كَالْحَمْقَى الْمُغْرُوبِينَ الَّذِينَ
يَفْرَحُونَ كُلَّ يَوْمٍ بِزِيادةِ أَمْوَالِهِمْ مَعَ نَقْصَانِ أَعْمَارِهِمْ . فَأَيُّ خَيْرٍ فِي مَالٍ
يُزِيدُ وَعِمْرٍ يَنْقُصُ وَلَا تَفْرَحُ إِلَى بِزِيادةِ عِلْمٍ ؟ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ (١٨) فَإِنَّهُمَا

(٩) رواه أبو داود رقم ١٢٧١ ، والترمذمي رقم ٤٣٠ وقال غريب حسن .

(١٠) ج : يتناولك .

(١١) ب ، ج ، كيف .

(١٢) ب ، ج : سقطت .

(١٣) ب : تسودع .

(١٤) ب ، فبه . وفي ج : فيه تظاهر بركرة العمر .

(١٥) ب ، ج : وأما من ترك نفسه .

(١٦) ج : وأوقاتك وعمرك .

(١٧) ب ، ج : سقطت .

(١٨) ج : سقطت .

رفيقك يصحبك في القبر ، حيث يتخلص عنك أهلك ومالك وولدك وأصدقاؤك . ثم اذا اصفرت الشمس فاجتهد أن تعود الى المسجد قبل الغروب وتشغل بالتبسيح والاستغفار فان فضل هذا الوقت كفضل ما قبل الطلع (١٩) . قال الله تعالى : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) (٢٠) .

وافرأ قبل عروب الشمس : والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والموذين ولتغرب عليك الشمس وأنت في الاستغفار . فإذا سمعت الاذان فاجب . وقل بعده : (اللهم اني أسألك عند اقباسك ليتك وادبار نهارك وحضور حملاتك وأصوات دعائك أن تؤتي مهدياً الوسيلة والفضيلة) (٢١) والشرف والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته انك لا تختلف الميعاد) والدعاء كما سبق . ثم صل الفرض بعد جواب المؤذن (٢٢) والاقامة ، وصل بعده ركعتين قبل أن تكلم فهما راتبة (٢٣) المغرب . وان صليت بعدهما أربعاء (٢٤) فهي أيضاً سنة . وان أمكنك أن تستوي الاعتكاف الى العشاء (٢٥) وتحمي ما بين العشاءين بصلوة (٢٦) . فقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وهي ناشئة الليل لانها أول نشأة (٢٧) وهي صلاة الاولى بين . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المصالح) (٢٨) فقال : (هي الصلاة ما بين

(١٩) ج : طلوع الشمس .

(٢٠) ط : ١٣٠ .

(٢١) ب ، ج : سقطت الى قوله « والماء كما سبق » .

(٢٢) ج : سقطت .

(٢٣) ا : راتبنا .

(٢٤) ب : سقطت ، وفي جي : أربعاً تطولهما فهما أيضاً .

(٢٥) ج : زيادة الآخرة .

(٢٦) ب ، ج : بالصلاحة .

(٢٧) ا : نشأة .

(٢٨) المسجدية ١٦ .

العشاءين ، أنها تذهب بملائكت أول النهار وتهذب آخره)٢٩(.
 والملائكت جمع ملأة وهي من اللغو . فإذا دخل وقت العشاء فصل أربع ركعات قبل الفرض أحياء لما بين الآذانين ففضل ذلك كثير . وفي الخبر أن الدعاء ما بين الآذان والإقامة لا يرد)٣٠(. ثم صل الفرض وصل الراتبة ركعتين . واقرأ فيما سورة آلم (السجدة) وتبarak (الملك) أو سورة (يس) و (الدخان) فذلك مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وصل بعده أربع ركعات ، ففي الخبر ما يدل على عظم فضلهن)٣١(. ثم صل الوتر بعدها)٣٢(ثلاثة تسليمتين)٣٣(أو تسليمية واحدة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فيما (سبع اسم

(٢٩) رواه أبو منصور الديلمي في مسنده الفردوس من روایة اسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش ، حدثنا أبو العلاء العنبري عن سليمان قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلة بين العشاءين فانها تذهب بملائحة أول النهار ومهذبة آخره » واسماعيل هنا متroxك يضع الحديث . قال الدارقطني واسم أبي زياد مسلم ، وقد اختلف فيه عن الأعمش ، المغني ٤١١ .
 والحديث عند الترمذى بلفظ « نزلت في انتظار الصلاة التي تنسى العتمة » الترمذى رقم ٣١٦ .
 رواه أبو داود رقم ١٣٢١ بلفظ « كانوا يتيقضون ما بين المغرب والعشاء يصلون » وكان الحسن يقول : قيام الليل .

(٣٠) رواه أبو داود رقم ٥٢١ ، الترمذى رقم ٢١٢ .
 (٣١) عن عائشة رضي الله عنها قالت « ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل على إلا صلى أربع ركعات ، أو سنت ركعات » رقم ١٣٠٣ .

(٣٢) ب : بعده .

(٣٣) ب : زيادة ، بتشهيدين وتسليمية كالمغرب ، وقال الشافعى رحمة الله بتسليمتين أو بتسليمية واحدة . ثم تقدت في الثالثة قبل الركوع في جميع السنة . وعند الشافعى تقدت في النصف الأخير من رمضان في الركعة الثالثة في الوتر بعد الركوع ، ولا يقنت فيه في غير رمضان .

ربك الاعلى) و (قل يا أيها الكافرون) و (الاخلاص) و (المعوذتين)^(٣٤) .
 فان كنت عازماً على قيام الليل ، فآخر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل
 وترًا^(٣٥) . ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرة علم ، أو مطالعة كتاب . ولا
 تستغل باللهو واللعب^(٣٦) فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك ، فان
 للاعمال بخواتيمها .

١٧١

ب : سقطت ، والحديث رواه أبو داود رقم ١٤٢٣ ، وابن ماجة

(٣٤) ب ، ج : سقطت .

(٣٥) ب : سقطت .

[آداب النوم]

فإذا أردت النوم فابسط فراشك مستقبلاً للقبلة^(١) ، ونم على يمينك
كما يتضجع^(٢) الميت في لحده ، واعلم أن النوم مثل الموت ، واليقظة مثل
البعث ، ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك ، فكن مستعداً للقائه ، بأن
تلام على طهارة ، وتكون وصيتك^(٣) تحت رأسك^(٤) ، وتنام تائباً من
الذنوب ، مستغراً عازماً على^(٥) إن لا تعود إلى مهضمية ، وأعزم^(٦) على
الخير لجميع المسلمين أن يبعثك الله تعالى ، وتدكر أنك ستضجع في اللحد ،
كذلك وحيداً فريداً ليس معك إلا عملك ، ولا تجزي إلا بسيفك ، ولا
 تستجلب النوم تكلفاً بتمهيد الفرش الوطية^(٧) ، فإن النوم تعطيل الحياة ،
 إلا إذا كانت يقظتك وبالاً عليك فنومك سلامه لدینك ، واعلم أن الليل
 والنهر اربع وعشرون ساعة ، فلا يكن نومك بالليل والنهر أكثر من ثمان
 ساعات^(٨) ، فـ يـ كـيفـ يـكـفـيـكـ انـ عـشـتـ مـثـلـ مـسـيـنـ سـنةـ ،ـ انـ تـضـيـعـ عـشـرـينـ سـنةـ
 منها ، وهو ثلث^(٩) عمرك ، وأعد عند النوم سواكك وطهورك وأعزز على
 قيام الليل ، أو على القيام قبل الصبح ، فركعتان في جوف الليل كنز^(١٠)
 من كنوز البر ، فاستكثر من كنوزك ليوم فرقك ، فلن^(١١) تقني عنك
 كنوز الدنيا إذا مت ، وقل عند نومك (باسمك ربى وضعت جنبي

(١) ج : مستقبلاً للقبلة .

(٢) ج : يوضع .

(٣) ج : زيادة مكتوبة .

(٤) ب : وسادتك .

(٥) ب : سقطت .

(٦) ب : وانور الخير لجميع المسلمين .

(٧) أ : الواطئة .

(٨) ج : زيادة ، وهي الثالث .

(٩) ب ، ج : الثالث .

(١٠) ب ، ج : كنزان .

(١١) ج : فليس .

وباسمك ارفعه فاغفر لي ذنبي ° اللهم قني عذابك يوم تبعث ^(١٢) عبادك °
 اللهم باسمك احيا وأموت ^(١٣) وأغودك بك اللهم من شر كل ذي شر
 ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ^(١٤) ° اللهم أنت الاول فليس قبلك
 شيء ° وأنت الآخر فليس بعده شيء ^(١٥) ° وانت الظاهر فليس فوقك
 شيء ° وأنت الباطن فليس دونك شيء ° اللهم أنت خلقت نفسي وانت
 تتوافقها ، لك محياتها ومماتها ° ان أمتها فاغفر لها ° وان أحبتها فاحفظها
 بما ^(١٦) تحفظ به عبادك الصالحين ° اللهم اني اسألك العفو ^(١٧)
 والعافية ° اللهم أيقظني في أحب الساعات اليك ° واستعملني بأحب الاعمال
 اليك حتى تقربني اليك زلفي ° وتبعدني عن ^(١٨) سخطك بعدها ^(١٩) ،
 أسألك فتعطيني ° واستغفرك فتغفر لي ° وادعوك فستجيب لي) ° نعم
 اقرأ (آية الكرسي) و (آمن الرسول) الى ^(٢٠) آخر السورة ° و
 (الاخلاص) و (المعوذتين) وسورة تبارك (الملك) ° ولیأخذك النوم وانت
 على ذكر الله وعلى الطهارة ° فمن فعل ذلك عرج بروحه الى العرش ،
 وكتب مصلیاً الى أن يستيقظ ° فإذا استيقظت فارجع الى ما عرفتك ^(٢١)
 أولاً ° ودام على هذا الترتيب بقية عمرك ° فان شئت عليك المداومة ،
 فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظاراً للشفاء ° وتفكر في قصر
 عمرك ° وان عشت مثلاً مائة سنة فهی قليلة بالإضافة الى مقامك في الدار

(١١) ج : تجتمع °

(١٢) ج : وباسمك أموت اللهم اني °

(١٤) أ : زيادة ، ان ربى على صراط مستقيم °

(١٥) ج : سقطت الى قوله اللهم أنت °

(١٦) ج : سقطت الى قوله اللهم اني °

(١٧) ب : سقطت °

(١٨) ج : من °

(١٩) ألبعة بخداد : بعد ان °

(٢٠) ب : سقطت الى قوله والمعوذتين °

(٢١) ب : عرفته °

الآخرة وهي أبد الآباد ٠ وتأمل انك كيف تحمل المشقة والذل في طلب
 الدنيا شهراً او سنة ، رجاء أن تستريح بها عشرين سنة مثلاً ، فكيف
 لا تحمل ذلك أياماً قائلٍ ، رجاء الاستراحة أبد الآباد ٠ ولا تطول أمليك
 فيشغل عليك عملك ٠ وقدر^(٢٢) قرب الموت ، وقل في نفسك اني اتحمل
 المشقة اليوم ، فلعلني اموت الليلة ، وأصبر الليلة فلعلني اموت غداً ٠ فان
 الموت يهجم لا^(٢٣) في وقت مخصوص ، وحال مخصوص ، وسنن
 مخصوص ، ولا^(٢٤) بد من هجومه ، والا^(٢٥) سعداد له أولى من
 الاستعداد للدنيا ٠ وانت تعلم أنك لا تبقى فيها الا مدة يسيرة ، ولعله لم
 يبق من أجلك الا يوم^(٢٦) واحد ، او نفس واحد ٠ فقدر^(٢٧) هذا في
 قبلك كل يوم ٠ وكل نفسك الصبر على طاعة الله يوماً فيوماً ، فانك
 لو قدرت البقاء خمسين سنة ، والزتمتها الصبر على طاعة الله تعالى ، نفرت
 واستصعبت^(٢٨) عليك ٠ فان فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحاً لا آخر
 له ٠ وان سوت وتساهلت جاءك الموت في وقت لا تختبه ، وتحسرت
 تحسراً لا آخر له ٠ وعند الصباح يحمد القوم السرى ٠ وغضد^(٢٩)
 الموت يأتيك الخبر اليقين ٠ ولتعلمن بناءً بعد حين ٠ واذا ارشدناك الى
 ترتيب الاوراد ، فلنذكر لك كيفية الصلاة والصوم وآدابهـما ، وآداب
 الامامة و^(٣٠) القدوة والجماعة^(٣١) والجمعة ٠

(٢٢) ج : وقل ٠

(٢٣) ب ، ج : لا يهجم في ٠

(٢٤)

أ : فلا بد ٠

(٢٥) أ : فالاستعداد ٠

(٢٦) ب ، ج : نفس او يوم ٠

(٢٧) ب : فقرب ، وفي ج : فقرر ٠

(٢٨) أ ، ج : استصعبت ٠

(٢٩) ب ، ج : سقطت العيارة ٠

(٣٠) أ ، ج : سقطت ٠

(٣١) ج : سقطت ٠

آداب الصلاة

فإذا فرغت من طهارة الخبرت ، وطهارة الحدث ، في البدن والثياب والمكان ، ومن ستر العورة من السرة إلى الركبة ، فاستقبل القبلة فائضاً مفرجاً^(١) بين قدميك بحيث لا تضمهما . واستور قائمًا . ثم إقرأ (قل) أَعُوذ بِرَبِّ النَّاسِ) تحصناً بها من الشيطان الرجيم . واحضر قلبك^(٢) وفرغه من الوسواس . وانظر بين يدي من تقوم ، ومن تاجي . واستحر أن تاجي مولاك بقلب غافل ، وصدر مشحون بوسواس الدنيا ، وخيائلك الشهوات . واعلم أن الله تعالى مطلع على سريرتك ، ونظر إلى قلبك . فائما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك^(٣) وخشوعك^(٤) وتواضعك وتضرعك . واعبده في صلاتك كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك . فإن لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك وهذا لتصور معرفتك بجلال الله تعالى . فقد تر أن رجلا صالحاً من وجوه أهل بيتك ينظر إليك ليعلم كيف صلاتك . فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك . ثم ارجع إلى نفسك^(٥) فقل : (يا نفس السوء الاستحيحين من خالقك ومولاك ، اذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده اطلع^(٦) عليك ، وليس بيده نفعك ولا ضرك ، خشعت جوارحك وحسنت صلاتك . ثم إنك تعلمين أنه مطلع عليك ، ولا تخشين لظمته . فهو تعالى عندك أقرب من عبد من عباده . فما أشد طغيانك وجهمك ، وما اعظم عداوتك لنفسك) . فعالج قلبك بهذه الحيل ، فحساً أن يحضر معك في صلاتك . فإنه ليس لك من

(١) ب ، ج : مزاوجاً .

(٢) أ : زيادة ، ما أنت فيه ، وفي ب : عليه .

(٣) ج : سقطت .

(٤) ب : سقطت .

(٥) ج : زيادة ، وناقشهما .

(٦) ب : سقطلت .

صلاتك الا ما عقلته منها ، واما ما اتيت به مع الغفلة والسلهو ، فهو الى الاستغفار والتکفير احوج . فاذا حضر قلبك فلا تترك الاقامة وان كنت وحدك . وان انتظرت حضور جماعة ^(٧) غيرك ، فاذن ثم اقم ^(٨) . فاذا أقمت فانو وقل في قلبك : (أؤدي فرض الظهر لله تعالى) وليكن ذلك حاضراً في قلبك عند تکبيرك ^(٩) ، ولا تعزب عنك النية قبل الفراغ من التکبير ^(١٠) وارفع يديك عند التکبير بعد ارسالهما اولاً الى منكينك وهما ببساطة اصابعهما منشورة ، ولا تتكلف ضمهما ولا تثريجهما بجیث تحاذی بابهاميك شحمتي اذنيك وبرؤوس اصابعك أعلى اذنيك ، وبکفیك منكينك . فاذا استقرتا في مقرهما فکبر ثم ارسلهما برفق . ولا تدفع ^(١١) يديك عند الرفع والارسال الى قدمام دفعاً ، ولا الى خلف رفها ^(١٢) . ولا تفضهما يمينا ولا شمالاً . فاذا ارسلتهما فاستأنف رفعهما الى صدرك ^(١٣) . واگرم الیعنی بوضعها على اليسرى . وانشر اصابع اليمنى على ^(١٤)

(٧) ج : سقطت .

(٨) ب : زيادة ، ولو اكتفيت باذان الناس في البلد واقامتهم ، لا بأس به ، ولكن الاولى ان تأني بهما .

(٩) ج : تکبیرة الاحرام .

(١٠) ب : زيادة ، ثم اذكر ما نويت بقلبك باللسان ، قال بعض العلماء : ذلك سنة ، وقال بعضهم : ليس سنة ، وقال بعضهم : هو سنة مستحبة . وقيل : عند محمد واجب ، قياساً على الحج ، فان الحاج عنده ، ينبغي أن يقول باللسان ، بعد النية بالقلب : اللهم اني ازيرك الحج ، فيسره لي وتقبله مني .

(١١) ج : ترفع يدك .

(١٢) ج : سقطت .

(١٣) ب : تحت سرتک ، وقد لاحظت التحریف واضحاً ، الكلمة هي « صدرك » وقد حكت الصاد وحرفت الدال ، فاصبحت « تحت سرتک » وقد زاد بعدها : والمرأة ترفع حذاء هنکبها ، وتضع يدهما على صدرها ، وقال الشافعی : الرجل يضع كالمراة على الصدر .

(١٤) ب ، ج : في .

طلول ذراعك اليسرى ، واقبعن بها على كوعها . وقل بعد التكبير (الله
 اكبرَ كيْبِرَا والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة واصيلاً) . ثم اقرأ
 (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حينما مسلماً وما أنا من
 المشركين قل ان صلوتي ونسكي ومحياي وماتني لله رب العالمين لا شريك
 له) وبذلك أمرت وأنا من (^{١٥}) المسلمين (^{١٦}) . ثم قل (أعوذ بالله من
 الشيطان الرجيم) . ثم اقرأ (سورة الفاتحة) بتشديدها ، وأجهد في
 الفرق بين الصاد والفاء في (^{١٧}) قراءتك في الصلاة . وقال أمين (^{١٨}) ولا
 تصله بقولك ولا الضالين وسلاماً واجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء
 أعني الركعتين الاولتين ، الا أن تكون مأموراً واجهر بالتأمين . واقرأ في
 الصبح (^{١٩}) بعد الفاتحة من السور الطوال من المفصل . وفي المغرب من
 قصاته . وفي الظهر والمصر والعشاء من أوساطه ، نحو (والسماء ذات
 البروج) وما قاربها من السور . وفي الصبح في السفر (قل يا أيها
 الكافرون) و (قل هو اللهُ أَحَد) (^{٢٠}) ولا تصل آخر السورة بتكيرة

(^{١٥}) أ : أول .

(^{١٦}) ب : زيادة ، وعن أبي يوسف أن يضم إلى التسبيب التوجيه ،
 لرواية علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
 يقول ذلك . وقال أبو حنيفة ومحمد : روى أنس أن النبي صلى الله
 عليه وسلم كان إذا افتتح الصلاة كبر وقرأ سبعينك اللهم ان ،
 فلا يزيد على التكبير والتسبيب ، فمما روى محمول على التجھر ،
 ورواية وجل ثناؤك لم تذكر في المشاهير ، فلا يأتي به في الفرائض
 وصلات - وقال الشافعى : يجهر به إذا جھر بالفاتحة ، والمنفرد مخير
 في صلوات الجھرية ، والمغرب والعشاء والصبح ، بين الجھر والأخاء
 [ان كان مؤدياً ، ويختلفت ، وأن في الجھر استئذان غيره ، وأن في
 المخافتة استئذان نفسه هو الصحيح .]

(^{١٧}) ب ، ج : سقطت « في قراءتك في الصلاة » .

(^{١٨}) ب : زيادة ، سراً إماماً ومأموراً ومنفرداً .

(^{١٩}) ب : زيادة ، وفي الظهر .

(^{٢٠}) ب : زيادة ، وكراه أبو حنيفة وأصحابه ، توقيت سورة للصلاة ،
 أي تعين سورة للصلوة ، بحيث لا يقرأ فيها غيرها أبداً ، إلا تلك
 السورة .

الركوع ٠ ولكن افصل بينهما بمقدار قوله سبحانه (٢١) الله ٠ وكن في
 جميع قيامك مطروقاً فاصلآ نظرك (٢٢) على مصلاك ، فذلك أجمع
 لهمك (٢٣) واجدر لحضور قلبك ٠ واياك ان تلتفت يميناً او شمالاً في
 صلاتك ٠ ثم كبر للركوع وارفع يديك كما سبق ٠ ومد التكبير الى انتهاء
 الركوع ٠ ثم ضع راحتيك على ركبتيك (٢٤) وأصابعك (٢٥) متشورة ، وانصب
 ركبتيك ، ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويآ كالصفيحة الواحدة ٠ وجاجف
 مرفقيك عن جنبيك والمرأة لا تفعل ذلك بل تضم بعضهما الى بعض ٠ وقل
 (سبحان رب العظيم وبحمده) ثلاثة ٠ وان كنت متفرداً ، فالزيادة الى
 السبع والعشر (٢٦) حسن ٠ ثم ارفع (٢٧) رأسك حتى تعتدل قائمآ ٠ وارفع
 يديك قائلآ (سمع الله من حمده) ٠ فاذا استويت قائمآ (٢٨) فقل (ربنا لك
 الحمد ملء السموات وملء (٢٩) الارض وملء ما شئت من شيء بعد) ٠
 وان كنت في فريضة الصبح فاقرأ القنوت في الركعة الثانية (٣٠) في اعتدالك
 من الركوع ٠ ثم اسجد مكبراً غير رافع اليدين ، وضع أولاً على الارض
 ركبتيك ثم يديك ثم جبتيك مكشوفة . وضع انفك مع الجبهة ٠ وجاف
 مرفقيك عن جنبيك ، وأقل بطنه عن فخذيك ٠ والمرأة لا تفعل ذلك ٠
 وضع يديك على الارض حذو منكبيك ولا تفرش ذراعيك على الارض ٠
 وقل (سبحان رب الاعلى وبحمده) ثلاثة ، أو سبعاً أو عشرآ ان كنت

(٢١) أ : سقطت ٠

(٢٢) ب ، ج : الى ٠

(٢٣) ج : لهمك ٠

(٢٤) ج : سقطت الى قوله ومهـ ٠

(٢٥) ب : التسعة ٠

(٢٦) ب : ثم ارتفع حتى تستوي قائمآ ٠

(٢٧) ب : سقطت ٠

(٢٨) ب : سقطت ٠

(٢٩) ج : سقطت ٠

منفرداً ٠ ثم ارفع رأسك ^(٣٠) من السجود مبكراً حتى تبتعد جالساً ٠
 واجلس ^(٣١) على رجلك اليسرى وانصب قدمك اليمنى وضع يديك على
 فخذيك والاصابع مشورة ^(٣٢) ٠ وقل : (رب اغفر لي وارحمني
 وارزقني واهدني واجبرني واعفني واعف عنِي) ٠ ٠ ثم اسجد سجدة
 ثانية كذلك ٠ ثم اعتدل جالساً جلسة الاستراحة في كل ركعة لا تشهد
 عقبها ٠ ثم تقوم وتضع اليدين ^(٣٣) على الارض ولا تقدم احدى رجليك
 في حالة الارتفاع ٠ وابتدىء بتکير الارتفاع عند القرب من حد ^(٣٤)
 جلسة الاستراحة ومدها الى منتصف ارتفاعك الى القيام ^(٣٥) ولتكن هذه
 الجلسة جلسة خفيفة مختطفة ٠ وصل الركعة الثانية كالاولى وأعد التعوذ
 في الابداء ٠ ثم اجلس في الركعة الثانية للتشهد الاول ، وضع اليد اليمنى
 في جلوس التشهد على الفخذ الايمن مقبوسة الاصابع الا السبحة والا بهام
 فترسلهما ٠ وأشار بسبحة يمناك عند قولك (الا الله) لا عند (لا اله)
 وضع اليد اليسرى مشورة الاصابع على الفخذ اليسير ٠ واجلس على
 رجلك اليسرى في هذا التشهد كما بين المسجدتين ، وفي التشهد الاخير
 متوركاً ، واستكمل الدعاء المعروف المأثور بعد الصلاة على النبي صلى الله
 عليه وسلم ^(٣٦) ٠ واجلس فيه على وركك اليسير وضع رجلك اليسرى

(٣٠) ب ، ج : سقطت ٠

(٣١) ج : سقطت ٠

(٣٢) ب : زيادة ، وقال الشافعى : اذا قام من السجدة الاولى يقول ٠

(٣٣) ب : اليد ٠

(٣٤) ب ، ج : سقطت ٠

(٣٥) ب : قيامك ٠

(٣٦) ب : زيادة ، اللهم اغفر لي ما قدمت ، وما اخرت ، وما اسررت ،
 وما اعلنت ، وما اسرفت ، وما انت اعلم به مني ، انت المعلم ،
 وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ٠

خارجة من تحت وانصب^(٣٧) القسم يعني . ثم قل بعد الفراغ :
 (السلام عليكم ورحمة الله) مرتب من الجانيين . والتفت^(٣٨) بحيث
 يرى خدك من جانبيك . وأنو^ر الخروج من الصلاة وأنو^ر السلام على من
 حولك^(٣٩) من الملائكة وال المسلمين . وهذه هيصة صلاة المنفرد . وعماد
 الصلاة المضبوط وحضور القلب مع القراءة والذكر بالفهم . وقال
 الحسن البصري^(٤٠) رحمة الله تعالى : (كل صلاة لا يحضر فيها القلب
 فهي إلى العقوبة أسرع) . وقال صلى الله عليه وسلم : (إن العبد ليصلِّي
 الصلاة فلا يكتب له منها سدسها ولا عشرتها وإنما يكتب للعبد من صلاته
 بقدر ما عقل منها)^(٤١) .

(٣٧) ب : تنصيب .

(٣٨) ب : تتفتت .

(٣٩) ب : على من جانبيك .

(٤٠) هو الحسن البصري أبو سعيد الحسن بن يسار التابعي البصري
 الانصاري ، الإمام المشهور ، الجميع على عدالته في كل فن ، سمع
 ابن عمر ، وأنساً ، وسمرا ، وأبا بكر ، وغيرهم من الصحابة ،
 وسمع من كبار التابعين ، قال ابن سعد : كان الحسن جاماً عملاً
 رقيقة فقيها ثقة ، عابداً ، ناسكاً ، كثير العلم فصيحاً . توفي سنة
 ١١٠ هـ . أخبار القضاة ٢/٣ ، الحلية ٢/١٣١ ، طبقات الشعراني
 ٢٩/١ ، ميزان الاعتدال رقم ١٩٦٨ .

(٤١) رواه أبو داود رقم ٧٩٦ .

آداب الامامة والفقيدة

ينبغي للإمام أن يخفف الصلاة . قال أنس^(١) رضي الله تعالى عنه : ما صليت خلف أحد صلاة أخف ولا أتم من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) ولا يكبر ما لم يفرغ المؤذن من الإقامة وما لم تستو الصنوف ويرفع الإمام^(٣) صوته بالتكبيرات^(٤) ولا يرفع المأمور صوته إلا بقدر^(٥) ما يسمع نفسه . وينوي الإمام الامامة لبيان الفضل ، فإذا لم ينو صحت صلاة القوم اذا نووا الاقداء به^(٦) ونالوا فضل القدوة^(٧) . ويسر بدعاء الاستئذان والتعوذ^(٨) كالمفرد^(٩) . ويجهز بالفاتحة والسورة في جميس الصبح وأولتي المغرب والعشاء . وكذلك المفرد . ويجهز بقوله آمين في الجهرية وكذلك المأمور^(١٠) . ويقرن المأمور تأمينه بتأمين الإمام معًا

(١) هو أنس بن مالك بن النصر الانصاري الصحابي ، خصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فروى عنه الكثير ، توفي سنة ٥٩٣هـ . تذكرة الحفاظ رقم ٢٣ ، التهذيب النووي ١٢٨/١/١ .

(٢) رواه مسلم ٣٤٢/١ .

(٣) بـ : مسقطتـ .

(٤) بـ : زيادة ، ولا يقرأ المؤتم في شيء من الصلاة ، بل يستحب قريضتـ ، وقال مالك رحمة الله : يقرأ المؤتم الفاتحة في صلاة العظير والعصر ، ولا يقرأها في صلاة الجهر ، وقال الشافعـي رحمة الله : يقرأ في كل صلاة ، ولكن لا يرفع المأمور صوته .

(٥) بـ : قدرـ .

(٦) بـ : سقطتـ .

(٧) وقال أبو حنيفة وأصحابـه : لا تصح صلاة النساء ، اذا لم ينسوا الامام امامـهن ، ومنهـبـ كـنهـبـ الشافعـيـ فيـ هـذـهـ السـلـاـلةـ .

(٨) بـ : زرـادةـ وـالـبـسـمـلـةـ .

(٩) بـ : زيادة ، وقال الشافعـيـ يجهـزـ بـالـبـسـمـلـةـ فيـ صـلـاـةـ الجـهـرـيـةـ ،ـ فـيـ اـولـةـ كـلـ سـورـةـ ،ـ وـلـاـ يـجـهـزـ بـهاـ المؤـتمـ .

(١٠) بـ : زيادة ، خلافـاـ لـأـبـيـ حـنـيـفـةـ وـأـصـحـابـهـ فيـ السـلـاـلـتـيـنـ وـلـدـ مـرـتـ .

لا تعميأ له^(١١) . ويسكت الامام سكتة عقب الفاتحة ليثوب اليه نفسه . ويقرأ^(١٢) المأمور الفاتحة في الجهرية في هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام . ولا يقرأ المأمور السورة في الجهرية الا اذا لم يسمع صوت الامام . ولا يزيد الامام على ثلاثة في تسبيحات الركوع والسجود^(١٣) . ولا يزيد في الشهد الاول بعد قوله : اللهم صلي على محمد . ويقتصر في الركعتين الاخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ، ولا يزيد دعاءه في الشهد الاخير على قدر شهده وصلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وينوي الامام^(١٤) عند التسليم السلام على القوم . وينوي القوم بتسلیمهم جوابه ويلبث^(١٥) الامام ساعة بعدها^(١٦) يفرغ من السلام . ويقبل على الناس بوجهه . ولا يلتفت^(١٧) ان كان خلفه النساء لينصرفن اولا . ولا يقوم أحد من القوم حتى يقوم الامام .

وينصرف الامام^(١٨) حيث شاء عن يمينه او^(١٩) شماله ، واليمين احب اليه^(٢٠) . ولا يخص الامام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح ، بل

(١١) ب : سقطت .

(١٢) ج : سقطت الى قوله ، ولا يقرأ .

(١٣) ب : زيادة ، بحيث لا يمل القوم كيلا يؤدي الى تنفير الجماعة ، وعن سفيان : يقول الامام خمسا ، حتى يتمكن القوم من الثالث . وقال الشافعي : لا يزيد الامام على الثالث فيهما ، ولا يزيد في الشهد الاول بعد قوله عبده ورسوله ، وقال الشافعي .

(١٤) ب : سقطت .

(١٥) ب ، ج : يثبت .

(١٦) ب : سقطت .

(١٧) ب : يثبت .

(١٨) ج : سقطت « وينصرف الامام » .

(١٩) ب : ف .

(٢٠) ب : سقطت ، وفي ج : الى .

يقول . (اللهم اهدنا) ويجهر به . و يؤمن القوم ولا يرعنون أيديهم ^(٢١) ،
 اذ ^(٢٢) لم يثبت ذلك في الاخبار ، ويقرأ المأمور بقية القنوت ^(٢٣) من
 قوله : (انك تقضي ولا يقضى عليك) . ولا يقف المأمور وحده ، بل
 يدخل الصف او يجر الى نفسه غيره . ولا ينبغي للمأمور أن يتقدم على
 الامام في أفعاله او ^(٢٤) يساويه ، بل ينبغي أن يتاخر عنه . ولا يهوي
 للركوع الا اذا انتهى الامام الى حد الركوع ^(٢٥) . ولا يهوى للسجدة
 ما لم تصل جبهة الامام الى الارض .

^(٢١) ب ، ج : الابدي .

^(٢٢) ب ، ج : فلم .

^(٢٣) ج : سقطت « بقية القنوت » .

^(٢٤) ج : ولا .

^(٢٤) ج : ولا .

^(٢٥) ب ، ج : الرائعين .

آداب الجمعة

اعلم أن الجمعة عبد المؤمنين . وهو يوم شريف خص ^(١) الله عز وجل به هذه الأمة . وفيه ^(٢) ساعة مبهضة لا يوافقها عبد مسلم ^(٣) يسأل الله تعالى فيها حاجة إلا أعطاه ^(٤) إياها ^(٥) . فاستمد لها من يوم الخميس بتنظيم الثياب وبكثرة التسبيح والاستغفار عنية الخميس . فانها ساعة توازي في الفضل ساعة يوم الجمعة . وانور صوم يوم الجمعة ، لكن مع السبت أو الخميس ، اذ جاء ^(٦) في افرادها نهي . فاذا طمع عليك الصبح فاغسل . فان غسل يوم ^(٧) الجمعة واجب على كل محظى أي ثابت مؤكدا . ثم تزين بالثياب البيضاء فانها أحب الثياب الى الله تعالى . واستعمل من الطيب أطيب ما عندك . وبالبغ في تنظيف بدنك بالحلق والقص والتقطيم والسوالك وسائر أنواع النظافة وتنظيم الرائحة . ثم بكر الى الجامع واسمع اليه على الهيئة ^(٨) والسكنينة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : (من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنه) . ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة . ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشأ أقرن . ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب ^(٩) دجاجة . ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب ^(١٠) بيسنة) .

(١) ب : قوله خص ^(٦)

(٢) ب : وفيها .

(٣) ب : سقطت .

(٤) ب : أعطاه الله .

(٥) ب ، ج : سقطت .

(٦) ب ، ج : سقطت .

(٧) ب ، ج : سقطت .

(٨) أطعنة بعلماء : الهيئة .

(٩) ب : أهدى .

(١٠) ب : أهدى .

قال (١١) : (فإذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت القسلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر)^(١٢) . ويقال أن الناس في قربهم عند النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجماعة . ثم إذا دخلت الجامع فاطلب الصف الأول . فإن اجتمع الناس فلا تتحطط رقباً لهم ولا تمسر بين أيديهم وهم يصلون^(١٣) . واجلس بقرب حافظ أو استوانة حتى لا يمرون بين يديك . ولا تقدس حتى تصل إلى التحية . والاحسن أن تصل إلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بعد الثالثة (خمسين مرة سورة تصل إلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بعد الثالثة) (خمسين مرة سورة الأخلاص) . ففي الخبر (من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة)^(١٤) أو يرى له)^(١٥) . ولا ترك التحية وإن كان الإمام يخطب . ومن السنة أن تقرأ في أربع ركعات (سورة الانعام والكهف وطه ويس) . فان لم تقدر فسورة يس والدخان^(١٦) وألم (المسجدة) وسورة (الملك) ولا تدع قراءة هذه السور ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لم يحسن ذلك فليكتثر من قراءة سورة (الأخلاص) وأكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم خاصة . وإذا ما خرج الإمام فقطع الصلاة والكلام واشتبث بحواب المؤذن ثم باستماع الخطبة والانتظار بها ودع الكلام رأساً في الخطبة . ففي الخبر أن من قال لصاحبه والأمام

• (١١) ب ، ج : مسقطت .

(١٢) رواهخاري ، التجريدة الصريرج ١/٦٩ ، مسلم ٢/٥٨٢ .

(١٣) ب : مسقطت « وهم يصلون » .

(١٤) أخرجه الخطيب عن مالك من حديث إبان عمر ، وقال : غريب جداً .
المغني ١/١٨٧ .

(١٥) ب : زيادة ، وإذا صعد الخطيب المنبر حرم الصلاة والكلام ، حتى يتم خطبته ، وقال أبو يوسف : يجوز الكلام إلى أن يبتدىء الإمام بالخطبة . وقال الشافعي : يجوز الاشتغال بحوارب المؤذن ، ورد السلام ، وفي جواز الكلام روایتان عنه ، أحدهما كمانهينا ، هو الصحيح . وقال الشافعي .

(١٦) ب : لقمان والدخان .

يخطب (انصت)^(١٧) فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعة له^(١٨) 。 أى لأن قوله
 (انصت) كلام^(١٩) فيبني أن ينهى غيره بالإشارة لا باللفظ 。 ثم اقتد
 بالأمام كما سبق 。 فإذا فرغت وسلمت فاقرأ الفاتحة قبل أن تتكلم سبع
 مرات و (الأخلاص) سبعاً و (الموهدين) سبعاً سبعاً 。 فذلك يعصمك
 من الجمعة إلى الجمعة الأخرى ويكون حرزاً لك من الشيطان 。 وقل
 بعد ذلك : (اللهم يا غني يا حميد يا مبدى يا معيد يا رحيم يا ودود اغتنى
 بحلالك عن حرامك وبطاعتكم عن معصيتك وبفضلك عن سواك) 。 نعم
 صل^٢ بعد الجمعة ركتين أو أربعين أو ستة مثني مثني ، فكل ذلك مروي
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحوال مختلفة^(٢٠) 。 ثم لازم المسجد
 إلى المغرب أو إلى المصر وكن حسن المراقبة للساعة الشريفة فإنها مهمّة
 في جميع اليوم 。 فحسبيك أن تدركها وأنت خاشع لله متضرع 。 ولا تحضر
 في الجامع مجالس الحلق^(٢١) ولا مجالس القصاص ، بل مجلس العلم
 النافع ، وهو الذي يزيد في خوفك من الله تعالى وينقص من رغبتك في
 الدنيا 。 فكل علم لا يدعك من الدنيا إلى الآخرة فالجهل أعدك عليك منه 。
 فاستعد بالله من علم لا ينفع 。 وأكثر الدعاء عند طلوع الشمس ، وعند

(١٧) ب ، ج : أوصيه .

(١٨) رواه البخاري التجريدة الصرييع ٧٢/١ ، مسلم ٥٨٣/٢ ، ابن ماجة
 ١١١٠ ، أبو داود رقم ١١١٢ .

(١٩) ب : كلام لغو .

(٢٠) روى ابن ماجة رقم ١١٣١ « إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلّي
 بعد الجمعة ركتين » وروى رقم ١١٣٢ عن أبي هريرة « قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم اذا صليتم الجمعة فصلوا أربعين » .
 والترمذي رقم ٥٢١ ورقم ٥٢٣ ، وأبو داود رقم ١١٢٧ ، ورقم ١١٣١ ،
 ومسلم رقم ٨٨٢ ، ورقم ٨٨١ .

(٢١) أطبعة بغداد ، ب : المخلق ، وفي ج : ولا تحضر مكان الجامع للخلق .
 والحلق ، جمع حلقة ، روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « نهى أن يُعلّق في المسجد يوم الجمعة قبل الصلاة » ابن ماجة
 رقم ١١٣٣ .

الزوال ، وعند الغروب ، وعند الاقامة ، وعند صعود الخطيب المنبر ، وعند
قيام الناس الى الصلاة ، فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه
الاوقات . واجتهد أن تصدق في هذا اليوم بما تقدر عليه وان قل ، فتجمع
بين الصلاة والصوم والصدقة القراءة والذكر والاعتكاف والرباط (٢٢) .
واجعل هذا اليوم من الأسبوع خاصاً لآخرتك . فعساه أن يكون كفارة
لبقية الأسبوع .

٢٢) ب ، ج : سقطت .

آداب الصيام

لا ينبغي أن تقتصر على صوم رمضان . فتسرك التجارة بالتوافق وكسب الدرجات العالية في الفراديس^(١) . فتحسسر اذا نظرت الى الصائمين كما تنظر الى الكوكب الدرني ، وهم في أعلى علين . والایام الفاضلة التي شهدت الاخبار بفضلها وبشرفها^(٢) وبجزالة الشواب في صيامها : (يوم عرفة لغير الحاج^(٣)) . ويوم عاشوراء . والعشر الاول من ذي الحجة . والعشر الاول من المحرم . ورجب . وشهان) . وصوم الاشهر المحرم من الفضائل ، وهي . (ذو القعده . وذو الحجه . والمحرم . ورجب) . واحد فرد وثلاثة سرد . وهذه في السنة .

واما في الشهر : (قلول الشهر وأوسطه وأخره) .

والايات البيض . وهي : (الثالث عشر . والرابع عشر . والخامس عشر) .

واما في الاسبوع ، في يوم : (الاثنين) و (الخميس) و (الجمعة)^(٤) . فتكسر ذنوب الاسبوع بصوم^(٥) (الاثنين) و (الخميس) و (الجمعة)^(٦) وذنوب الشهر تكرر^(٧) باليوم الاول من الشهر ، واليوم الاوسط ، واليوم الآخر منه^(٨) « وصيام^(٩) الايام

(١) ب : الفردوس .

(٢) ب : سقطت .

(٣) ب : سقطت « لغير الحاج » .

(٤) ب : سقطت .

(٥) ج : اليوم .

(٦) ب : سقطت .

(٧) ج : سقطت .

(٨) ج : سقطت .

(٩) ب ، ج : سقطت .

البيض تکفر ذنوب السنة^(١٠) .

ولا تظن اذا حست أن الصوم هو ترك الطعام والشراب والوقاع فقط . فقد قال صلی الله عليه وسلم : (كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش)^(١١) ، بل تمام الصيام بكف الجوارح كلها عما يكره الله تعالى ، بل ينبغي أن تحفظ العين عن النظر الى المكاره ، واللسان عن النطق بما لا يعنك ، والاذن عن الاستماع الى ما حرم الله ، فان المستحب شرير القائل وهو أحد المحتابين^(١٢) . وكذلك تکف جميع الجوارح^(١٣) كما تکف البطن والفرج . ففي الخبر (خمس ينطرون الصائم : الكذب والغيبة والتغيبة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة)^(١٤) . وقال صلی الله عليه وسلم : (انا الصوم جنة) . فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يفسق ولا يجعل . فإن أمرؤ قاتله أو شاته فليقل اني صائم^(١٥) . ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال . ولا تستكثر فتزيد على ما تأكله كل ليلة لأجل صيامك^(١٦) فلا فرق إذا استوفيت ما تقتاد أن تأكله دفعة أو دفتين ، وإنما المقصود كسر شهوتك وتضعيف قوتك لتقوى بها على التقوى فإذا أكلت عشرة ما فاتك فقد تداركت به ما فاتك ضحوه ، فلا فائدة في صومك ، وقد ثبتت عليك^(١٧) محدثك . وما^(١٨)

(١٠) ج : زيادة ، بصيام هذه الأيام والأشهر المذكورة .

(١١) أخرجه التسائي وابن ماجة من حديث أبي هريرة ، المعني ٢٣٥/١

(١٢) ب : سقطت « وهو أحد المحتابين » .

(١٣) ج : زيادة ، مما حرم الله .

(١٤) أخرجه الأزدي في الضئفاء ، المعني ٢٣٤/١

(١٥) متفق عليه ، التجربة الصريحة ١٢١/١ ، مسلم ٨٠٧/٢ ، أبو داود

رقم ٢٢٦٣ .

(١٦) ب ، ج : سقطت « لأجل صيامك » .

(١٧) ب ، ج : على .

(١٨) ج : وما من .

وعاء أبغض إلى الله تعالى من بطن ملئ من حلال ، فكيف إذا كان من حرام^(١٩) ؟ فإذا عرفت معنى الصوم فاستكر منه ما استطعت فإنه أساس العبادات ، وفتاح التربات ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : (كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف ، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)^(٢٠) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (والذى نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) .

يقول الله عز وجل : (إنما يندر شهوته وطعامه وشرابه من أجلي فالصوم لي وأنا أجزي به)^(٢١) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون)^(٢٢) ، فهذا القدر من شرح الطاعات يكفيك في^(٢٣) (بداية الهدایة) فإذا احتجت إلى الزكاة وإلى الحج والعمر مزيد شرح الصلاة والصيام فاطلب مما^(٢٤) أوردناه في كتاب (أحياء علوم الدين) .

(١٩) ج : مما حرم الله .

(٢٠) متفق عليه ، التجريد الصريح ١/١٢١ ، مسلم ٢/٨٠٧ ، وابن ماجة رقم ١٦٣٨ .

(٢١) متفق عليه ، التجريد الصريح ١/١٢١ ، مسلم ٢/٨٠٧ ، ابن ماجة رقم ١٦٣٨ .

(٢٢) متفق عليه ، التجريد الصريح ١/١٢١ ، مسلم ٢/٨٠٨ ، ابن ماجة رقم ١٦٤٠ .

(٢٣) أ : من .

(٢٤) ج : فيما .

القسم الثاني

اعلم أن للدين شطرين^(١) : أحدهما ترك المنهي ، والآخر فعل
الطاعات ، وترك المنهي^(٢) هو الأشد ، فان الطاعات^(٣) يقدر عليها كل
أحد ، وترك الشهوات^(٤) لا يقدر عليه الا الصديقون . ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم : (المهاجر من هجر السماء ، والمجاهد من جاهد
هواء)^(٥) .

واعلم أنك إنما تعصي الله بجوارحك ، وهي نعمة منَّ الله بها
عليك ، وأمانة لديك ، فاستعاشك بنعمة الله على معصيته غاية الكفران ◦
وشتانك في أمانة استودعها^(٦) الله غاية الطغيان ◦

فأعضاءك رعاياك ، فانظر كيف ترعاها : (فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رسالته) . واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك في عرصات القيامة ، بلسان طلق ذلق (أي فضيح) تفضحك به على رؤوس الخلاة^(٧) . قال الله تعالى : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم

^{١٠} أطروحة بغداد : الدين شطران . بـ : شرطان ، جـ : للدين شرطان .

ح : سقطت « قرک المناھی » .

ب : فالطاعة ، ج : والطاعات .

ج : المنهي (٤)

(٥) رواه ابن ماجة بلفظ « المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والهاجر من هجر الخطايا والذنوب » رقم ٣٩٣٤ ، والحاكم ، المختني

• 190 /

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ب، ج : ملا الخلق .

بما كانوا يعملون^(٨) • وقال تعالى : (اليوم نختم على أفواههم ونكلمها أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون^(٩) • فاحفظ يا مسكيين^(١٠) جميع بذلك من المعاصي^(١١) وخصوصاً أعضاءك السبعة • فان جهنم لها سبعة أبواب لكل باب^(١٢) جزء مقسم • ولا يتعين لتلك الابواب الا من عصى الله بهذه الاعضاء السبعة^(١٣) • وهي : (العين ، والاذن ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل) •

[العين]

اما العين فانما^(١٤) خلقت لك لتهدي بها في الظلمات وتستعين بها في الحاجات^(١٥) • وتنظر بها الى عجائب ملوكوت الارض والسموات • وتعتبر بما فيها^(١٦) من الآيات • فاحفظها عن أربع^(١٧) : (أن تنظر بها الى غير محروم) ، (أو الى صورة مليحة بشهوة نفس) ، (أو تنظر بها الى مسلم بعين الاحتقار) ، (أو تطلع بها على عيب مسلم) •

[الاذن]

اما الاذن فاحفظها عن^(١٨) أن تصغي بها الى البدعة ، أو الفنية ، أو الفحش ، أو الخوض في الباطل ، أو ذكر مساوى الناس ، فانما^(١٩)

(٨) السور ٤٢ •

(٩) يس ٦٥ •

(١٠) ب ، ج : سقطت •

(١١) ج : سقطت •

(١٢) ب ، ج : زيادة ، منهم •

(١٣) ب : سقطت •

(١٤) ج : فانها •

(١٥) ج : على الطاغات وقضاء الحاجات •

(١٦) ج : فيهن •

(١٧) ب ، ج : ثلاث •

(١٨) ب : سقطت •

(١٩) ج : فانها •

خلقت لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحكمة أوليائه . وتتوصل باستفادة^(٢٠) العلم بها الى الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار رب العالمين ، فإذا أضفت بها الى شيء من المكاره ، صار ما كان لك عليك . وانقلب ما كان سبب فوزك ، سبب هلاكك . وهذا نهاية الخسران . ولا تظنن أن الامر يختص به القائل دون المستمع . ففي الخبر (أن المستمع شريك القائل وهو أحد المعتبرين)^(٢١) .

[اللسان]

وأما اللسان : فانما خلق لك لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه وترشد به خلق الله تعالى الى طريقه وظهور به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك . فإذا استعملته في غير ما خلق له فقد كفرت نعمة الله تعالى فيه . وهو أغلب أخطائك عليك وعلى سائر الخلق . ولا يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد أستهم . فاستظهر عليه بغاية قوتك حتى لا يكتب في قصر جهنم . وفي الخبر (أن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها أصحابه فيهوي بها في قعر جهنم سبعين خريفاً)^(٢٢) . وروي أنه قتل شهيد في المعركة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائل : (هنيئاً له بالجنة) . فقال صلى الله عليه وسلم : (وما يدريك ؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويدخل فيما لا يعنيه)^(٢٣) . فاحفظ لسانك من ثمانية^(٢٤) :

(٢٠) ج : باستفادتها الى الملك .

(٢١) غريب والمطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف « نهى رسول الله عن الفحية وعن الاستماع الى الغيبة » المغني ١/٢٣٥ .

(٢٢) رواه الشيخان والترمذى وقال حسن غريب ، المغني ٣/١١٧ .

(٢٣) أخرجه الترمذى من حديث أنس مختصراً ، وقال : غريب ، ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلغفته بسند ضعيف ، المغني ٣/١١٣ .

(٢٤) ج : زيادة ، أشياء .

الأول (الكذب) :-

فاحفظ منه لسانك في الجد والهزل ٠ ولا تعود لسانك الكذب هزلاً
فيدعوك (٢٥) إلى الكذب في الجد ، والكذب من أمهات الكبائر ، نعم إنك
إذا عرفت بذلك سقطت عدالتك والثقة بقولك ٠ وترديك الأعذين
وتحقرك ٠ وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك ، فانظر إلى كذب
غيرك وإلى نفرة نفسك عنه واستحقارك لصاحبه واستقباحك لما (٢٦) جاء
به ٠ وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك ٠ فانك لا تدرى قبيح (٢٧)
عيوبك من نفسك ، بل من غيرك فما استحبته من غيرك ، يستحبه (٢٨)
غيرك منك لا محالة ، فلا ترضي لنفسك ذلك (٢٩) ٠

الثاني (الخلف في الوعد)

فياك أن تعد بشيء ولا (٣٠) تفوي به (٣١) ، بسل يبني أن يكون
احسانك إلى الناس فصلاً بلا قول ٠ فان اضطررت إلى الوعد (٣٢) فياك
أن تخلف إلا لعجز أو ضرورة ، فان ذلك من امارات الفاق وخبائث
الأخلاق ٠ قال عليه الصلاة والسلام : (ثلاث من كنَّ فيه فهو منافق وان
صام وصلى (٣٣) : من اذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أتم
خان) (٣٤) ٠

(٢٥) ب : فيتداعى إلى الجد ٠

(٢٦) ب : له ، ج : لمن ٠

(٢٧) ب ، ج : قبيح ٠

(٢٨) ب : فليسستقيحة ، ج : فيستقيحة ٠

(٢٩) ج : بذلك ٠

(٣٠) ج لا و ٠

(٣١) ب : سقطت « ولا تفوي به » ٠

(٣٢) ج : القول بالوعده ٠

(٣٣) ج : وإن صل ٠

(٣٤) رواه البخاري ، التجريدة الصريح ١١/١ ، والنسائي ١١٧/٨ ٠

الثالث (حفظ المسان من الغيبة) :

قول (٣٥) الغيبة أشد من ملائين زينة في الاسلام ، كذلك ورد في الخبر (٣٦) ، ومعنى الغيبة أن تذكر انساناً بما يكرهه لو سمعه ، فأت (٣٧) مفتاح ظالم وان كت صادقاً ، واياك (٣٨) وغيبة القراء المرأتين وهو أن تفهم المقصود من غير تصريح ، فتقول : (أصلحه الله فقد (٣٩) ساعني وعنى ما جرى عليه فسأل الله تعالى أن يصلحنا واياه (٤٠)) فان هذا جمع (٤١) بين خسيان ، أحدهما الغيبة اذا (٤٢) بها حصل التفهم ، والآخر تزكية النفس والثاء عليها بالتحرج والصلاح ، ولكن ان كان مقصودك من قولك أصلحه الله الدعاء (٤٣) ، فادع له في السر ، وان اغتممت بسيبه فعلامته انك لا تزيد فضيحته واظهار عيوبه ، وفي اظهارك الغم بعيوب اظهار الغيبة (٤٤) ، ويكتفيك زاجرًا عن الغيبة قوله تعالى : (ولا يقتب بعضكم بعضاً أیحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) (٤٥) ، فقد

١: والغيبة ، ج: فالغيبة .

(٣٦) ج: سقطت «ورد في الخبر» وروي عن جابر وأبي سعيد قسلا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا ، فان الرجل يزني ويترى ، فيتوب الله عليه ، وإن صاحب الغيبة لا ينفر له حتى ينفر له صاحبه » أخرجه ابن أبي الدنيا في الصدقة وابن حبان في الضعفاء ، وابن مردوخ في التفسير . المفتي ١٤١/٣

(٣٧) ب : وأنت .

(٣٨) أ : فايها .

(٣٩) ب : وقد .

(٤٠) ب : سقطت .

(٤١) ج : يجمع .

(٤٢) ب ، ج : « اذا حصل بها التفهم » .

(٤٣) ج : زيادة ، الصالح .

(٤٤) ب : لعيوبه .

(٤٥) المحجرات ١٢ .

شيهوك الله باكل لحم الميتة ، فما أجدرك أن تحرز منها^(٤٦) ٠ ويسعك
 عن^(٤٧) غيبة المسلمين أمر لو تفكرت فيه ، وهو أن تنظر في نفسك هل
 قيلت عيب ظاهر أو باطن ؟ وهل انت مقارب معصية سراً أو جهراً ؟ فماذا
 عرفت ذلك من نفسك ، فاعلم ان عجزه عن التزه عما نسبته اليه كعجزك ،
 وعذره كعذرك ٠ وكما تكره ان تفتضح وتذكر عيوبك فهو ايضاً يكرهه
 فان سرته ستر الله عليك عيوبك ٠ وان فضحته سلط الله عليك السنة
 حداداً يمزقون عرضك في الدنيا ، ثم يفضحك الله في الآخرة على^(٤٨)
 رؤوس الخلاق يوم القيمة ٠ وان نظرت الى ظاهرك وباطنك فلم تطلع
 فيهما على عيب ونقص في دين ولا^(٤٩) دنيا ٠ فاعلم ان جهلك بعيوب
 نفسك أصبح أنواع الحماقة ٠ ولا عيب أعظم من الحُمُق ، ولو أراد الله
 بك خيراً لبصرك بعيوب^(٥٠) نفسك ، فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية
 غباؤك وجهلك ، ثم ان كنت صادقاً في ظنك فأشكر الله عليه ولا تنسده
 بشب الناس والتمضمض بأعراضهم ٠ فان ذلك من اعظم العيوب ٠

أيام (الشراء والجهال ومحنة الشهادة للناس في الدار) :-

كذلك فيه ايذاء للمخاطب ، وتجهيل له ، وطعن فيه ، وفيه ثناء على
 النفس ، وتركية لها بمزيد الفطنة والعلم ، ثم هو مشوش للعيش ٠ فانك
 لا تماري سفيهاً الا ويؤذيك ٠ ولا تماري حليناً الا ويقليلك ويحقد
 عليك ٠ فقد قال صلى الله عليه وسلم (من ترك المرأة وهو مبطل بنى الله
 له بيّناً في ربض الجنة ، ومن ترك المرأة وهو محق بنبي الله له بيّناً في أعلى

(٤٦) ب : تحرز منها ٠

(٤٧) أ : من ٠

(٤٨) ب : في الآخرة على الملا ٠

(٤٩) ب : سقطت ٠

(٥٠) ب : عيوب ٠

الجنة)^(٥١) ، ولا ينبغي أن يخدعك الشيطان ويقول لك اظهر الحق ولا تداهن فيه ، فان الشيطان أبداً يستجر)^(٥٢) الحمقى الى الشر في معرض الخير ، فلا تكن ضحكة)^(٥٣) للشيطان فيسخر منك)^(٥٤) فاظهارك الحق حسن مع من يقبله منك ، وذلك بطريق التصيحة في الخفية لا بطريق المماراة ، وللتصيحة صفة)^(٥٥) وهيئة و يحتاج فيها الى تلطف ، والا صارت تصيحة وكان فسادها اکثر من صلاحها ، ومن خالط)^(٥٦) متفقة العصر غلب على طبعه المرأة والجدال)^(٥٧) ، وعسر عليه الصمت ، اذ القوى اليه)^(٥٨) علماء السوء (ان ذلك هو الفضل ، والقدرة)^(٥٩) على الحاجة والمناقشة هو الذي يستدح به) ، ففر منهم فرارك من الاسد ، وأعلم أن المرأة سبب المقت عند الله وعند الخلق .

الخامس (تزكية النفس) :

قال الله تعالى : (فلا ترکوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى)^(٦٠)
وقيل لبعض الحكماء (ما الصدق القبيح ؟) فقال (ثناء المرأة على نفسه) .
فأياك ان تتمود ذلك . واعلم أن ذلك ينقص من قدرك عند الناس ، ويوجب مقتلك عند الله . فإذا)^(٦١) اردت ان تعرف ان ثناءك على نفسك لا يزيد

(٥١) أخرجه الترمذى وابن ماجة من حديث أنس ، وقال الترمذى : حسن
المتنسى ٤٧/١ .

(٥٢) ج : يسخر بالحمقى .

(٥٣) ج : مسخرة .

(٥٤) ب : بك فاظهار .

(٥٥) أ : صفة .

(٥٦) ب : خالطه .

(٥٧) ب ، ج : سقطت .

(٥٨) ب : عليهم العلماء السوء ، ج : إليهم أن ذلك .

(٥٩) ب ، ج : وأن القدرة على المجادلة والمناقشة .

(٦٠) التجم ٣٣ .

(٦١) ب ، ج : وإن .

في قدرتك عند غيرك فانظر الى اقرانك اذا اثروا على أنفسكم بالفضل والجاه والمال ^(٦٣) ، كيف يستكره قلبك عليهم ^(٦٤) ، ويستقله طبعك ، وكيف تذهبهم عليه اذا فارقهم ، فاعلم انهم أيضا في حال تركيتك لذنوبك ^(٦٥) يذمونك في قلوبهم ^(٦٦) ناجزا ، وسيظهر ونه بالذنوب اذا فارقهم .

السادس (اللعن) :

ياياك ان تلعن شيئاً مما خلق الله تعالى من حيوان او طعام او انسان بعينه ، ولا تقطع بشهادتك ^(٦٧) على أحد من أهل القبلة بشرك او كفر او نفاق ، فان المطلع على السرائر هو الله تعالى ، فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى ، واعلم انك يوم القيمة لا يقال لك (لم لم تلعن فلانا ؟ ولم سكت عنه ؟) ، بل لو لم تلعن ابليس طول عمرك ولم تشغل لسانك بذلك لم تسأله عنه ولم تطالب به يوم القيمة ^(٦٨) ، واذا لعنت أحدا ^(٦٩) من خلق الله تعالى طلبت به ^(٦٩) ولا تزمن شيئاً مما خلق الله تعالى ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يذم الطعام الرديء قط ، بل كان اذا اشتئي شيئاً اكله والا تركه ^(٧٠) .

(٦٢) ب : سقطت .

(٦٣) ب ، ج : سقطت .

(٦٤) ب : نفسك .

(٦٥) ب : بقلوبهم .

(٦٦) ب : شهادتك .

(٦٧) ب ، ج : سقطت « او لم تطالب به يوم القيمة » .

(٦٨) ب : سقطت « أحدهما من خلق الله تعالى » .

(٦٩) ب ، ج : زيادة ، وسئلته عنه .

(٧٠) روى ابن ماجة رقم ٣٥٩ ، عن أبي هريرة قال « ما عاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط . إن رضيه أكله ، وإن تركه »

ورواه أبو داود رقم ٣٧٦٣ .

السابع (الدعاء على الخلق) :

احفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى وان ظلمك بكل أمره الى الله تعالى . ففي الحديث (ان المظلوم ليذعن على ظالمه حتى يكتبه ثم يكون ^(٧١) للظالم فضل عنده يطالبه به يوم القيمة) .

وطول بعض الناس لسانه على الحجاج ؟ فقال بعض السلف (ان الله ليتقم للحجاج من يتعرض له بلسانه كما يتقم من الحجاج لمن ظلمه) .

الدعا في زرقة والستيرية واللاطحة وبالناس ،

واما المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس فاحفظ لسانك منه في الجد والهزل ^(٧٢) ، فإنه يريق ماء الوجه ، ويستقط المهابة ، ويستجر الوحشة ، ويؤذى القلوب ، وهو مبدأ التجاج ^(٧٣) والغضب والتصارع ، ويغرس الحقد في القلوب ، فلا تمازح احداً وان مازحوك ^(٧٤) فلا تجدهم وأعراض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، ولكن من الذين اذا سروا باللغو مروا كراماً ، فهذه مجتمع آفات اللسان ولا يعينك عليه الا العزلة او ملامحة الصمت ، الا بقدر الضرورة ، فقد كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يضع حبراً في فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة . ويشير الى لسانه ويقول : (هذا الذي اوردني الموارد كلها) . فاحذر منه فإنه أقوى اسباب هلاكك في الدنيا والآخرة ^(٧٥) .

(٧١) ب ، ج : يبقى .

(٧٢) ب ، ج : سقطت « في الجد والهزل » .

(٧٣) ب : التجاج والتصارع .

(٧٤) ب ، ج : مازحك غيرك فلا تجده .

(٧٥) ج : زيادة والله الموفق الى ذلك .

[البَطْنُ]

واما البطن فاحفظه من (٧٦) تناول الحرام والشبهة ° واحرص على طلب الحلال ° فإذا وجدته ° فاحرص على ان تقصر منه (٧٧) على ما دون الشبع ° فان الشبع يفسى القلب ° ويفسد الذهن ° ويبطل الحفظ ° ويقتل الاعضاء عن العبادة والعلم ° ويقوي الشهوات ° وينصر جنود الشيطان ° والشبع من الحلال مبدأ كل شر ° فكيف من الحرام ؟ وطلب الحلال فريضة على كل مسلم ° والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين ° فإذا قنعت في السنة بقميص خشن ° وفي اليوم والليل (٧٨) برغيفين من الخشكار (٧٩) ° وتركت التلذذ بأطيب الادم ° لن يعوزك من الحلال ما يكفيك ° والحلال كثير ° وليس عليك أن تيقن بواطن الامور بل عليك ان تحترز مما تعلم انه حرام ° أو تظن انه حرام ° ظن حصل من عالمة ناجزة مقرونة بالمال ° اما المعلوم فظاهر ° واما المظنون بعلامة فهو مال السلطان وعماله ° ومال من لا كسب له الا من النهاية ° أو يسع الخمر ° أو الربا ° أو المزامير وغير (٨٠) ذلك من آلات اللهو المحرمة ° فان (٨١) من علمت ان اكثر ما له حرام قطعاً ° وما (٨٢) تأخذ من يده وان امكن ان يكون حلالاً نادرآ فهو حرام ° لانه الغالب على الفتن ° ومن الحرام المغض ما يوكل من الاوقاف من غير شرط الواقف ° فمن لم يشتغل بالفقه فما يأخذ من المدارس حرام ° ومن ارتكب معصية (٨٣) ترد

(٧٦) ج : عن °

(٧٧) ب : سقطت °

(٧٨) ج : سقطت °

(٧٩) ب : الخشكار ° وهو ما طحن من حنطة ولم يخرج لحالته ° وقال في شرح مراقي العبودية : الرديء من كل شيء او من شعير ، ص ٦٦ °

(٨٠) ج : سقطت « وغير ذلك من آلات اللهو المحرمة » °

(٨١) ب ، ج : حتى علمت °

(٨٢) ج : مما °

(٨٣) ج : معصية كبيرة °

بها شهادته^(٨٤) ، فما يأخذه باسم الصوفية من وقف أو مبئرة^(٨٥)
وهو^(٨٦) حرام . وقد ذكرنا مداخل الشبهات والحلال والحرام في كتاب
مفرد من كتب احياء علوم الدين فعليك بطلبه . فان معرفة الحال وطلبه
وريضة على كل مسلم كالصلوات الخمس .

[الفرج]

واما الفرج فالحافظه عن^(٨٧) كل ما حرم الله تعالى . وكن كما قال
الله تعالى : (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت
أيامنهم فانهم غير ملومين)^(٨٨) . ولا تصل الى حفظ الفرج الا بحفظ
العين عن النظر ، وحفظ القلب عن الفكر ، وحفظ البطن عن الشبهة وعن
الشبع . فان هذه محركات الشهوة^(٨٩) ومغارسها .

[اليidan]

واما اليidan فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلماً ، أو تتناول بهما
ملا حراماً ، أو تؤذى بهما أحداً من المخلق ، أو تخون بهما^(٩٠) في
أمانة او وديعة ، أو تكتب بهما ما لا يجوز النطق به فان القلم أحد
المسانين . فاحفظ القلم بما يجب حفظ المسنان عنه^(٩١) .

٠ (٨٤) ب ، ج : الشهادة .

٠ (٨٥) أ : أو غيره .

٠ (٨٦) ج : سقطت .

٠ (٨٧) ب : على .

٠ (٨٨) المؤمنون ٥ .

٠ (٨٩) أ : للشهوة .

٠ (٩٠) ب : بهما مسلماً في أمانته أو وديعته .

٠ (٩١) ب ، ج : منه .

[الْجَلَانُ]

واما الرجال فاحفظهم عن أن تمشي بهما إلى حرام ، أو (٤٢) سعي بهما إلى باب سلطان ظالم (٩٣) فان المشي إلى السلاطين الظلمة من خير ضرورة وارهاق معصية كبيرة (١٤) ، فإنه تواضع لهم (٩٥) ، وأكرام لهم على ظلمهم (٩٦) . وقد أمر الله تعالى بالاعراض عنهم في قوله تعالى (ولا تركعوا إلى الذين ظلموا فتسكم النار) وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تصررون (٩٧) . وهو تكثير لسوادهم وإن كان ذلك لسبب طلب مالهم ، فهو سعي إلى حرام . وقد قال صلى الله عليه وسلم (من تواضع لغنى صالح لغناه ذهب ثلثا دينه) (٩٨) . وهذا في غنى صالح ، فما خلتك بالغنى الفظالم . وعلى الجملة فحر كاتك وسكناتك بأعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك ، فلا تحرك شيئا منها في معصية الله تعالى أصلا ، وواسع عملها في طاعة الله تعالى .

واعلم انك ان قصرت فعليك (٩٩) يرجع وباله ، وان (١٠٠)
شمرت (١٠١) فاليك تعود (١٠٢) ثمرته ، والله غني عنك وعن عملك ، وانما

- (٩٢) ب : و .
(٩٣) ب : سقطت .
(٩٤) ب : سقطت .
(٩٥) ب ، ج : سقطت .
(٩٦) ب ، ج : سقطت (على ظلمهم) .
(٩٧) هود ١١٣ ، في أطية بنداد : سقطت « وهو تكثير لسودتهم » .
(٩٨) الحديث موضوع ، انظر المعجم الصغير للطبراني ٢٥٧ / ١ ، الموضوعات
لابن الجوزي ١٣٩ / ٣ ، تنزية الشريعة ٣٠٣ / ٢ .
(٩٩) ب : فاليك .
(١٠٠) ج : أو .
(١٠١) ب : تشنمر .
(١٠٢) ج : سقطت .

(كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً) ^(١٠٣) . واباڭ ان تقول ان الله كريم رحيم يغفر الذنوب للمعاصي . فان هذه الكلمة حق أريد بها باطل ، وصاحبها ملقب بالحمافة بتلقيب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (الكيان من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والاحمق من اتبع نفسه هوها وتنسى على الله الامانى) ^(١٠٤) .

واعلم ان قولك هذا يضاهي قول من يريد أن يصير فقيها في علوم الدين من غير أن يدرس علمـا ^(١٠٥) ، واستغل بالبطالة وقال ان الله كريم رحيم قادر على ان يفيض على قلبي من العلوم ما افاضه على قلوب انيائه وأوليائه ^(١٠٦) من غير جهد وتكرار وتعلم ^(١٠٧) . وهو ^(١٠٨) كقول من يريد مالا فترك الحراثة والتجارة والكسب وتعطى وقال ان الله كريم رحيم ^(١٠٩) ، وله خزائن السموات والارض وهو قادر على أن يطلعني على ^(١١٠) كنز من كنوزه ^(١١١) استقني ^(١١٢) به عن الكسب ، وقد فعل ذلك بعض ^(١١٣) عباده . فأنـت اذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمدتهما وسخرت منهاـ ^(١١٤) وان كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقـاً وحقـاً . فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر في الدين اذا طلبت المعرفة

٣٨ - المثلث ^(١٠٣)

^(١٠٤) رواه ابن ماجة رقم ٤٦٠ ، والترجمة من حديث شداد بن أوس ، المغني ٣٧٩/٣ .

^(١٠٥) ب ، ج : سقطت « من غير أن يدرس علمـا » .

^(١٠٦) ب ، ج : سقطت .

^(١٠٧) ب : وتعليق .

^(١٠٨) ب : وهذا .

^(١٠٩) ب ، ج : سقطت .

^(١١٠) ب : سقطت .

^(١١١) ب ، ج : الكنوز .

^(١١٢) ج : الاستغنى .

^(١١٣) ب ، ج : ببعض .

^(١١٤) ب : بهما .

بغير سعي لهاها • والله تعالى يقول (وان ليس لالإنسان الا ما سعى) (١١٥) •
ويقول (انما تجزرون ما كتم تعملون) (١١٦) ويقول (ان الابرار لفسي
نعم وان الفسحار لفي جحيم) (١١٧) •

فإذا لم ترك السعي في طلب العلم والمال اعتماداً على كرمه ، فكذلك
لا ترك (١١٨) التزود للآخرة ، ولا تفتر فإن رب الدنيا والآخرة واحد
وهو فيهما كريم رحيم وليس يزيد له كرم بطاعتك (١١٩) ، وإنما كرمه في
أن ييسر لك طريق الوصول إلى الملك المقيم (١٢٠) والنعيم (١٢١) الدائم
المخلد بالصبر على ترك الشهوات أيام قلائل • وهذا نهاية الكرم فلا تحدث
نفسك بهلوسات البطاليين ، واقتدى بأولي العزم (١٢٢) والشهي من الآباء
والصالحين ، ولا تطمع في أن تحصد ما لم تزرع وليست من صام وصلى
وجاهد واتقى غفر له • فهو نعم جمل (١٢٣) ما ينبغي ان تحفظ عنه جوارحك
الظاهرة ، واعمال هذه الجوارح إنما تترشح من صفات القلب ، فإن أردت
حفظ الجوارح فعليك بتقطير القلب • فهو تقوى (١٢٤) الباطن والقلب هو
المضنة التي إذا صلحت صلح بها سائر الجسد وإذا فسدت فسد بها سائر
الجسد ، فاشتغل باصلاحه لتصلح به جوارحك وصلاحه (١٢٥) يكون
بملازمة المراقبة •

(١١٥) النجم ٢٩ •

(١١٦) الطور ٥٢ •

(١١٧) الانفطار ١٣-١٤ •

(١١٨) ج : سقطت •

(١١٩) ب : بموتك ، ج : بقولك •

(١٢٠) ب : القديم المخلد •

(١٢١) ج : سقطت « والنعيم الدائم » •

(١٢٢) ب ، ج : الحزم •

(١٢٣) ج : جملة •

(١٢٤) ب ، ج : التقوى •

(١٢٥) ب ، ج : سقطت « وصلاحه يكون بملازمة المراقبة » •

القول في معاصي(١) الشاب

اعلم ان الصفات المذمومة في القلب كثيرة وطريق تطهير القلب من رذائلها طويلة ، وسبيل العلاج فيها^(٢) نامض . وقد اندرس بالكلية علمه وعمله لغفلة^(٣) الخلق عن انفسهم وانتغالهم بزخارف الدنيا ، وقد استقصينا ذلك كله في كتاب (احياء علوم الدين) في رب المهلكات وربع المتجيات ، ولكننا نحذرك الان ثلاثة من خبائث القلب هي الغالية على متفقهه العصر لتأخذ منها حذرتك ، فانها مهلكات في انفسها ، وهي امهات لجملة من الخبائث سواها : وهي (الحسد) و (الرياء) و (العجب) . فاجتهد في تطهير قلبك منها ، فان قدرت عليها فتعلم كيفية الحذر من بقيتها من ربعة المهلكات ، فان عجزت عن هذا^(٤) فانت عن غيره اعجز . ولا تظنن انك^(٥) تسلم بنية صالحة في تعلم العلم وفي قلبك شيء من الحسد والرياء والعجب ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة مهلكات : شح ، مطاع ، وهوى) متبوعاً واعجب^(٦) المرأة بنفسه^(٧) .

[الحسد]

اما^(٨) الحسد فهو متشعب من الشح ، فان البخيل هو الذي يبخّل بما في يده على غيره ، والشحيح^(٩) هو الذي يدخل بنعمة الله وهي في

(١) ب : اجتناب العاصي .

(٢) ب ، ج : فيه .

(٣) ب : وانصحي اثره لغفلة .

(٤) ب : زيادة عن الحسد والرياء والعجب .

(٥) ب ، ج : انه يتسلم لك نية .

(٦) آخرجه البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بأسناد ضعيف . المغني ١٥/١ .

(٧) ب : فاما .

(٨) ب : سقطت « والشحيح هو » ، ج : سقطت الى قوله : وهي في خزان .

خزائن قدرته ^(٩) لا في خزائنه على عباد الله تعالى فسحه أعظم ، والحسود هو الذي يشمق عليه أنعام الله تعالى من خزائن ^(١٠) قدرته تعالى لا من خزائنه ^(١١) على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة في قلوب الناس أو حظ من الحظوظ حتى أنه ليحب زوالها عنه ^(١٢) وإن لم يحصل له بذلك ^(١٣) شيء من تلك النعمة فهذا متنه العجب ، فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار المحطب) ^(١٤) • والحسود هو المعدب الذي لا يرحم ولا يزال في عذاب دائم في ^(١٥) الدنيا ، فان الدنيا لا تخلو قط من خلق كثير من أقرانه ومحارفه من أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه فلا يزال في عذاب دائم ^(١٦) في الدنيا إلى موته ، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر ، بل لا يصل العبد إلىحقيقة الإيمان ما لم يحب لسائر ^(١٧) المسلمين ما يحب لنفسه بل يبني أن يساهم المسلمين في السراء والضراء ، فالMuslimون كالبنيان الواحد يشد بعضه ببعضه ، وكالجسد الواحد اذا اشتكتي منه عضو اشتكتي سائر الجسد ^(١٨) ، فان كنت لا تصادف هذا من قلبك فاشتغالك بطلب التخلص من الهلاك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات •

(٩) ب : قلمة الله •

(١٠) ب : خزانة •

(١١) ب ، ج : سقطت « لا من خزائنه » •

(١٢) ب : منه •

(١٣) ب ، ج : سقطت « بذلك شيء من تلك النعمة » •

(١٤) رواه أبو داود رقم ٤٩٠٣ ، وابن ماجة رقم ٤٢١٠ •

(١٥) ج : سقطت في الدنيا •

(١٦) ب : أليس دائم •

(١٧) ب : لأخيه ولسائر •

(١٨) ب ، ج : البين •

[الرساء]

واما الرياء فهو الشرك الخفي ، وهو أحد الشركين ، وذلك (١٩) طلبك المنزلة في قلوب الخلق لتنال بها (٢٠) الجاه والخشمة ، وحب المجهه من الهوى المتبوع (٢١) وفيه هلك أكثر الناس ، فما أهلك الناس إلا الناس ، ولو أنصف (٢٢) الناس حقيقة لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن أعمال العادات ، ليس يحملهم عليها إلا مراءة الناس ، وهي محطة للاعمال كما ورد في الخبر (أن الشهيد يؤمر به يوم القيمة إلى النار فيقول يا رب استشهدت في سيلك) فيقول الله تعالى أردت أن يقال فلان شجاع وقد قيل ذلك ، وذلك أجرك (٢٣) . وكذا يقال للعالم وال الحاج والقاري .

(١٩) ب : وكذلك .

(٢٠) ب ، ج : به .

(٢١) ج : المتبوع المهلك .

(٢٢) ج : أنصف أكثر الناس من أنفسهم .

عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أول الناس يقضى يوم القيمة عليه ، رجل استشهد ، فأتته به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : بما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت » . قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به . فعرفه نعمه فعرفها . قال : بما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلوم ليقال عالم . وقرأت القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت العلوم ليقال عالم . وقرأت القرآن ليقال هو قاريء . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار . ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله . فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال بما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت . ولكنك فعلت ليقال هو جواد . فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه . ثم ألقى في النار . مسلم رقم ١٩٥٠ .

النسائي ٤٦/٢٤ .

العجب والكبر

و^(٢٤) أما العجب^(٢٥) والفخر فهو الداء العضال ، وهو نظر العبد
إلى نفسه بعين العزة والاستعظام^(٢٦) وإلى غيره بعين الاحتقار ، و نتيجته
على اللسان أن يقول أنا وأنا كما قال ابليس اللعين : (أنا خير منه)
خليقتي من نار وخلقته من طين^(٢٧) . وثمرته في المجالس الترفع
والتقدّم وطلب التصدر فيها^(٢٨) ، وفي المحاورة الاستنكاف من أن يرد
كلامه عليه ، والمتكبر هو الذي إِنْ وُعِظَ أَنِيفَ ، وإن^(٢٩) وَعَظَ
عَنَفَ ، وكل من رأى نفسه خيراً من أحد من خلق الله تعالى فهو
متكبر . بل ينبغي للك أن تعلم أن الخير من هو خير عند الله في الدار^(٣٠)
الآخرة ، وذلك غيب["] وهو موقف على المختاتة ، فاعتقادك في نفسك إنك
خير من غيرك جهل محسن ، بل ينبغي أن لا تنظر إلى أحد إلا وترى أنه
خير منك ، وأن الفضل له على^(٣١) نفسك^(٣٢) ، فإن رأيت صغيراً
قلت : (هذا لم يعص الله وأنا عصيته) ، فلا شك["] أنه خير مني["] ،
وإن رأيت كبيراً قلت : (هذا قد^(٣٣) عبد الله قبلني^(٣٤) فلا["] شك["]
أنه خير مني["]) . وإن كان^(٣٥) عالماً قلت : (هذا قد أُعطي ما لم

(٢٤) ب : سقطت .

(٢٥) ج : العجب والكبر .

(٢٦) ج : ونظره .

(٢٧) الأشراف ١٢ .

(٢٨) ب ، ج : سقطت .

(٢٩) أ : أو .

(٣٠) أ ، ب : دار .

(٣١) ج : عليك .

(٣٢) ج : سقطت .

(٣٣) ج : سقطت .

(٣٤) ج : والفضل للمتحفظ .

(٣٥) ج : رأيت .

أَعْلَمُ وَأَبْلَغُ مَا لَمْ أَبْلُغُ ، وَأَعْلَمُ مَا جَهَلْتُ فِي كِيفِ أَكُونُ مِثْلَهُ) •
 وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا قَلْتَ : (هَذَا قَدْ (٣٦) عَصَى اللَّهَ بِجَهَلٍ) ، وَأَنَا
 عَصَيْتُهُ بِعِلْمٍ ، فَحَجَّةُ اللَّهِ عَلَيَّ أَكَدُ ، وَمَا أَدْرِي بِمِمْ يُخْتَمُ لِسِي
 وَبِمِ يُخْتَمُ لَهُ) • وَإِنْ كَانَ كَافِرًا قَلْتَ : (لَا أَدْرِي عَسَى أَنْ يُسْلِمُ
 وَيُخْتَمُ لَهُ بِخَيْرِ الْعَمَلِ ، وَيُنْسَلُ بِاسْلَامِهِ مِنَ الذَّنْوَبِ كَمَا تَنْسَلُ
 الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجَيْنِ) • وَأَمَّا أَنَا وَالْعِيَادَةُ بِاللَّهِ فَعُسَى أَنْ يُضْلِنِي اللَّهُ
 فَأُكَفَّرَ ، فَيُخْتَمُ لِي بِشَرِّ الْعَمَلِ ، فَيُكَوِّنُ غَدًا هُوَ (٣٨) مِنَ الْمُقْرَبِينَ
 وَأَنَا أَكُونُ (٤٠) مِنَ الْمُبَعَّدِينَ) • فَلَا يَخْرُجُ الْكَبِيرُ مِنْ قَلْبِكَ إِلَّا يَأْنِي تَعْرِفُ
 أَنَّ (٤١) الْكَبِيرُ مِنْ هُوَ كَبِيرٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ مُوقَفٌ (٤٢) عَلَى
 الْخَاتِمَةِ ، وَهِيَ مُشْكُوكَةٌ فِيهَا فَيُشَعِّلُكَ خَوْفُ الْخَاتِمَةِ عَنْ أَنْ تَكْبِرَ مَعَ
 الشَّكِ فِيهَا عَلَى عِبَادَ اللَّهِ تَعَالَى • فَيُتَبَّعُكَ وَيَمْسَاكَ فِي الْحَالِ لَا يَنْأِضُ
 بِهِ جُوَيْزَكَ التَّغْيِيرِ فِي الْاِسْتِقْبَالِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَقْلُبُ الْقُلُوبِ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ
 وَيُضْلِلُ مِنْ يَشَاءُ (٤٣) ، وَالْأَخْبَارُ فِي الْحَسْدِ وَالْكَبِيرِ وَالرِّيَاءِ وَالْعَجَبِ (٤٤)
 كَثِيرَةٌ ، وَيَكْفِيكَ فِيهَا حَدِيثٌ وَاحِدٌ جَامِعٌ • فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ابْنَ الْمَارِكَ (٤٥)

(٣٦) بِ : سَقْطَتْ •

(٣٧) أَ : أَنْصَى •

(٣٨) جِ : سَقْطَتْ •

(٣٩) جِ : رَأَيْتْ •

(٤٠) جِ : سَقْطَتْ •

(٤١) جِ : سَقْطَتْ •

(٤٢) جِ : زِيَادَةً ، عِنْدَ اللَّهِ •

(٤٣) جِ : سَقْطَتْ « وَيُضْلِلُ مِنْ يَشَاءُ » •

(٤٤) جِ : سَقْطَتْ •

(٤٥) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَارِكَ الْحَنْظَلِيُّ التَّسِيِّيُّ ، أَحَدُ الائِمَّةِ الْأَعْلَامِ ، جَمِيعُ
 الْفَقْهَةِ وَالْأَدَبِ وَالْلُّغَةِ وَالْزَّمْدِ وَالْفَرْوَسِيَّةِ وَالشِّلَّادَةِ ، كَانَ ثَقَةً ثَبِيبًا
 صَحِيحُ الْحَدِيثِ ، أَخْرَجَ لَهُ أَصْحَابُ الْكِتَابِ السَّتَّةِ ، تَوْفَى سَنَةُ ١١١٦هـ .
 تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ٢٨٢/٥ ، مِفتَاحُ السَّعَادَةِ ١١٢/٢ ، تَذَكُّرُ الْحَفَاظِ

باستناده عن رجل أنه قال لمعاذ^(٤٦) : يا معاذ^(٤٧) حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فبكى معاذ حتى ظلت أنه لا يسكت . ثم سكت ثم قال : وانشوفاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والي لقائه ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لسي : (يا معاذ اني محدثك بحديث إن أنت حفظته نعمك عند الله)^(٤٨) . وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيمة ، يا معاذ إن الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبع ملائكة بوابة عليها^(٤٩) فتصعد^(٥٠) الحفظة بعمل العبد من حيـن يصبح^(٥١) إلى حيـن يمسي^(٥٢) له نور كنور الشمس ، حتى إذا صعدت^(٥٣) به إلى السماء الدنيا زكته^(٥٤) وكشرته^(٥٥) فيقول الملك الموكـل بها^(٥٥) للحفظة : أضرموا بهذا العمل وجهـ صاحبه ، أنا صاحب الغيبة أمرني ربـي أن لا أدع عملـ من اغتاب الناس يجاوزـني إلى غيري . قال : ثم^(٥٦) تأتيـ الحفظة بعملـ صالحـ من أعمالـ العبدـ لهـ نور^(٥٧) فتركيـه

(٤٦) هو معاذ بن جبل الصحابي الجليل ، روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي في طاعون عمروان بالأزرقـ سنة ١٨ هـ مشاهير علماء الأمصار رقم ٣٢١ ، تذكرة الحفاظ رقم ٨ ، تهذيب النووي ٩٨/١/١

(٤٧) جـ : سقطـت « يا معاـذ » .

(٤٨) بـ ، جـ : سقطـت « عند الله » .

(٤٩) بـ ، جـ : سقطـت .

(٥٠) بـ : فتصـعدـ علىـها .

(٥١) بـ : أصبحـ .

(٥٢) بـ : أن يمـسيـ .

(٥٣) بـ ، جـ : « طـلتـ بهـ الملـائـكةـ » .

(٥٤) بـ : ذـكرـتـهـ فـكـشـرـتـهـ .

(٥٥) جـ : سقطـتـ « المـوكـلـ بـهـاـ » .

(٥٦) بـ : قالـ ثمـ تـأـتـيـ .

(٥٧) بـ ، جـ : « سـقطـتـ لـهـ نـورـ » .

ونكسره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك 'الموكل بها' (٥٨) :
 قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه أراد بعمله (٥٩) عرض الدنيا
 أنا ملك الفخر ، أمرني ربى أن لا (٦٠) أدع عمله يتجاوزني الى غيري ، انه
 كان يفتخر على الناس في مجالسهم . قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد
 يتسبّح نوراً من صدقة وصلة وصيام قد أعجب الحفظة فيجاوزون (٦١)
 به الى السماء الثالثة فيقول (٦٢) لهم الملك 'الموكل بها' (٦٣) : قفوا واضربوا
 بهذا العمل وجه صاحبه ، أنا ملك 'الكبر' أمرني ربى أن لا أدع عمله
 يجاوزني الى غيري انه كان يتکبر على الناس في مجالسهم ، قال :
 وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهو كما يزهو الكوكب الدرّي له
 دوي (٦٤) من تسبيح وصلة وصيام وحج وعمره حتى يجاوزوا به
 الى السماء الرابعة . فيقول لهم الملك 'الموكل بها' : قفوا واضربوا
 بهذا العمل وجه (٦٥) صاحبه وظهره ' وبطنه ' ، أنا صاحب 'العجب'
 أمرني ربى أن لا أدع عمله ' يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملاً
 أدخل العجب فيه . قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى (٦٦)
 يجاوزوا به الى السماء الخامسة كأنه العروس ' المزفوفة ' الى بعلها (٦٧) .
 فيقول لهم الملك 'الموكل' بها : قفوا (٦٨) واضربوا بهذا العمل وجه

(٥٨) ب ، ج « بالسماء الثانية » .

(٥٩) ب : زيادة ، هذا .

(٦٠) ب : لا أكون ادع .

(٦١) ج : فاذا انتهوا به .

(٦٢) ج : قال .

(٦٣) ج : سقطت « الملك الموكل بها » .

(٦٤) ب : زيادة كدوبي النحل .

(٦٥) ب : ظهره وبطنه .

(٦٦) ج : تزفه كما تزف العروضي .

(٦٧) ب ، ج : أهلها .

(٦٨) ج : الرجموا .

صاحبه واحملوه واجعلوه ^(٦٩) على عاتقه أنا ملك الحسد انه كان يحسد
 من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا عن ^(٧٠)
 العباد كان يحسدهم ويقع فيهم ^{هـ} أمرني ربى أن لا أدع عمله ^{يتجاوزني}
 إلى غيري ^{هـ} قال : وتصعد الحفظة ^{عمل العبد له} ^(٧١) ضوء كضوء
 القمر من صلاة وزكارة وحجارة وعمراء وجهاد وصيام ^{فيجاوزون}
 به ^(٧٢) إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا
 واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنما كان لا يرحم إنساناً قط من عباد
 الله أصحابه بلاء أو مرض ^(٧٣) ، بل كان يشمت به ^(٧٤) ، أنا ملك ^(٧٥)
 الرحمة ، أمرني ربى أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري ^{هـ} قال : وتصعد
 الحفظة ^{عمل العبد} ^(٧٦) من صلاة وصيام ونفقة وجهاد ^(٧٧) وورع ،
 له دوى كدوى النحل وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك
 فيجاوزون به ^(٧٨) إلى السماء السابعة ، فيقول لهم الملك الموكل بها :
 قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ^{هـ} واضربوا ^(٧٩) جوارحه واقفلوا
 على قلبه ، أنا صاحب الذكر ^(٨٠) فاني أحبب عن ربى كل عمل لم يرد
 به وجه ربى انه ^(٨١) إنما أراد بعمله غير الله تعالى انه أراد به رفعة عند

(٧٩) ب ، ج : سقطت .

(٧٠) ب : من ، ج : من العباة .

(٧١) ب ، ج : سقطت « له ضوء كضوء القمر » .

(٧٢) ج : حتى اذا انتهوا به .

(٧٣) ب : ضر .

(٧٤) ب : سقطت .

(٧٥) ج : صاحب .

(٧٦) ب : زرادة ، إلى السماء السابعة .

(٧٧) ب : اجتهاد .

(٧٨) ج : حتى اذا انتهوا .

(٧٩) ج : سقطت .

(٨٠) ب ، ج : سقطت « أنا صاحب الذكر » .

(٨١) ب : سقطت .

الفقهاء وذكره عند العلماء وصيانته في المداين ، أمرني ربِّي أن لا أدع عمله
يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصاً فهو رباء ولا يقبل
الله عمل المرأة . قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاته وزكاة
وصيام وحجج وعمره وخلق حسن وصمت وذكر الله فتشيعه ملائكة ^(٨٢)
السموات السبع ^(٨٣) حتى يقطعوا الحجب كلها إلى الله تعالى فيقولون بين
يدييه يشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى فيقول الله تعالى : أنت ^(٨٤)
الحافظة على عمل ^(٨٥) عبدي ، وأنا الرقيب على قلبك أنه لم يردني بهذا
العمل ^(٨٦) وأراد به غيري فعله لعمتي . فتقول الملائكة كلها : عليه ^(٨٧)
لعنتك ولعنتنا ، فتلعنه السموات السبع ومن فيهن ^(٨٨) ، ثم بكى معاذ وانتخب
انتساباً شديداً ^(٨٩) وقال معاذ : قلت يا رسول الله : أنت رسول الله وأنا
معاذ فكيف لي بالنجاة والخلاص من ذلك ؟ قال : أقتدِ بي وإن كان في
عملك نقص ^(٩٠) ، يا معاذ ^(٩١) حافظ على لسانك من القيمة في
أخوانك ^(٩٢) من حملة القرآن ^(٩٣) ، وأحمل ذنبك عليك ولا تحملها

٨٢ ب : وتشيعه ملائكة ملائكته .

٨٣ ب : سقطت .

٨٤ ج : ملائكتي أنت .

٨٥ ج : سقطت .

٨٦ ج : زيادة ، ولا أخلصه لي ، وأنا علام الغيوب ، والمطلع على ما في
القلوب ، لا تخفي على خافية ، ولا تعرب عن عازبة ، علمي بما
كان ، كعلمي بما لم يكن ، وعلمي بما مضى ، كعلمي بما بقى ،
علمي بالأولين ، كعلمي الآخرين ، أعلم السر وأخفي ، فكيف يغرنني
عبدي بعمله ، إنما يضر المخلوقين الذين لا يعلمون ، وأنا علام
الغيوب ، إنه لم يردني بهذا العمل .

٨٧ ج : يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا ولعنة السموات السبع ومن فيهن

٨٨ ج : زيادة ، وقال : يا رسول الله ، كيف النجاة مما ذكرت ،
قال يا معاذ اقتدِ بيبيك في اليقين .

٨٩ ب ، ج : زيادة ، تقصير .

٩٠ ج : تقصير فاقط لسانك عن .

٩١ ج : الناس وعن أخوانك .

٩٢ ج : زيادة خاصة .

عليهم (٩٣) ، ولا تترك نفسك بذمهم ، ولا ترفع نفسك عليهم بوضعهم (٩٤) ولا تسخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تراء بعملك (٩٥) ولا تكبر (٩٦) في مجلسك لكي يحدرك الناس من مسوء خلقك ، ولا تساج رجالاً وعندك آخر ، ولا تعظم على الناس فتقطع (٩٧) عنك خيرات الدنيا والآخرة . ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيمة (٩٨) . قال الله تعالى : (والاشطان نشطاً) (٩٩) هل تدرى ما هن يا معاذ ؟ قلت : ما هن بأبى أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال : (كلاب في النار تشطط اللحم من العظم) . قلت : بأبى أنت وأمي يا رسول الله من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها ؟ قال : (يا معاذ) (١٠١) انه ليسير على من يسره الله تعالى عليه ، انما يكفيك من ذلك أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم (١٠٢) ما تكره لنفسك فاذن أنت يا معاذ (١٠٣) قد سلمت) . قال خالد بن معدان (١٠٤) : فما رأيت أحداً أكثر قلاوة للقرآن العظيم من معاذ لهذا الحديث العظيم (١٠٥) .

(٩٣) ج : زيادة ، وليردك عن الواقعية في الناس ما تعلمه من عوب نفسك .

(٩٤) ب : سقطت .

(٩٥) ب : سقطت « ولا تراء بعملك » .

(٩٦) ج : تفجش .

(٩٧) ب : سقطت « فتنقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة » .

(٩٨) ب ، ج : زيادة « في النار » .

(٩٩) النازعات ٢ .

(١٠٠) ب : عن .

(١٠١) ج : زيادة ، ان الذي وصفت لك .

(١٠٢) ب : سقطت « ما تحب لنفسك وتكره لهم » وفي ج : للناس .

(١٠٣) ب : سقطت « يا معاذ » .

(١٠٤) هو خالد بن معدان أبو عبد الله الكلاعي الحمصي سمع ثوبان ومعاوية وأبا أمامة ، توفي سنة ٤٠١هـ وقيل : ٤٠٣هـ ، تذكرة الحفاظ ٩٣

(١٠٥) ج : زيادة ، وذكره في مجلسه ، والحديث رواه ابن الجوزي في الموضوعات ، المغني ٢٩٦/٣ .

فتأمل أيها الراغب في العلم هذه الخصال ٠ واعلم أن أعلم الأسباب في رسوخ هذه الخلائط في القلب طلب العلم لأجل المباهاة والمنافسة فالعامي يعزل عن أكثر هذه الخصال ، والمتفقه مستهدف لها وهو متعرض للهلاك بسيبها ٠ فانظر أي^(١٠٦) أمورك أهم تعلم كيفية الحذر من هذه المهمليات وتشتغل باصلاح قلبك وعمارة آخرك ٠ أم الامر أن تخوض مع الخائضين فطلب من العلم ما هو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين ٠

واعلم أن هذه الخصال الثلاث من أمميات خلائط القلوب ولها مدرس واحد وهو حب الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حب الدنيا رأس كل خطية)^(١٠٧) ٠ ومع هذا فالدنيا مزرعة للأخرة ، فمن أخذ من^(١٠٨) الدنيا يقدر الضرورة يستعين به على الآخرة فالدنيا مزرعنه ٠ ومن أراد الدنيا ليتعم بها فالدنيا مهلكته ٠ فهذه نبذة يسيرة من ظاهر علم التقوى وهي بداية الهدایة ٠ فان جربت نفسك فيها^(١٠٩) وطاوحتك عليها فعليك بكتاب (إحياء علوم الدين) لتعرف كيفية الوصول إلى باطن التقوى ٠ فإذا عمرت بالتقوى باطن قلبك فمنذ ذلك ترتفع الحجب بينك وبين ربك وتكتشف لك أبووار المعارف ٠ وتتفجر من قلبك ينابيع الحكم^(١١٠) ، وتضيء لك أسرار الملك والملائكة ، ويتيسر لك من المعلوم ما تستحق به هذه العلوم المحدثة التي لم يكن لها ذكر في زمن

^(١٠٦) بـ : إن أهم أمورك أن تتعلم كيفية الحذر ٠

^(١٠٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الأيمان من روایة الحسن مرسلاً ٠ المتن ٢٠٢/٣ ٠

^(١٠٨) جـ : سقطت ٠

^(١٠٩) جـ : سقطت ٠

^(١١٠) جـ : الحكمة ٠

الصحابة رضي الله عنهم والتابعين^(١١١) • وإن كنت تطلب العلم^(١١٢)
 من القيل والقال والمراء والجدال فما أعظم مصيتك وما أطول تعبك وما
 أعظم حرمتك وخسرانك • فاعمل ما شئت • فإن الدنيا التي تطلبها
 بالدين^(١١٣) لا تسلم لك ، والآخرة تسأل منك • فمن طلب الدنيا
 بالدين^(١١٤) خسرهما جميعاً • ومن ترك الدنيا للدين^(١١٥) ربهمما
 جميعاً • فهذه جمل الهدایة إلى بداية الطريق في معاملتك مع الله تعالى
 بأداء أوامره واجتناب نواهيه • وأشار عليك الآن^(١١٦) بجمل من الآداب
 لتوأخذ بها نفسك في مخالطتك مع عباد الله تعالى ، وصحيحتك معهم^(١١٧)
 في الدنيا •

(١١١) ج : أجمعين •

(١١٢) ج : المعرفة •

(١١٣) ب ، ج : سقطت •

(١١٤) ج : للدين ربهمما جميعاً •

(١١٥) أ : سقطت •

(١١٦) ج : سقطت •

(١١٧) ج : زيادة النفوذ في الدنيا والآخرة •

القسم الثالث

[آداب الصحبة والمعاشرة]

القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق سبحانه وتعالى ومع الخلق

اعلم أن صاحبك الذي لا يفارقك في حضرك وسنرك ونومك
ويقطلك ، بل في حياتك وموتك ، هو ربك وسيدك ومولاك وخالقك .
ومهما ذكرته فهو جليسك ، اذ قال الله تعالى : (أنا جليسُ مَنْ
ذَكَرْتِي)^(١) ، ومهما انكسر قلبك حزناً على تقصيرك في حق دينك ،
 فهو صاحبك وملازمك ، اذ قال الله تعالى : (أَنَا عَنِ الْمُنْكَرَةِ قَلْوَبُهُمْ مِنْ
أَجْلِي)^(٢) ، فلو عرفه حق معرفته لاتخذته صاحباً وترك الناس
جانباً ، فان لم تقدر على ذلك في جميع أوقاتك فياك أن تخلي ليلك
ونهارك عن وقت تخلو فيه لمولاك^(٣) وتتلذذ معه بمناجاته^(٤) ، وعند ذلك
فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى . (وآدابها) : اطراق الرس ،
وغض الطرف^(٥) ، وجمع الهم ، ودoram الصمت ، وسكن الجوارح ،
ومبادرة الامر ، واجتناب النهي ، وقلة الاعتراض على القدر ، ودoram
الذكر ، وملازمة الفكر ، وايثار الحق على الباطل^(٦) ، والاياس عن^(٧)

(١) أخرجه البيهقي وأبن حبان من حديث أبي هريرة والحاكم من حديث
أبي الدرداء ، بلفظ « أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتيه بي »
لمبني ٢٩٤/١

(٢) قال الشيخ علي القاري في كتابه الأسرار المرفوعة في الأخبار
الموضوعة ص ١١٧ : لا أصل له في المرفوع .

(٣) ج : بمولاك .

(٤) ج : بمناجاته .

(٥) ج : سقطت « غض الطرف » .

(٦) ب ، بـ : سقطت « على الباطل » .

(٧) ب : من .

الخلق » والخضوع تحت الهيبة ، والانكسار تحت الحياة ، والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضماء ، والتوكّل على فضل ^(٨) الله تعالى معرفة بحسن الاختيار ، وهذا كله يعني أن يكون شعارك في جميع ليلك ونهارك .
 فان أداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك ، والخلق كلهم يفارقونك في بعض أوقاتك ، وإن كنت عالماً فأداب العالم سبعة ^(٩) عشر : الاحتمال ، ولزوم الحلم ، والجلوس بالهيئة ^(١٠) على سمت الوجه مع اطراف الرأس ، وترك التكبر على جميع العباد الا على الظلمة زجراً لهم عن ^(١١) الظلم ، وايثار التواضع في المحافل وال المجالس ، وترك المهر وللذلة ، والرفق بال المسلم ، والثاني بالمعجرف . واصلاح البليد ^(١٢) بحسن الارشاد ، وترك الحرج ^(١٣) عليه ، وترك الانفة من قول لا ادري ، وصرف الهمة الى السائل وتقهم سؤاله ، وقبول الحجية ، والانقياد للحق بالرجوع اليه عند المفهوة ، ومنع المتعلم عن كل علم يضره ، وزجه عن ^(١٤) أن يزيد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى . وسد المتعلم عن أن يشغل نفسه بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين ، وفرض عينه اصلاح ظاهره وباطنه بالتفوي ، ومؤاخذة نفسه أولاً بالتفوي ^(١٥) ليقتدي المتعلم أولاً بأعماله ويستفيد ثانياً من آفواله . وإن كنت متعلماً فأدب المتعلم مع العالم ^(١٦) أن يبدأ بالتحية والسلام ، وأن يقلل بين يديه الكلام ، ولا يتكلم ما لم يسأله استاذه ، ولا يسأل ما لم يستأذن أولاً ،

(٨) ج : سقطت .

(٩) ج : تسعة .

(١٠) أ ، ب : الهيبة .

(١١) ب : على .

(١٢) ب : اصلاح التلميذ .

(١٣) الحرج : الغضب والتعريض .

(١٤) ج : سقطت .

(١٥) ج : سقطت « ومؤاخذة نفسه أولاً بالتفوي » .

(١٦) ج : المعلم .

و لا يقول في معارضته قوله قال فلان بخلاف ما قلت ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم^(١٧) بالصواب من استاذه ، ولا تسأل^(١٨) جليسه في مجلسه ، ولا يلتفت إلى الجوانب ، بل يجلس مطرقاً عنده^(١٩) ساكناً متادياً كأنه في الصلاة ، ولا يكثر عليه السؤال عند ملله ، وإذا قام ، قام نه ولا يتبعه بكلامه وسؤاله ، ولا يسأله في طريقه إلى أن يبلغ إلى منزله ، ولا يسيء الفتن به في أعمال ظاهرها منكرة عنده فهو أعلم بأسراره ، وليدرك عند ذلك قول موسى للخضر عليهما السلام (آخر قتها لغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً)^(٢٠) . وكونه مخططاً في انكاره اعتماداً على الظاهر وإن كان ذلك والدان فأدب الولد مع الوالدين : أن يسمع كلامهما ويقوم لقياً لهما ، ويتمثل لأمرهما ، ولا يشيني أمامهما ، ولا يرفع صوته فوق أصواتهما ، ويلبي دعوتهما ، ويحرص على مرضاهم ، ويختضن لهما جناح^(٢١) الذل ، ولا يعن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام لأمرهما ، ولا ينظر اليهما شزاراً ، ولا يقطب وجهه في وجههما ، ولا يسافر إلا باذنهما *

واعلم أن الناس بعد هؤلاء في حرك ثلاثة أصناف : إما أصدقاء ، وإما معاريف ، وإما مجاهيل . فان بليت بالعوام المجهولين فأدب مجالسة العامة ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصناف إلى أراجيفهم ، والتفاوض عمّا يجري من سوء ألفاظهم ، والاحتراز عن كثرة لقائهم وال الحاجة إليهم ، والتربية على منكراتهم باللطف والتصح عند رجاء القبول منهم * وأما الأخوان والاصدقاء فعليك فيهم وظيفتان :

(١٧) ج : زيادة منه ، وسقطت « بالصواب من استاذه » *

(١٨) ج : يمسان *

(١٩) ج : سقطت *

(٢٠) الكهف ٧١ *

(٢١) ج : العجاج ، وسقطت الذل *

(٢٢) ج : بأمرهما *

(الوظيفة الأولى)

أن تطلب أولاً شروط الصحبة والصدقة ، فلا تؤاخى إلا من يصلح
للاخوة والصدقة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المرء على
دين خليله) . فلينظر أحدكم من يُخالفه ^(٢٣) . فإذا طلب رفيقاً
ليكون شريك في التعلم ، وصاحبك في أمر دينك ودنياك ، فراع فيه
خمس خصال :

الخمسة الأولى (العقل) -

فلا خير في صحبة الأحمق فالوحشة والقطيعة يرجع آخرها ،
وأحسن أحواله أن يضرك وهو يرى أن ينفعك . والمعدو العاقل خير من
الصديق الأحمق . قال علي رضي الله عنه :

| | |
|----------------------|---------------------------------|
| فلا تصحب أخا الجهل | فلا تصحب إياك وإيه |
| فكم من جاحد أردي | حليماً حين آخاه |
| يقيس المسوء بالمرء | إذا ما هو مأشاه |
| كحوذ النعل بالغسل | إذا ما التعل حاذاه |
| وللشبيء على الشبيء | مقاييس وأشباه |
| وللقلب على القلب | دليل حين يلقاه |
| [وذو العقل إذا أبصر | ما يخشى توقاء] ^(٢٤) |

(٢٣) رواه الشرمي ٤٥٨٩ ، وأبو داود ٢٥٩/٤ . وقال ابن الجوزي :
موضوع ، انظر الفوائد المبموعة ص ٣٦٠ ، تذكرة الموضوعات ص ٢٠٤ .

(٢٤) وردت الآيات المذكورة ، في الديوان المنسوب للأمام علي رضي الله
عنه وقد وردت أيضاً في كتاب المؤشى أو الظرف والظرفاء ص ١٧
لمؤلفه أبي الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشاء المتوفى أوائل
القرن الرابع الهجري ، والكتاب حققه لاستاذ كمال مصطفى وطبع
بالقاهرة سنة ١٩٥٣ ، انظر كتاب أدب الصحبة ص ٢١٣ .

الخمسة الثانية (حسن الخلق) :-

فلا تصحب من ساء خلقه وهو الذي لا يملأ نفسه عند الغضب
والشهوة وقد جمعه علامة العطاردي^(٢٥) رحمة الله في وصيته لابنه لما
حضرته الوفاة فقال : (يا بني^(٢٦) اذا أردت صحبة انسان فاصحب من
اذا خدمته صالح ، وان صحيحته زانك ، وان رأى منك حسنة عدها ،
اصحب من اذا مددت يدك للخير مدتها ، وان رأى منك حسنة عدها ،
وان رأى منك سيئة سدتها ، اصحاب من اذا قلت صدق قولك ، واما
حاولت امراً اعاتك^(٢٧) ونصرك ، وان تنازعتما في شيء^(٢٨) آثرك) .

وقال علي رضي الله عنه رجراً :

ان اخلاق الحق من كان معك

ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدفك

شتت فيك شمله ليجمعك

الخمسة الثالثة (الصلاح) :-

فلا تصحب فاسداً مصراً على معصية كبيرة ، لأن من يخاف الله
لا يصر على معصية كبيرة ، ومن لا^(٢٩) يخاف الله لا تؤمن غوايشه ، بل

(٢٥) هو علامة بن عمرو بن العاصين العطاردي الكوفي ، صدوق ، له
غواصات اتحاف السادة ٦/٢٠٠ .

(٢٦) ب : سقطت .

(٢٧) ب : أمدتك ، وفي ج : أثرك .

(٢٨) ب : سقطت « في شيء » .

(٢٩) أ : سقطت .

يتغير بتغيير الاحوال^(٣٠) والاعراض . قال الله تعالى لنيه صلى الله عليه وسلم :

(ولا تطبع منْ أغلتنا قلبهُ عنْ ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً)^(٣١) . فاحذر صحبة الفاسق ، فإن مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية^(٣٢) المعصية وتهون عليك أمرها ، ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لا لففهم لها ، ولو رأوا خاتماً من ذهب أو ملبوساً من حربير على فقيه لاستند انكارهم عليه^(٣٣) ، والغيبة أشد من ذلك .

اللهمة ملة طيبة (لا تتصحّب حريصاً) :

صحبة الحريص على الدنيا سُمّ قاتل ، لأن الطبع محبولة على التشبه والاقداء ، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري ، ففي جالسة الحريص تزيد في حرصك ومحاجسة الزاهدين تزيد في زهدك^(٣٤) .

الخصلة الخامسة (الصلق) :-

فلا تصحب كذاباً فانك منه على غرور وهو^(٣٥) مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، ولعلك تخدم^(٣٦) اجتماع هذه الخصال في سكان المدارس والمساجد فعليك بأحد أمرين : إما العزلة والانفراد ففيها سلامتك ، وإما أن تكون مخالفاتك مسم شركائك بقدر

(٣٠) ب : سقطت ، وفي ج الأعراض .

(٣١) الكهف ٢٨ .

(٣٢) ب ، ج : كراهية .

(٣٣) ب : سقطت ، ج : لذلك .

(٣٤) ب : الزهد .

(٣٥) أ ، ج : فانه .

(٣٦) ج : لا تعلم .

خصالهم ، بأن تعلم أن الاخوة نذلة : أخ لا يتراء في الا الدين وأخ لدنياك فلا تراء فيه الا الخلق الحسن^(٣٧) . وآخر لتأس به فلا تراء فيه الا السلامة من شره وفتته^(٣٨) وخبثه . والناس ثلاثة : أحدهم مثله مثل المذاء لا يستغنى عنه . والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت . والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط ، ولكن الصد قد يبتلى به وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع فتوجب مداراته الى الخلاص منه^(٣٩) . وفي مشاهدته فائدة عظيمة ان وفقت لها ، وهو أن تشاهد من خبات أحواله وأفعاله^(٤٠) ما تستحبه فاجتبته ، فالسعيد من وعظ بشيره ، والمؤمن مرآة المؤمن . وقيل لعيسى عليه السلام : من أدبك ؟ فقال : (ما أدبني أحد ولكن رأيت جهلاً العجاف فاجتبته)^(٤١) . ولقد صدق على نبينا عليه الصلوة والسلام : (فلو اجتب الناس ما يكرهونه من غيرهم لکملت آدابهم واستقروا عن المؤذين) .

(الوظيفة الثانية)

مراجعة حقوق الصحابة : فمهما انعقدت الشركة وانتظمت بينك وبين شريكك فعليك حقوق يوجبها عقد الصحابة ، وفي القيام بها آداب . وقد قال صلى الله عليه وسلم : (مثل الاخرين مثل اليدين تُفضل احدهما الاخر)^(٤٢) . ودخل صلى الله عليه وسلم أجمة فاجتى منها سوا كين أحدهما معوج والآخر مستقيم وكان معه بعض أصحابه فأعطاه

(٣٧) ج : إلا الدنيا .

(٣٨) ب ، ج : سقطت .

(٣٩) ب ، ج : سقطت .

(٤٠) ج : وصفاته .

(٤١) ب : فجانبته .

(٤٢) رواه السلمي في آداب الصحابة ، وأبو منصور الديلمي في مسنن الفردوس من حديث أنس ، وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي ، كذاب ، وهو من قول سلمان الفارسي . المغني ٢ / ١٥٨ .

اللستقين وأمسك لنفسه المعموج ٠ فقال : يا رسول الله انت أحق مني بالمستقيم ٠ فقال صلی الله علیه وسلم : (ما من صاحب يصاحب صاحباً ولو ساعة من نهار الا ويسئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله تعالى أو أضاعه)^(٤٣) ٠ وقال صلی الله علیه وسلم : (ما اصطحب اثنان قط الا و كان أحجهما الى الله تعالى أرقهما بصاحبه)^(٤٤) ٠

وأدب الصحابة ، الإيثار بالمال ، فان لم يكن هذا فبدل الفضل من المال عند الحاجة ، والاعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير احراج الى التماس ، وكتسان السر ، وستر العيوب ، والسكوت عن تبليغ ما يسموه من مذمة الناس اياه ، وابلاغ ما يسره من شاء الناس عليه ، وحسن الاصناف عند الحديث ، وترك المماراة فيه^(٤٥) ٠ وأن يدعوه بأحب أسمائه اليه ، وأن يشي عليه بما يعرف من محاسنه ، وأن يشكره على حسيمه في حقه^(٤٦) ٠ وأن يذب عنه في غيته اذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه ، وأن ينصحه باللطف والتعریض اذا احتاج اليه ، وأو يغضوا عن زلته وفتوته فلا يتعجب عليه ، وأن يدعو له في خلوته^(٤٧) في حياته وبعد مماته ، وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته ، وأن يؤشر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئاً من حاجاته ، ويروح قلبه^(٤٨) من مهماته ،

(٤٣) قال العراقي : لم اقف له على أصل . المغني ٢/١٧٥ . وقال الشوكاني : في استناده كتاب ، الفوائد المجموعة من ٢٦١ ، تذكرة الموضوعات ص ٢٠٥ .

(٤٤) أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث أنس بلفظ « ما تحاب اثنان في الله ، إلا كان أحجهما الى الله ، أشدهما حباً لصاحب » المغني ٢/١٥٩ ، منتخب كنز العمال ٣/٣٦٥ .

(٤٥) ج : له .

(٤٦) أ : وجهه .

(٤٧) ب ، ج : صلاتيه .

(٤٨) ب : سره .

وأن يفهمر الفرح بجميع ما يرتاح له من مساره والحزن على (٤٩) ما يناله من مكارهه (٥٠) ، وأن يضمر في قلبه (٥١) مثل ما يظهر فيكون صادقاً في وده (٥٢) سرآً وعلانية ، وأن يبدأ بالسلام عند اقباله ، وأن يوسع له في المجلس وأن يخرج له من مكانه ، وأن يشيشه عند قيامه ، وأن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من خطابه ، ويترك (٥٣) المداخلة في كلامه ، وعلى الجملة فيعامله بما يحب أن يعامل به ، فمن لا يحب لأخيه مثل (٥٤) ما يحب لنفسه فأخوه نفاق ، وهي عليه وبال في الدنيا والآخرة . فهذا أدبك في حق العوام المجهولين ، وفي حق الأصدقاء المؤاخين .

وأما القسم الثالث : وهم (المعاريف) فاحذر منهم .

فإنك لا ترى الشر إلا من تعرفه ، أما الصديق فيعييك (٥٥) ، وأما المجهول فلا يتعرض لك ، وإنما الشر كله من المعاريف الذين يظهرون الصداقه بالستهم . فأقلل من المعاريف ما قدرت ، فإذا بليت بهم في مدرسة أو جامع (٥٦) أو مسجد أو بلد أو سوق فيجب (٥٧) أن لا تستصغر منهم أحداً فإنك لا تدرى لعله خير منك ، ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك ، لأن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها . ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى . واياك أن تبذل لهم دينك لتثال به من دنياهم ، فلم يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم ، ثم

(٤٩) ب : بما .

(٥٠) ب : زيادة ، وشداداته .

(٥١) ب ، ج : يضمر له .

(٥٢) ج : حبه .

(٥٣) أ : وترك .

(٥٤) ب ، ج : سقطت .

(٥٥) أ ، ج : فيعييك .

(٥٦) ج : مدرسة جامعة .

(٥٧) ج : فاجتهد .

حرم ما عندهم ٠ وإن عادوك فلا تقابلهم بالعداوة ، فانك ^(٥٨) لا تطيق
 الصبر على مكافأتهم فيذهب دينك في ^(٥٩) عداوتهم ويطول عناؤك عليهم ،
 ولا تسكن اليهم في حال ^(٦٠) أكرامهم إيمانك وتأمهم عليك في وجهك
 واظهارهم المودة لك ، فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة واحداً
 ولا تطمع أن يكون ^(٦١) لك في السر والعلن واحد ، ولا تتعجب ان تلبوك
 في غيبك ولا تنقض منهم ^(٦٢) فانك ان أصفت وجدت في نفسك مثل
 ذلك حتى في أصدقائك وأقاربك ، بل في استاذك والديك فانك تذكرهم
 في الفضة بما لا تشافههم به . فاقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم ،
 فان الطامن في الاكثر خائب في المال ، وهو ذليل لا محالة في الحال .
 فاذا سألت واحداً حاجة فقضها فاشكر الله تعالى واشكروه ، وإن قصر فلا
 تعابه ولا تشrike ^(٦٣) فتصير عداوة له ^(٦٤) وكن كالمؤمن يطلب الماعذير
 ولا تكون كالمنافق يطلب العيوب ، وقل لعله قصر لعذر له لم أطلع عليه .
 ولا تعطن أحداً منهم ما لم تتوسم فيه ^(٦٥) أولاً مخايل القبول ، والا لم
 يستمع منك وصار خصماً عليك ، فاذا أخطلوا في مسألة وكانتوا يأنفون من
 التعلم ^(٦٦) منك فلا تعلمهم ، فانهم ^(٦٧) يستفيدون منك علمًا ويصبحون
 لك أعداء ^(٦٨) ، الا اذا تعلق ذلك بمعصية يقارفونها عن جهل منهم ^(٦٩)

^(٥٨) ب : سقطت .

^(٥٩) ب ، ج : فيهم ، وسقطت « عداوتهم » .

^(٦٠) ب : سقطت .

^(٦١) ب : يكونوا .

^(٦٢) ا ، ج : منه .

^(٦٣) ج : زيادة ، على أحد قط .

^(٦٤) ج : سقطت .

^(٦٥) ب ، ج : سقطت .

^(٦٦) ا : التعليم ، وفي ب ، ج التعلم من كل أحد .

^(٦٧) ب : انهم .

^(٦٨) ب : عدوا .

^(٦٩) ب ، ج : سقطت .

فاذكر الحق بلطف من غير عنف ٠ و اذا رأيت منهم كرامة و خرآ فاشكر الله الذي حبلك اليهم ، و اذا رأيت منهم شرآ فكلهم الى الله تعالى واستعد بالله من شرهم ٠ ولا تغتابهم ولا تقل لهم لم لم تعرفوا حقي و أنا فلان ابن فلان وأنا الفاضل في العلوم فان ذلك من كلام الحمقى ، وأشد الناس حمامة من يزكي نفسه ويشني عليها ٠

واعلم ان الله تعالى لا يسلطهم عليك الا لذنب سبق فاستقرر الله من ذنبك واعلم أن ذلك عقوبة من الله تعالى لك ٠ وكن فيما (٧٠) بينهم سميأا للحقهم أصم عن باطلهم نطوقاً بمحاسنهم صموتاً عن مساوئهم واحدرك مخالطة متقدمة الزمان لا سيما المشغلين بالخلاف والجدال ٠ واحدرك (٧١) منهم فانهم يتربصون بك بحسدهم (٧٢) رب الناس ٠ ويقطعون عليك بالظنو ، ويتمامرون وراءك بالعيون ، ويحصون عليك عشرات في عشرتهم حتى يجهوهك بها في حال غيظهم (٧٣) ومناظرهم ٠ لا يقيلون لك عشرة ، ولا يغفرون لك زلة ، ولا يسترون عليك عوره ، يحاسبونك (٧٤) على النمير (٧٥) والقطمير (٧٦) ، ويحسدونك على القليل والكثير ، ويحرضون عليك الاخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان ، ان رضوا ظاهراً هم الملق ، وان سخطوا باطنهم الحق ، ظاهراً هم ثياب وباطنهم ذئاب ٠ هذا ما قطعت

(٧٠) ج : قيمـاً ٠

(٧١) ب ، ج : مـسـقطـت ٠

(٧٢) ب ، ج : لـحـسـدـهـم ٠

(٧٣) ب ، ج : غـضـبـهـم ٠

(٧٤) ج : وـيـحـاسـبـونـ ٠

(٧٥) النمير : النقرة التي على ظهر النواة ، مختار الصحاح ص ٦٧٥ ، ويعتـدـ بهـ الشـيءـ الـذـيـ لاـ قـيـمةـ لـهـ ٠

(٧٦) القطمير : القشرة الرقيقة التي فوق النواة ، وقيل : هي النكتة البيضاء التي في ظهر النواة ، مختار الصحاح ص ٥٤٣ ٠

بـ(٧٧) المشاهدة على (٨٧) أكثرهم لا من عصمة الله تعالى ، فصحبهم خسران ، وعاشرتهم خذلان . هذا حكم من يظهر لك الصدقة فكيف من يجاهرك بالعداوة . قال (٧٩) القاضي ابن معروف (٨٠) رحمة الله تعالى :

فاحذر عدوك مرة واحدة صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالضرة

و كذلك قال أبو تمام (٨١) :

عندوك من صديقك مستفاد
فلا تستكترون من الصحابة

فإن الداء أكثر ما تراه
يكون من الطعام أو الشراب (٨٢)

(٧٧) ج : بهم .

(٧٨) ب ، ج : في .

(٧٩) ج : ولذلك قيل .

(٨٠) هو عبد الله بن أحمد بن معروف ، ولد قضاء بغداد ، وكان شاعراً طريفاً ، توفي سنة ٣٨١هـ . تاريخ بغداد ٣٦٥/١٠ ، النجسون الراحلة ١٦٢/٤ ، الأعلام ٣٤٤/٤ .

(٨١) أ : وكذلك قبل في المعنى ، وفي ج : وقال آخر . وهو أبو تمام ابن حبيب بن أوس الطائي شاعر الخليفة المعتصم ، توفي سنة ٢٢٢هـ . انظر كتاب « أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم ص ٣٥ ، شرح الصولي للديوان أبي تمام ص ١٩ .

(٨٢) ج : زيادة

فدع عنك الكثير فكم من كثير يعاب وكم من قليل مستطاب
فما الملاجع بمروريات وتنقى السري في النطف العذاب

وكن كما قال هلال بن العلاء الرقي (٨٣) :

لما عفوت ولم أحقد على أحد

أرحت نفسي من هم العداوات

إني أحبي عدوي عند رؤيته

لأدفع الشر عني بالتجيّات

واظهر البسر للإنسان بشخصه

كانه قد ملا قلبي مسراً

ولست أسلم من من لست أعرفه

فكيف أسلم من أهل المودات

الناس داء دواء المحسن تركهم

وففي الجفاء لهم قطع الأخوات

فسالم الناس تسلم من غوايدهم

وكن حريصاً على كسب المودات

وخلق الناس واصبر ما بليت بهم

أصم أبكم أعمى ذا تقينات (٨٤)

وكن أيضاً (٨٥) كما قال بعض الحكماء : (الق صديقك وعدوك

بوجه الرضا من غير مذلة لهما ولا هيبة منها) (٨٦) ، وتوقر من غير كبير ،

(٨٣) هو هلال بن العلاء بن هلال ، مولاهم أبو عمرو الرقي ، توفي سنة

٢٢٠هـ ، تهذيب التهذيب ١١/٨٣ .

(٨٤) ج : سقط البيت .

(٨٥) ب : منهـ .

ج : سقطـ .

وتواضع من غير مذلة ، وكن في جميع أمورك في أوسطها فكلا طرفي
قصد الأمور ذميم كما قيل (٨٧) .

عليك باوساط الأمور فانها طريق الى نهج الصراط قويم
ولا تك فيها مفرطاً او مفرطاً فان كلا حال الأمور ذميم (٨٨)

ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات الى ورائك ، ولا تقف على الجماعات
واذا جلست فلا تستوفز (٨٩) وتحفظ من (٩٠) تشريك أصابعك والعبث
بلحائك وخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقك
وتنحمسك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمعي والتلاؤب في وجوه الناس
وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هادئاً وحديثك منظوماً مرتبأً واصنع
الى الكلام الحسن من حديثك من غير اظهار تعجب مفرطاً ولا تسأله اعادته ،
واسكت عن المضاحك والحكايات ؟ ولا تحدث عن اعجبتك بولدك وشعرك
وكلامك وتصنيفك وسائل ما يخصك . ولا تصنع تصنم المرأة في الترين ،
ولا تبدل تبذل العبد ، وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ، ولا
تلح في الحاجات ، ولا تشجع أحداً على ظلم ، ولا تعلم أحداً من أهلك
وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك ، فانهم ان رأوه قليلاً هنت عليهم وان
رأوه كثيراً لم تبلغ رضاهم قط ، واجفهم (٩١) من غير عنف ، ولن لهم
من غير ضعف ، ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك من قلوبهم (٩٢)
واذا خاصمت فتسوّر وتحفظ من جهلك وعجلتك (٩٣) ، وتفكر في

(٨٧) ج : وقد قيل شعراً .

(٨٨) ب : سقط البيتان .

(٨٩) جلس مستفزاً ، اي غير مطمئن . مختار الصحاح ص ٥٠٢ .

(٩٠) ب : سقطت .

(٩١) ب : واحفظهم .

(٩٢) ب ، ج : سقطت « من قلوبهم » .

(٩٣) ب : غلتكم .

حجتك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ٰ ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ،
 ولا تجت على ركبتيك ، واذا هدأ غضبك فتكلم ، واذا قربك السلطان
 فكن منه على حد^(٩١) المسنان ، واياك وصديق العافية فانه أعدى
 الاعداء ، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك . فهذا القدر يا فتى يكفيك
 من بداية الهدية فجرب بها نفسك فانها ثلاثة اقسام : قسم في آداب
 الطاعات . وقسم في ترك المعاصي وقسم في مخالطة الخلق . وهي جامدة
 لجمل معاملة العبد مع الخالق والخلق فان رأيتها مناسبة لنفسك ورأيت
 قلبك مائلا اليها راغبا في العمل بها فاعلم انك^(٩٠) عبد نور الله قلبك
 بالبيان وشرح به^(٩٢) صدرك . وتحقق أن لهذه البداية نهاية ووراها
 أسرار " وأغوار " وعلوم " ومكاشفات " . وقد أودعناها في كتاب (إحياء
 علوم الدين) فاشتغل بتحصيله فان رأيت نفسك تستقبل^(٩٣) العمل بهذه
 الوظائف وتذكر^(٩٤) هذا الفن من العلم وتقول لك نفسك (أني ينفعك
 هذا الفن في محافل العلماء ؟ ومتى يقدمك هذا على الأقران والنظراء ؟
 وكيف يرفع منصبك في مجالس الامراء والوزراء ؟ وكيف يوصلك الى
 الصلة والارزاق وولاية الاوقاف والقضاء ؟) . فأعلم ان الشيطان قد أغواك
 وانساك من قبلك ومواك فاطب الله شيطاناً مثلك ليعلمك ما تظن أنه
 ينفعك ويوصلك الى بغيتك . ثم اعلم أنه قط لا يصفوا لك الملك في
 محلتك فضلا عن قريتك وبلدك ، ثم يفوتك الملك المقيم والنعيم الدائم في
 جوار رب العالمين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٰ والحمد لله أولا
 وأخراً ظاهراً وباطناً ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله
 على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

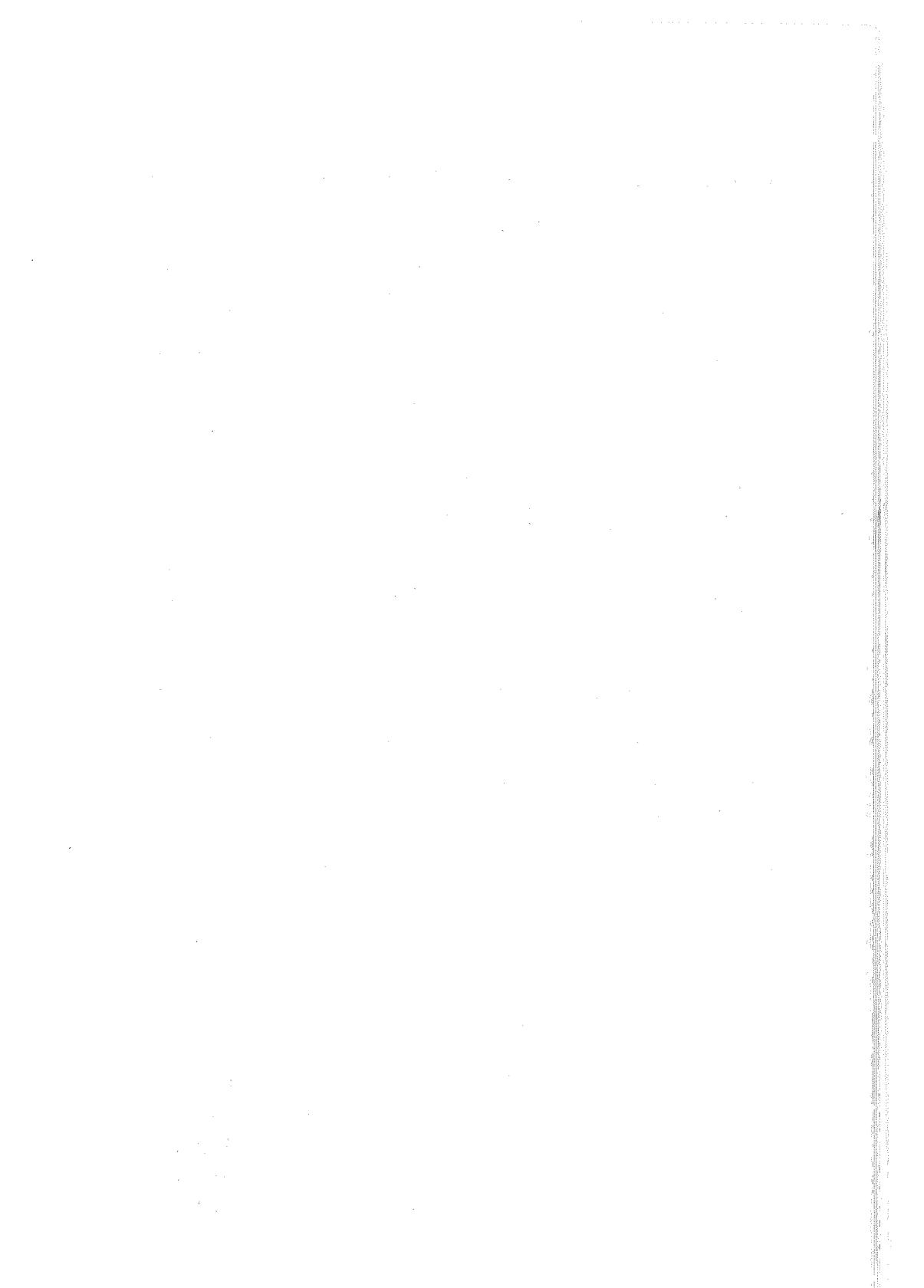
^(٩٤) ج : حمل هذه السيف والسنن .

^(٩٥) ج : أنه قد نورك الله .

^(٩٦) ب : له ، ج : لك .

^(٩٧) أ - طبعة بغداد ، ب : تستقبل ، ج : تشتعل .

^(٩٨) أ بغداد : تترك ، ج : وتشرد .



مراجع الدراسة والتحقيق

- ١ - إحياء علوم الدين للأمام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر .
- ٢ - أصول الدين الاسلامي ، د. رشدي عليان ، و د. قحطان عبد الرحمن ، مطبعة جامعة بغداد ١٩٨١ .
- ٣ - الاسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ، ليوبولد فايس .
- ٤ - الاسلام دين الهداية والاصلاح ، محمد فريد ويجي ، دار انهال .
- ٥ - أيها الوالد ، للأمام الغزالى ، ضمن مجموعة الجواهر الشوارى طبع القاهرة سنة ١٩٣٤ .
- ٦ - الأعلام ، خير الدين الزركلى ، طبعة دار العلم للملائين .
- ٧ - الاصابة ء نجيز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، مطبعة مصطفى محمد القاهرة ١٩٣٩ .
- ٨ - أصول الدين الاسلامي ، د. رشدي عليان و د. قحطان عبد الرحمن ، مطبوع من الاصابة ١٤٤٦هـ .
- ٩ - أخبار لقضاة ، لوكيع ، تحقيق عبدالعزيز مصطفى المراغي ، طبعة مصر ١٩٤٧ .
- ١٠ - أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم ، د. عمر فروخ ، دار لبنان للطباعة والنشر ١٩٧٨ .
- ١١ - بلوغ المرام من أدلة الأحكام للمحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، دار الكتاب العربي .
- ١٢ - البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ دار ابن كثير .
- ١٣ - تذكرة الموضوعات ، العلامة محمد طاهر الفتى المتوفى ٩٨٦ هـ ، دار إحياء التراث العربي ط ٢ ١٣٩٩ هـ .
- ١٤ - التجربة الصريحة لأحاديث الجامع الصحيح ، للحسين بن المبارك ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ١٥ - التعريفات ، للجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧ .
- ١٦ - تيسير العقائد الاسلامية ، حسن أيوب ، دار الاعتصام ط ٣ سنة ١٩٧٨ .

- ١٧ - تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون ، د . عمر فروخ ، دار العسلم للملائين ط ٣ ، ١٩٨١ .
- ١٨ - تذكرة لحفظ للنهاي المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، دار احياء التراث العربي ، مصورة عن طبعة ١٣٧٥هـ .
- ١٩ - تهذيب الأسماء واللغات ، للمحافظ النسوي المتوفى سنة ٦٧٦م ، الطباعة المئيرية بمصر .
- ٢٠ - تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٦٥٢هـ ، دار صادر سنة ١٩٦٨ .
- ٢١ - الجامع الصغير في أحاديث البشير النديس ، جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ ، مطبعة مصطفى البابي ط ٤ سنة ١٩٥٤ .
- ٢٢ - الجامع الصحيح ، وهو سenn الترمذى ، لأبي عيسى بن سورة الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، المكتبة الإسلامية .
- ٢٣ - حلية الأولياء وطبقات الأسفيناء ، للمحافظ الاصبهانى المتوفى سنة ٤٤٣هـ ، دار الكتاب العربي ١٩٧٧ .
- ٢٤ - الخصائص العامة للإسلام ، د . يوسف القرضاوى ، مكتبة وهبة ط ١٩٧٧ .
- ٢٥ - الدعائم الخلقة للقوانين الشرعية ، د . صبحى محمضانى ، دار العلم للملائين ١٩٧٣ .
- ٢٦ - دراسات في الفكر الفلسفى الاسلامى ، د . حسام الالوسي ، ط ١٩٨٠ .
- ٢٧ - ذخائر التراث العربي الاسلامي - عبد الجبار عبد الرحمن ط ١٩٨٣ .
- ٢٨ - روح الدين الاسلامي ، عفيف طبازة ط ٢١ دار العلم للملائين سنة ١٩٨١ .
- ٢٩ - رسالة التوحيد ، محمد عبده ، ط ١٧ دار المنار ١٣٧٦هـ .
- ٣٠ - سنن أبي داود ، للأمام أبي داود سليمان السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ ، دار احياء التراث العربي .
- ٣١ - سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي مع حاشية للأمام السندي ط ١١ سنة ١٩٣٠ ، الطبعة المصرية بالأزهر .
- ٣٢ - سنن الدارقطنى ، علي بن عمر الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥هـ دار المحاسن القاهرة ١٩٦٦ .

- ٣٣- مسن ابن هاجة للقزويني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٥ .
- ٣٤- السنن الكبرى ، للمحافظ البهجهي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ حيدر آباد ١٣٥٠ .
- ٣٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ، مكتبة القرشى مصر ١٣٥٠ .
- ٣٦- شفاء لغيل في بيان النسب والمخيل ومسالك التسليل للأمام الغزالى ، تحقيق د. حمد الكبيسي ، مطبعة الارشاد ١٩٧١ .
- ٣٧- شرح الصولى للديوان أبي تمام ، دراسة وتحقيق ، خلف رشيد نعeman ، طبع وزارة الأعلام العراقية سنة ١٩٧٧ .
- ٣٨- صحيح مسلم ، للأمام أبي الحسين مسلم التنيسي بوري المتوفى سنة ٢٦١ هـ ، دار إحياء التراث العربي .
- ٣٩- صحيح البخاري ، للأمام أبي عبد الله محمد بن إسحاق البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ ، دار الفكر ، طبعة مصورة عن طبعة دار الطباعة العاصرة .
- ٤٠- الطبقات الكبرى المسماة بلواعق الأنوار في طبقات الأخيار ، عبدالوهاب لشغراني ط ١ مصطفى البابي ١٩٥٤ .
- ٤١- الطبقات الكبرى ، لأبن سعد ، دار صادر بيروت .
- ٤٢- طبقات الصوفية ، للسلامي ، تحقيق نور الدين شريبة ، مطبعة الخانجي .
- ٤٣- طبقات الفقهاء ، للشيزازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الرائد العربي ١٩٧٠ .
- ٤٤- العبادة أحكام وأسرار ، د. عبدالحليم محمود ، دار النصر للطباعة ١٩٦٨ .
- ٤٥- العبادة في الإسلام ، د. يوسف القرضاوى ، مؤسسة الرسالة بيروت .
- ٤٦- العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية ، نظام الدين عبدالحميد ، مطبعة الخلود ١٩٨٥ .
- ٤٧- علم القلوب ، أبو طالب المكي ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٩٦٤ .

٤٨- العقيدة الاسلامية وأسسها ، عبد الرحمن جبنكة ، مطبعة الارشاد . ١٩٦٦

٤٩- الغزالى ، د. مصطفى غالب ، مكتبة الهلال .

٥٠- الفلسفة الأخلاقية في الفكر الاسلامي ، د. احمد محمود صبحي ، دار المعارف بمصر ١٩٧٩ .

٥١- الفوائد المجموعه في الأحاديث الموضوعة ، للشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٧٨ .

٥٢- كتاب الأخلاق ، احمد أمين ط٣ دار الكتب ١٩٢٥ .

٥٣- كيف فهم الاسلام ، فريتاجوف شيون ، ترجمة عفيف دمشقية ، دار الآداب ١٩٧٨ .

٥٤- كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق للأمام الغزالى ، دراسة وتحقيق ، د. محمد سعود المعينى ، مطبعة العانى ١٩٨٤ .

٥٥- لسان العرب لابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ ، دار صادر سنة ١٩٦٨ .

٥٦- اللباب في تهذيب الأنساب ، لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، مكتبة القدسى بالقاهرة ١٣٥٦هـ .

٥٧- الآلية المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، للسيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ ط٢ دار العرفة ١٩٨١ .

٥٨- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تحرير ما في الاحياء من الاخبار ، للعلامة زين الدين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ مطبوع بهامش كتاب احياء علوم الدين .

٥٩- مدخل الى التصور الاسلامي للانسان والحياة ، عابد تويفق الهاشمى ، دار الفرقان ١٩٨٠ .

٦٠- مختار الصحاح للرازي المتوفى سنة ٦٦٦هـ دار الرسالة ١٩٨٣ .

٦١- ميزان العمل ، للأمام الغزالى ، تحقيق د. سليمان دينا ، دار المعارف سنة ١٩٧٤ .

٦٢- المستدرك على الصحىحين ، للحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ حيدر آباد ١٣٣٤هـ .

٦٣- من فلسفة التشريع الاسلامي ، فتحى رضوان ، دار الكتاب اللبناني ط٢ ١٩٧٥ .

- ٦٤- معجم البلدان لياقوت ، مصور بالأوفسيت عن الأوربية ١٩٧٥ .
- ٦٥- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، محمد اسماعيل ابراهيم ، دار الهنا للطباعة .
- ٦٦- مبادئ الإسلام ، للمودودي ط ٣ مكتبة الشباب المسلم ١٩٦١ .
- ٦٧- ميزان الاعتمال للنحبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى الياباني ١٩٦٣ .
- ٦٨- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات المعلوم ، طاش كبرى زادة المتوفى سنة ٩٦٨ ، مطبعة الاستقلال ١٩٦٨ .
- ٦٩- مشاهير علماء الأمصار ، ابن حيان البستني المتوفى سنة ٤٦٥هـ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٩ .
- ٧٠- تنزية الشريعة ، الكتاني ، دار الكتب العلمية ١٩٧٩ .
- ٧١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تفري بردي المتوفى سنة ٨١٨هـ ، دار الكتب .
- ٧٢- وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ ، تحقيق محى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة .
- (٧٣) الوافي بالوفيات للصفدي ، نشر استانبول سنة ١٩٣١ .
- ٧٤- الوجيز في أصول الفقه ، د. عبد الكريم زيدان ط١ ، الدار العربية للطباعة .

صلدر للمحقق

- ١ - **الصيغة الافرادية العردية نسائتها وتطورها ،** مطبعة جامعة البصرة سنة ١٩٨٢ .
- ٢ - **موجبات الأحكام وواقعات الأيام للشيخ قاسم الحنفي ،** دراسة وتحقيق ، مطبعة الإرشاد سنة ١٩٨٣ .
- ٣ - **كتاب آداب الصحة وحسن المعاشرة للأمام الغزالى ،** دراسة وتحقيق ، مطبعة العانى ١٩٨٤ .
- ٤ - **الإكراه وأثره في التصرفات الشرعية ،** بحث مقارن بين الشريعة ولقانون ، مطبعة الزهراء بالموصل ١٩٨٥ .
- ٥ - **النهي وأثره في الفقه الإسلامي ،** دراسة مقارنة ، مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٦ .
- ٦ - **بداية الهدایة للأمام الغزالى ،** دراسة وتحقيق ، وهو هد الكتاب .

البعضون :

- ١ - **النظريّة العامة للضرورة في الفقه الإسلامي ،** دراسة مقارنة ، مجلة كلية التربية بجامعة البصرة العدد الخامس سنة ١٩٨١ .
- ٢ - **العرف في الفقه الإسلامي ،** دراسة مقارنة ، مجلة كلية التربية بجامعة البصرة العدد السادس سنة ١٩٨٢ .
- ٣ - **الحكم بالصحة والحكم بالوجب لولي الدين العراقي ،** دراسة وتحقيق ، مجلة كلية التربية بجامعة البصرة العدد السابع سنة ١٩٨٢ .
- ٤ - **لا إكراه في الدين ،** دراسة مقارنة ، مجلة الرسالة الإسلامية العدد (١٧٩ - ١٧٠) سنة ١٩٨٤ .
- ٥ - **الحقوق المترتبة على ثبوت الإكراه على العقد ،** دراسة مقارنة مجلة القانون المقارن عد ١٨ سنة ١٩٨٧ .

تحت الطبع :

النظريّة العامة للتقاوم في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة .

الفهرست

الصفحة

الموضوع

| | |
|-----|---|
| ٥ | الباب الأول ، الفصل الأول ، ترجمة الفرزالي |
| ١٢ | (الفصل الثاني ، آثاره ومصنفاته) |
| ٢١ | الفصل الثالث ، عملي في التحقيق |
| ٢٥ | الباب الثاني ، قرآنية النفس وائرها في حياة الفرد والمجتمع |
| ٢٥ | الفصل الأول ، الآيات |
| ٤٧ | (الفصل الثاني ، التوبة) |
| ٦٥ | الفصل الثالث ، العبادة |
| ٨١ | الفصل الرابع ، الذكر والدعاء |
| ٨٩ | الفصل الخامس ، حسن الخلق |
| ٩٠ | الفضائل |
| ١١٣ | السردائل |
| ١٣٥ | كتاب بداية الهداية |
| ١٤١ | القسم الأول في آداب الطاعات |
| ١٤٢ | آداب الاستيقاظ من النوم |
| ١٤٣ | آداب دخول الخلاء |
| ١٤٥ | آداب الوضوء |
| ١٤٩ | آداب الفسق |
| ١٥٠ | آداب التيمم |
| ١٥٢ | آداب الخروج إلى المسجد |
| ١٥٣ | آداب دخول المسجد |
| ١٦٢ | آداب ما بين طلوع الشمس إلى الزوال |
| ١٦٧ | آداب الاستعداد لسائل الصلوات |

| | |
|-----|--|
| ١٧٢ | آداب النوم |
| ١٧٥ | آداب الصلاة |
| ١٨١ | آداب الأماماة والقدوة |
| ١٨٤ | آداب الجمعة |
| ١٨٨ | آداب الصيام |
| ١٩١ | القسم الثاني ، القول في اجتناب المعاصي |
| ٢٠٥ | القول في معاصي القلب |
| ٢١٧ | القسم الثالث ، آداب الصحة والمعاشرة |
| ٢١٧ | آداب الصحة مع الخالق سبحانه وخلق |
| ٢٣٣ | مراجع الدراسة والتحقيق |
| ٢٣٩ | الفهرس |

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية بيونس ١٣٣٨ لسنة ١٩٨٨
 تم طبع الكتاب في ١٠/١١/١٩٨٨



ثمن النسخة ٣ دنانير



BJ 1291

G 43

19 8B

